علوم اللغة

دراسات علمية مُحَكّمة تصدر أربع مرات فى السنة

كتاب دوري

المجلد الثاني   العدد الثاني   ١٩٩٩

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

علـــوم اللغـــة

دراسات علمية محكمة تصدر أربع مرات فى السنة

كتاب دورى

مج ٢ ع ٢ ١٩٩٩

قيمة الاشتراك السنوى :

٨ جنيهًا مصريًا (داخل جمهورية مصر العربية)

٨ دولارًا أمريكيًا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

سعر العدد :

٢ جنيهًا مصريًا (داخل جمهورية مصر العربية)

٢ دولارًا أمريكيًا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

أسعار خاصة للطلبة

المراسلات :

توجه جميع المراسلات الخاصة إلى :

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

ص ب (٥٨) الدواوين - القاهرة ١١٤٦١ القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون ٣٥٤٢٠٧٩ - فاكس ٣٥٥٤٣٢٤

المحتويات

البحوث: **الصفحة**

تقديم

هذا هو العدد السادس من مجلة علوم اللغة ، يصدر في موعده في صيف عام ١٩٩٩ متضمنا بحوثا متخصصة في علوم اللغة ، تلقتها المجلة من باحثين ينتمون إلى أقسام اللغة العربية في جامعات مصر والكويت والمملكة العربية السعودية ، ويمثلون اهتمامات متنوعة في إطار علوم اللغة العربية .

البحوث التي تنشر في علوم اللغة هدفها النهوض بالدراسات اللغوية في مجالاتها المختلفة ، وتمثل رؤية الباحثين لقضايا التراث اللغوي وبنية اللغة العربية وقضاياها المعاصرة . الأعداد التي صدرت حتى الآن تتضمن موضوعات متنوعة . غير أن المجلة خططت لأعداد متخصصة . وفي المطبعة حاليا عدد خاص بعلم الأصوات ركز بشكل خاص على بحوث تجريبية . ويصدر هذا العدد بعد أسابيع معدودة وفي صيف ١٩٩٩ أيضاً ، ويتم التخطيط أيضا لعددين في المصطلح النحوي . ويصدر كل عدد حاملا اسم المشرف عليه والمشاركين ببحوثهم فيه . وهو نمط جديد نرجو أن يتكرر لتغطي المجلة في بعض أعدادها موضوعات متكاملة في مجال محدد ، إلى جانب الأعداد ذات المقالات المتنوعة المجالات .

ويطيب لنا أن نسجل للسادة الزملاء في الجامعات العربية في مصر والأردن والسعودية والكويت واليمن وتونس والجزائر وفي أقسام اللغة العربية

بالجامعات والأوربية خـالص الشكر والاعتزاز بمشاركتهم المتـزايدة واقتراحاتهم القيمة . هى مجلـتهم جميـعا ، ونحن نتعاون من أجـل دعم البحوث الجادة فى مجـالات عـلوم اللـغة . إن علوم الـلغة فصلـية هادفة إلى تـنمية الـبحث العلمى من خـلال نشر البحوث المتخصصة فى اللغة العربية .

والله ولى التوفيق ،

أ.د. محمود فهمى حجازى

شروط النشر

- يقبل هذا الكتاب نشر الدراسات والأبحاث فى علوم اللغة ، ونتائج البحوث الاستكشافية ، والمراجعات العلمية، وتقارير الممارسات والمشروعات والأنشطة العلمية، وعروض الكتب اللغوية المتخصصة العربية أو الأجنبية .
- يفضل أن تكون الدراسة في حدود ١٥٠٠٠ كلمة ، والمراجعة العلمية في حدود ٦٠٠٠ كلمة ، والتقرير في حدود ٢٠٠٠ كلمة ، وعرض الكتاب في حدود ١٥٠٠ كلمة .
- يشترط ألا يكون العمل قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي مكان آخر .
- تخضع الأعمال المقدمة للتحكيم ، ويخطر صاحب العمل بقبوله أو بملاحظات التحكيم أو الحاجة إلى المراجعة .
- تقدم الأعمال بخط واضح ، أو مطبوعة ، على الحاسوب .
- تقدم الرسومات بشكل جاهز للاستنساخ المباشر .
- يراعى فى الاستشهادات المرجعية الدقة في التوثيق واكتمال بيانات الوصف ، والاطراد في ترتيب عناصر البيانات .
- يعبر ما ينشر في هذا الكتاب عن رأي كاتبه ولا يمثل بالضرورة رأي المحرر أو الناشر.
- لا يعاد نشر أي عمل مما ينشر في هذا الكتاب الدوري إلا بإذن كتابي من الناشر .
- يخضع ترتيب المواد في النشر لاعتبارات فنية ولا علاقة له بمكانة المؤلف أو قيمة العمل .

الثوابت والمتغيرات
فى تراكيب الاستفهام فى النثر المصرى
فى القرن العشرين

بقلم الدكتور
احمد عبد الله حماد

المقدمة

استخدم النحاة والبلاغيون واللغويون ألفاظا عدة للدلالة على الاستفهام منها «استفهم وسأل واستعرف واستخبر واعترف» وبقى منها اثنان أحدهما أصبح أكثر استخداما من الآخر وهو استفهم على الرغم من كون دلالته على الطلب بحروف الزيادة والآخر سأل الذى يدل بحروفه الأصلية على الطلب ، ولايزال مستخدما ولكن بدرجة أقل لاشتمال معانيه على معنى طلب الأشياء والسائل الفقير المحتاج . ويضاف إلى ذلك كون الفهم أمرًا مطلوبا ومرغَّبًا فيه مقابل استخبر التى تدلّ على تقصى الأخبار . واستعلم واستعرف واعترف التى يقابلها الجهل وعدم العلم . وهذه المعانى الجانبية قد تكون سبب عدم ذيوعها .

والإنسان ميزه الله وكرمه بالعقل وإن شاركته بعض الكائنات فى ذلك بصورة ما . وميزه الله باللغة التى يظهر - إلى الآن - إنها خاصة به ، واشتغل المفكرون بالعلاقة

بين اللغة والعقل فغى بحوث طويلة معقدة لم يهتموا بما فيه الكفاية - بالعلاقة بين اللغة والاستفهام والاستفهام والعقل .

الفكر في النهاية جوهر العقل ووظيفته الأساس . والاستفهام أحد اثنين : إما هو المحرك للفكر وإما هو ناتج الفكر . وفى الحالتين تبقى قدرة الإنسان على صياغة الاستفهام - السؤال - الشاهد المادى على مستوى عقل أو فكر من يصوغه بما فى ذلك من عناصر كفاءة هذا الإنسان اللغوية ومستواه الثقافى والاجتماعى فى زمان ومكان معينين. ولأن الإنسان لايكف عن الاستفهام حتى أنه يسأل نفسه - فى بعض الأحيان - ولأن الإنسان يتغير فهل يتغير تركيب الاستفهام ؟ كيف يستفهم المصرى العربى الآن ؟ هل يستفهم كما كان يستفهم أجداده السابقون ؟ أتتغير التراكيب وتراكيب الاستفهام على وجه الخصوص ؟ وكيف تتغير ؟ وما اتجاه تغيرها ؟ وما سرعة هذا التغير ؟ وهل يظهر ذلك التغير فى صورة الاستفهام فى هذا القرن - العشرين - ؟ وما سبب ذلك التغير إن وجد ؟

تحاول هذه الدراسة - مستعينة بالله - الإجابة على هذه الأسئلة .

أ - أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة ما يلى :

١ - التعرف على تراكيب الاستفهام العربى التى يستخدمها كتاب النثر المصريون فى القرن العشرين .

٢ - دراسة التغيرات التى طرأت على هذه التراكيب من بداية القرن إلى نهايته وهذه الدراسة تعنى الاكتشاف وبيان الإتجاه وبيان سرعة هذه التغيرات مع ما يلزم ذلك من بيان الثوابت فى تركيب الاستفهام .

٣ - دراسة تراكيب الاستفهام من ناحيتى التركيب والدلالة .

٤ - دراسة العلاقة بين صورة الاستفهام عند النحاة وبين واقعها اللغوى فى هذا القرن .

٥ - الوصول إلى نماذج صورية لتركيب الاستفهام فى النثر العربى فى القرن العشرين .

ب - مادة الدراسة :

١ - **المستوى اللغوى** : تتكون مادة الدراسة من أربعة آلاف تركيب استفهامى جاءت فى كتابات المبدعين المصريين نثرا فى كتبهم المنشورة طوال هذا القرن ، وكتاب هذه المادة ممن تم الاعتراف بقدراتهم العالية فى فنونهم الأدبية الثلاثة القصة القصيرة والرواية والمقال ذلك لأن هؤلاء الكتاب قادرون على تمثيل أداء اللغة الرفيع والمتنوع وهم يصنعون أعمالهم الأدبية، فإلى جانب قواعد هذه الفنون الخاصة هناك الأداة أى اللغة التى تعبر عن هذه الفنون ، وتعبر عن إمكانيات اللغة ، وتعبر عن قدرة هؤلاء المبدعين على اختراق القواعد الجامدة المتصورة - لدى القواعديين - عن اللغة، كأداة اتصال ، والانتقال بها إلى أداة تعبير ثم الوصول بها إلى كونها غاية جمالية فى ذاتها ، وأداء هؤلاء المبدعين فى مجموعة يعرض علينا بعضًا من إمكانيات اللغة وقدرتها على استيعاب التجاوزات - الخرق أو الانحراف - لأن ما تتصوره عن الانحراف أو خرق القواعد المستقرة إذا قبله الجمهور ووافقت عليه اللغة بشروطها - أمن اللبس ودرجات مقبولة من الغموض - هذا التجاوز والخرق كامن أصلا فى القدرة اللغوية التى هى فى النهاية كل ما قاله أصحابها وما سيقولونه بشرط الصحة النحوية التى هى جوهرها عدم اللبس والخلط والغموض .

وهم فى نفس الوقت معبرون ممتازون عن قدرة اللغة على الوجود فى مستوياتها الأخرى المختلفة لغة اتصال وحوار ولغة يستخدمها أصحابها على اختلاف مستوياتهم العقلية والثقافية فى مختلف المواقف .

٢ - **الزمن** : مادة الدراسة تمتد من بداية القرن إلى نهايته ، من حديث عيسى بن هشام للمويلحى التى جمعت ونشرت فى بداية القرن إلى وجع البعاد ليوسف القعيد فى العشر الأواخر من هذا القرن مع الحرص على وجود مادة لغوية على الأقل من كل عشر سنوات .

٣ - **كتاب مادة الدراسة** : هم بالترتيب الوارد فى الرسالة المعتمد على سنة نشر العمل لأول مرة - محمد المويلحى - محمد حسين هيكل - عباس محمود العقاد - محمود تيمور - توفيق الحكيم - يحيى حقى - طه حسين - يوسف السباعى - سعد مكاوى - نجيب محفوظ - يوسف إدريس - سوريال عبد الملك - محمد مستجاب - إبراهيم عبد المجيد - يوسف القعيد وهم يمثلون كافة الاتجاهات الثقافية والمستويات الطبقية اجتماعيًا واقتصاديًا . وكلهم يستخدم العربية فى إنتاجه لغة أم . وكذلك الموضوعات التى يتناولونها فى إنتاجهم الخاضع للدراسة متنوعة من ناحيتى الفن الخاص (قصة - رواية - مقال) ومن ناحية الموضوع . وكل عمل من الأعمال الخاضعة للدراسة اعتبرت فى وقتها أول عمل فى نوعها أو قمة من قمم هذا النوع ابتداء من حديث عيسى بن هشام وزينب والفصول ومرورًا بالحاج شلبى وعودة الروح والأيام وأرض النفاق وقهوة المجاذيب والشحاذ - وانتهاء بخلو البال ومواسم النوار وأعمال مستجاب الثلاثة ديروط الشريف والقصص الأخرى وحرق الدم ثم المسافات ووجع البعاد .

٤ - مكان مادة الرسالة مصر ، لكتاب مصريين ، باللغة العربية والطبعات الأولى لهذه الأعمال منشورة فى مصر بلا استثناء .

جـ - منهج الدراسة :

١ - مقدمة :

المقصود بتراكيب الاستفهام فى هذه الدراسة كل تركيب لغوى أفهم استفهاما ولذلك تشمل هذه التراكيب الآتى :

١/١ - تراكيب الاستفهام التى تبدأ أو تنتهى بأداة استفهام .

١/٢ - تراكيب الاستفهام محذوفة الأداة .

١/٣ - التعبيرات الخبرية التى تحكى استفهامًا - الاستفهام غير المباشر - .

١/٤ - أجوبة الاستفهام فى حال وجودها إذ هى جزء مكمل لتركيب الاستفهام .

٢ - منهج التحليل :

١/٢ - يعتبر البحث المادة اللغوية - تراكيب الاستفهام هى الأساس الأول ومرجع كل خطوات التحليل التى سيقوم بها .

٢/٢ - تجمع الدراسة فى منهجها بين منهج التحليل الوصفى الآنى - التزامنى - وبين منهج التحليل التعاقبى - التاريخى - إذ ليست مادة الدراسة حالية فقط كما أنها ليست تاريخية تمامًا قياسًا إلى التاريخ الطويل للغة العربية .

٣/٢ - راعت الدراسة فى منهج التحليل أن تكون كل الخطوات والإجراءات واضحة فى التعامل مع المادة اللغوية ، ودقيقة مبنية على استقراء المادة ، ومنتظمة تشمل المادة كلها لدى كل الكتاب .

٤/٢ - تستخدم الدراسة البيانات الإحصائية النابعة من المادة المدروسة وهى بيانات نابعة من احتساب العدد الكلى للتراكيب وبيان النسبة المئوية لكل نمط حتى لا تضلل أرقام زائفة الباحث عن النتائج الحقيقية سواء للأدوات أو التراكيب .

٥/٢ - إقامة التوازن بين التحليل النحوى التقليدى وبين التحليل الوصفى (المكونات المباشرة) التى لا تبعد كثيرًا عن النحو التقليدى وبين الاستفادة من طرق تحليل التوليديين التحويليين مع إضافة المعنى لطرقهم فى التحليل .

٣ - إجراءات التحليل :

١/٣ - جمع العينة من مصادرها .

٢/٣ - تصنيف المادة اللغوية تصنيفًا شكليا حسب الأداة أولا ثم ما يلى الأداة بعد ذلك ، وفى تراكيب الاستفهام محذوفة الأداة يكون التصنيف معتمدًا على ما يبدأ به التركيب . أى تحديد نوع القسم الذى تنتمى الكلمة إليه تلك الكلمة التى تبدأ التركيب - وكذلك فى الاستفهام غير المباشر .

٣/٣ - تحديد الوظائف التى تشغلها الكلمات فى التركيب أى الكشف عن الأركان الأساسية للتركيب .

٣/٤ - بيان العلاقات القائمة بين أركان التراكيب والتكملات الأساسية والإضافية.

٣/٥ - بيان الارتباط القائم بين تراكيب الاستفهام وما يسبقها من تراكيب وما يلحقها أى توضيح بيئة التركيب الاستفهامى .

٣/٦ - فى كل الخطوات السابقة ابتداء من التصنيف إلى آخر خطوة فى التحليل يكون المعنى أحد المعايير الأساسية فى التحليل والمعنى المقصود هنا المعنى الوظيفى النحوى واللغوى المعجمى .

٣/٧ - تجميع النتائج وتلخيصها لكل كاتب ولكل أداة بعد التحليل إذ الهدف بناء صورة كلية لأنماط الاستفهام عند الكاتب .

٣/٨ - مقارنة هذه الصورة الكلية لكل كاتب بما لدى غيره من الكتاب لبيان الفوارق بين هؤلاء الكتاب والسمات الخاصة بكل كاتب .

٣/٩ تجميع نتائج كل جيل من الكتاب - الرواد - المؤسسون -- المحدثون - ومقارنتها لبيان حركة التغيير فى تراكيب الاستفهام .

د - الدراسات السابقة التى اعتمد البحث عليها :

تنقسم هذه الدراسات إلى ثلاثة أقسام وهى :

١ - النحاة وكتب النحو :

درس النحاة القدماء أسلوب الاستفهام فى مواضع مختلفة من كتبهم وناقشوا الأدوات إعرابًا وبناءً وناقشوا سبب الإعراب وسبب البناء وانتقلوا إلى تركيب الاستفهام بعد حرفى الاستفهام فناقشوا هذا التركيب فى أبوابهم النحوية المختلفة ضمن دراساتهم الموسعة للتراكيب دون تخصيص . كما ناقشوا الاستفهام عندما يكون سببًا مساعدًا لحدوث ظاهرة نحوية ما أثناء مناقشتهم لهذه افظاهرة - التقديم والتأخير - حدوث حالة إعرابية ما - التعليق - الاشتغال - وسيأتى ذكر ذلك بتوسع عند مناقشة الاستفهام بين

الواقع اللغوى والنحاة . . . وقد أفادت هذه الجهود الباحث إفادة عظيمة إذ بينت للبحث مدى التداخل والارتباط بين تركيب الاستفهام من ناحيتى المعنى والمبنى والظواهر التى عالجها النحاة . كما سلطت الضوء على كيفية معالجة الظواهر اللغوية من خلال نظرية تبدو متماسكة إلى الآن .

٢ - البلاغيون وكتب البلاغة :

ناقش البلاغيون تراكيب الاستفهام فى كتبهم فى علم المعانى عند حديثهم عن تقسيم الجمل - إلى خبرى وإنشائى وتقسيم الإنشائى إلى طلبى وغير طلبى وفى الطلبى ناقشوا الاستفهام وانصرف اهتمامهم إلى بيان ما يخرج إليه الاستفهام من معان ، وهم وإن صرح بعضهم أن المعانى التى يخرج إليها الاستفهام ليست مرتبطة بالأداة قدر ارتباطها بالسياق إلا أن هذا البعض قد تراجع وعدد المعانى التى تخرج إليها أدوات الاستفهام أو ألفاظ الاستفهام عند بعضهم كما ناقشوا أيضًا - معظمهم - الفارق بين الهمزة و « هل » وبين أنواع « أم » وأرجعوا هذه الفوارق فى جملتها للحروف ولم يرجعوها إلى التركيب نفسه . وقد استفاد البحث من هذه الدراسات إذ وجهت البحث إلى أن الدلالة ليست خاصة بالأداة وأنه لو كان هناك معنى للأداة فيجب أن يكون لاسم الاستفهام على الرغم من ضيق هذا المعنى إذ لا معنى لحرف الاستفهام إلا أنه محول للجملة الخبرية إلى جملة استفهامية . كما استفاد البحث من أعمال البلاغيين فى علم المعانى إذ ربطوا بين ما يحدث للتركيب من تحويل « حذف - زيادة - تقديم تأخير » وبين دلالة هذا التركيب وفى الملحق تلخيص لبعض هذه المراجع .

٣ - الدراسات اللغوية الحديثة :

تعرض اللغويون المحدثون فى بعض كتاباتهم لأسلوب الاستفهام والذين تعرضوا لتركيب الاستفهام قليلون وهؤلاء عرضوا الاستفهام من وجهة نظر المدارس التى ينتمون إليها وغالبهم بنيون وظيفيون وتوزيعيون وتوليديون وقد استفدت من هذه الأعمال استفادة كبيرة إذ ثبت لدى الباحث أن التعرض للمدارس اللغوية يساعد على التفكير

بطريقة علميـة في اللغة شريطة أن يكون التطبيـق تطبيقًا للمنهج لا تطبيقًا لـلنتائج على أمثلة تعليمية ، واستفاد الباحث أيـضًا من هذه الدراسات - التى يعرض البحث ملخصا لها فى الملحـق - كيفية التعامل مع الـلغة ابتداء من العينة جـمعها وتصنيفها وتـنظيمها وأسس تحليلها ثم تحليلها واستخراج النتائج منها وفهم النتائج أو تفسيرها . وبناء نماذج صورية للأنماط المدروسة .

كما استفـاد البحث أيضًا من الدراسات المقارنـة للاستفهام فى العربيـة والانجليزية والعربية والعبرية والعربية وبعض اللغات السامية .

وتشمل هذه الدراسة ثلاثة أقسام :

* القسم الأول : الفروق الفردية فى أنماط الاستفهام .

* القسم الثانـى : الاتجاهات العامة للتغير فى أنماط الاستفهام .

* القسم الـثالث : القضايا الـتركيبية والدلاليـة فى الاستفهام بين الـنحاة وواقع الاستخدام فى النصوص .

أولاً : الفروق الفردية فى انماط الاستفهام

أ - مقدمة :

بين كتاب الدراسة فروق فردية كثيرة فى بناء تراكيبهم الاستفهامية من ناحيتين :

أولاهما : الأداة المستخدمة - فى حالة وجودها - وفى نسبة استخدامه أو ميله لاستخدام الاستفهام محذوف الأداة أو الاستفهام غير المباشر .

ثانيهما : بنية التركيب الاستفهامى بعد الاستفهام من حيث مكوناته الأساسية وجودًا وعدمًا وتقديمًا وتأخيرًا ومن حيث استخدامه للتوابع ومن حيث طرق ربطه داخل التراكيب أو ربط التركيب بما قبله ومن حيث وجود التركيب أو إنشاؤه وسط تراكيب أخرى استفهامية أو إنشاؤه لها معزولة عن تراكيب الاستفهام الأخرى ومن حيث الهدف من التركيب أى تحقيق الغرض الأصلى للاستفهام أو الخروج عن الهدف الأصلى للاستفهام لتحقيق أغراض أخرى مستفيدًا بما فى تركيب الاستفهام من طاقات تعبيرية إضافية .

وستقوم الدراسة فى هذا الفصل بعرض الفروق الفردية بين الكتاب وذلك بإبراز السمات الخاصة لكل كاتب من ناحية الأداة ثم البنية ثم تجميع نتائج هذه السمات لبيان الفوارق الفردية فى تراكيب الاستفهام لدى الكتاب بصورة منفردة وبصورة مجمعة نوعيًا داخل الجيل الذى ينتمى إليه عمله .

١ - الكتاب وأدوات الاستفهام :

١ - أدوات الاستفهام عند المويلحى

كيف	هل	الهمزة	ما	غير مباشر	من	أين	أى	محذوف	ماذا	متى	لماذا	أنى	كم
٪١٧,٥	٪١٦,٥	١٥,٦	١٥,٦	٧,٥	٧,١	٦,١	٤,٢	٢,٨	٢,٣	١,٨	-,٩	-,٩	,٤

١ - المويلحى وأدوات الاستفهام : أداة الاستفهام المفضلة عند المويلحى « كيف » ثم تتلوها « هل » ويستخدم بعد ذلك الهمزة و « ما » بالنسبة نفسها والأدوات الأربعة السابقة استنفذا ثلثى عدد مرات الاستخدام للأدوات كلها ، وأقل أدوات الاستفهام

استخداما لدى المويلحى « كم وأنـى ولماذا » إذ استخدم هـذه الأدوات في مرات قليلة وشكل الاستفهـام غير المباشر و « من » و « أى » ومحذوف الأداة و « ماذا » حوالى ربـع عدد المرات الكلـى لاستخدام الأدوات لدى المـويلحى ومع ذلـك فعدد الأدوات المستخدمة كبير ويبدو فى استخدامه درجة من التوازن بصورة عامة .

٢ - أدوات الاستفهام عند د. هيكل

هل	الهمزة	ما	ماذا	غير مباشر	أى	أين	أنى	من	محذوف	متى	لماذا
٢,٥,٨	٢٤,٦	١٥,٢	١٥,٢	٨,٦	٧,٣	٢,٣	١,٨	١,٥	١,٥	,٨	*

* استخدم د. هيكل « لماذا » مرتين فقط فلم استطع كتابة نسبتها المئوية .

٢ - د. هيكـل وأدوات الاستفهام : أداتا الاستـخدام المميزتان فى الاسـتخدام لدى د. هيكل هما « هل » و « الهمزة » إذ استخدمها أكثر من نصف استخدامه لكل أدوات الاستفهام ؛ وتأتى « ما » بعدهما بدرجة متوسطة من الاستخـدام وبالنسبة نفسها « مـــاذا » وتحققت لـدى د. هيكل باقـى الأدوات فى حوالى خمـس عدد مرات الاستخـدام الكلى وأقـل الأدوات استخدامـا لدى د. هيكـل « لماذا ومتـى ومن والمحذوف الأداة » و « أنى » ؛ وميل الـكاتب د. هيكل لـ « هل » والـهمزة جعل استخدامه لباقى الأدوات غير متوازن كـما يلاحظ عدم استخدامه لـ « كيف » ولا « كم » .

٣ - أدوات الاستفهام عند العقاد

هل	الهمزة	أى	ما	ماذا	لماذا	أين	كيف	من	محذوف	أنى
٪٢,٦	٪١٩,٥	٪١٣,٩	٪١٢,١	٪٧,٣	٪٥,٢	٤,٣	٤,٣	٣,٤	٪٣	٪,٤

٣ - العقاد وأدوات الاستفـهام : يميل العقاد إلى استخدام « هـل » و « الهمزة » بصورة خاصة إذ اقترب استخدامه لهما من نصف عدد التراكيب الكلى ، ثم تليهما « أى » ولا يتبقى من مرات الاستخدام إلا القـليل لباقى الأدوات ، وأقل الأدوات استخداما عند العقاد « أنَّى » ثم محـذوف الأداة و « من » وتتساوى « أين » و « كيف » ف ضعف الاستخدام النسبى ولم يستخدم الـعقاد « متى » ولا الاستفهام غير المباشر ،

والعقاد يبدو استخدامه للأدوات الاستفهامية غير متوازن بسبب كثرة مرات استخدام « هل والهمزة وأى » وعدم استخدامه « متى » والاستفهام غير المباشر .

٤ - أدوات الاستفهام عند تيمور

الهمزة	هل	محذوف	ما	أين	لماذا	ماذا	من	كيف	غير مباشر	متى	أى
٪٣٠,٩	٪١٩,٣	٪١١,٦	٪٧,٧	٪٦,٣	٪٥,٣	٪٤,٣	٪٤,٣	٪٣,٤	٪٣,٤	٪١,٩	٪١,٤

٤ - محمود تيمور وأدوات الاستفهام : الهمزة عند محمود تيمور هى الأداة الأكثر تفضيلا ويليها « هل » ويشكل استخدامه لهما نصف عدد مرات استخدامه لكل الأدوات وبعدهما باستخدام متوسط جاء الاستفهام محذوف الأداة ، وأقل الأدوات استخداما عنده « أى » ثم « متى » ثم « كيف » والاستفهام غير المباشر ويستخدم « لماذا » أكثر من استخدامه « ماذا » ولم يستخدم تيمور مطلقًا « أنَّى » وبفضل هذا التوزيع يبدو استخدام تيمور للأدوات غير متوازن .

٥ - أدوات الاستفهام عند توفيق الحكيم

محذوف	الهمزة	ما	غير مباشر	هل	لماذا	أى	من	كيف	أين	ماذا
٪٢٥,٧	٪٢٣,٣	٪١١,-	٪١١,-	٪٩,-	٪٦,٧	٪٣,٨	٪٣,٣	٪٢,٤	٪٢,٤	٪٢,٤

٥ - توفيق الحكيم وأدوات الاستفهام : الاستفهام محذوف الأداة عند الحكيم هو المفضل ويقترب منه الاستفهام بالهمزة والاثنان يستنفذان نصف عدد مرات الاستخدام الكلى للأدوات ، وتحقق كل من « ما » والاستفهام غير المباشر استخداما متوسطًا وأقل الأدوات لدى الحكيم استخدامًا عنده « ماذا » و « كيف » و « أىَّ » وبفضل الاستفهام محذوف الأداة والاستفهام بالهمزة يبدو استخدام الحكيم للأدوات غير متوازن ، ولم يستخدم الحكيم مطلقًا « متى » ولا « أنَّى » .

٦ - ادوات الاستفهام عند يحيى حقى

الهمزة	هل	ما	لماذا	كيف	ماذا	من	أين	محذوف	متى	أى	غير مباشر
٪٢١,٣	٪١٦,٣	٪١٥,٤	٪١٠,٤	٪٨,١	٪٧,٧	٪٦,٨	٪٣,١	٪٣,١	٪٣,١	٪٢,٧	٪١١,٣

٦ - يحيى حقى وأدوات الاستفهام : من أكثر الكتاب توازنا فى توزيع استخدامه لأدوات الاستفهام ومع ذلك فأداته المفضلة الهمزة وتليها « هل » و « ما » وباستخدام متوسط يستعمل يحيى حقى « لماذا » و « كيف » وأقل الأدوات لديه استخداما « الاستفهام غير المباشر » ومحذوف الأداة و « متى » ولم يستخدم مطلقًا « أنَّى » .

٧ - ادوات الاستفهام عند د. طه حسين

الهمزة	كيف	ما	ماذا	غير مباشر	هل	أين	من	أى	كم	محذوف	متى	لماذا
٪٢٩,١	٪١٥,٥	٪١٥,٥	٪١١,٨	٪٨,٢	٪٣,٦	٪٣,٦	٪٣,٢	٪٢,٧	٪٢,٧	٪٢,٣	٪١,٤	٪-,٥

٧ - طه حسين : أداة الاستفهام الأثيرة لدى د. طه حسين الهمزة ولاتقترب منها أداة وبنصف الاستخدام للهمزة يستخدم كلاً من « كيف » و « ما » وأقل منهما « ماذا » وأقل الأدوات لدى د. طه حسين « لماذا » ثم « متى » وكلا من « كم » و« أى » ، والظاهرة الواضحة استخدام د. طه حسين لأدوات الاستفهام هو الضعف الشديد فى استخدامه لـ « هل » وعدم استخدامه « أنَّى » .

٨ - ادوات الاستفهام عند يوسف السباعى

ما	ماذا	هل	محذوف	كيف	الهمزة	أى	من	غير مباشر	أين	لماذا	أنى
٪٢٠,٥	٪١٨,٣	٪١٢,٣	٪٩,٦	٪٩,١	٪٨,٧	٪٧,٨	٪٤,٦	٪٤,١	٪١,٨	٪١,٨	٪١,٤

٨ - يوسف السباعى وأدوات الاستفهام : يفضل يوسف السباعى من أدوات الاستفهام « ما » ثم « ماذا » ومع هذا التفضيل يبقى من أكثر الكتاب توازنا فى توزيعه مرات الاستخدام على الأدوات وأقل الأدوات عنده استخداما « أنى » و « أين » و « لماذا » ويبقى الاستفهام محذوف الأداة و « كيف » والهمزة فى مرتبة وسطى ، ولم يستخدم « متى » ولا « كم » .

٩ - أدوات الاستفهام عند سعد مكاوى

الهمزة	محذوف	هل	ما	ماذا	كيف	أين	أى	من	لماذا	متى	كم
٪٤٢,٢	٪٩,-	٪٨,٥	٪٨,٥	٪٦,-	٪٥,٥	٪٥,٥	٪٥,	٪٣,٥	٪٣,	٪٢,٥	٪-,٥

٩ - سعد مكاوى وأدوات الاستفهام : يعطى سعد مكاوى للهمزة نصف عدد مرات استخدامه لأدوات الاستفهام تقريبًا وتبقى باقى الأدوات تستخدم اسخداما ضعيفا أو نادرًا ؛ ضعيفا مثل « محذوف الأداة » و « هل » و « ما » ونادرًا مثل « كم » و « متى » و « لماذا » ولم يستخدم مطلقًا الاستفهام غير المباشر ولا « أنَّى » ولذلك فاستخدام سعد مكاوى لأدوات الاستفهام غير متوازن .

١٠ - أدوات الاستفهام عند نجيب محفوظ

الهمزة	محذوف	هل	ماذا	ما	كيف	أين	من	لماذا	متى	غير مباشر	أى
٪٢١,٣	٪٢٠,٤	٪١٣,٤	٪١٢,	٪٨,٣	٪٦,-	٪٥,١	٪٤,٦	٪٤,١	٪٢,٧	٪-٩,	٪-,٤

١٠ - نجيب محفوظ وأدوات الاستفهام : الهمزة والاستفهام محذوف الأداة عند نجيب محفوظ هما الاستفهامان المفضلان ويليهما « هل » و « ماذا » وأقل الأدوات استخداما لديه « أى » والاستفهام غير المباشر و « متى » ولم يستخدم نجيب محفوظ « أنى » ولا « متى » .

١١ - أدوات الاستفهام عند يوسف إدريس

ماذا	لماذا	ما	هل	الهمزة	أين	كيف	من	محذوف	غير مباشر	أى	أنى
٪١٥,٧	٪١٥,٧	٪١٢,٦	٪١٢,-	٪١٢,-	٪٨,٩	٪٧,٣	٪٥,٢	٪٤,٧	٪٢,٦	٪٢,٦	٪-,٥

١١ - يوسف إدريس وأدوات الاستفهام : أكثر الكتاب توازنا فى استخدام أدوات الاستفهام فهو لايبدى ميلاً ظاهرًا إلى استخدام أداة أو اثنتين بعينيهما استخدامًا كثيفًا ، وهو الكاتب الوحيد الذى قدم فى استفهام « ماذا » و « لماذا » على باقى الأدوات وبالنسبة نفسها . واستخدامه لـ « أنَّى » نادر ولم يستخدم « متى »

ولا « كـــم » استخدم إدريس « هل » و « الهمزة » و « ما » بصورة متوسطة و «ما» أعلى منهما قليلاً لكن « هل » والهمزة نفس نسبة الاستخدام .

١٢ - ادوات الاستفهام عند سوريال عبد الملك

محذوف	لماذا	كيف	هل	ما	الهمزة	من	ماذا	أين	غير مباشر	متى	كم	أى
٪٣٤,٤	٪١٣,٩	٪١١,١	٪٩,٥	٪٧,٩	٪٧,٣	٪٦,٨	٪٤,٩	٪٣,٥	٪٢,٧	٪١,٦	٪١,١	٪١,١

١٢ - سوريال عبـد الملك وأدوات الاستفهام : الاسـتفهام محذوف الأداة عـند سووريال عبد الملك تحقق فى أكثر من ثلث عدد مرات استخدامه لأدوات الاستفهام وفى مرتبة وسطى من الاستخدام جاءت « لماذا » و « كيف » و « هل » واستخدم « كم » و « أى » و « متى » استخدامًا نادرًا . ولم يستخدم « أنى » .

١٣ - ادوات الاستفهام عند مستجاب

هل	الهمزة	لماذا	ما	أين	محذوف	غير مباشر	من	ماذا	أى	كيف	كم	متى
٪١٨,١	٪١١,٩	٪١٠,٢	٪٨,٦	٪٨,٦	٪٨,٦	٪٧,٨	٪٧,٤	٪٦,٥	٪٤,٥	٪٣,٧	٪٢,٤	٪١,٢

١٣ - محمد مستجاب وأدوات الاستفهام : « هل » عند محمد مستجاب أداته المفضلة ثم الهمزة و « لماذا » بصورة متقاربة وأقل الأدوات استخداما لديه « متى » و « كم » و « كيف » ولم يستخدم « أنى » .

١٤ - ادوات الاستفهام عند إبراهيم عبد المجيد

لماذا	هل	ماذا	الهمزة	أين	من	محذوف	ما	غير مباشر	أى	كيف	متى
٪٣٠,	٪١٨,٩	٪٩	٪٨,٦	٪٨,٦	٪٥,٦	٪٤,٧	٪٤,٧	٪٣,	٪٣,	٪٢,١	٪١,٧

١٤ - إبراهـيم عبد المجـيد وأدوات الاسـتفـهام : أداة إبـراهيم عبـد المجيد الأولـى فى الاستفـهام « لماذا » وتلـيها « هل » ثم « مـاذا » والهمزة فى المـرتبة الرابـعة وأقل الأدوات استخداما لديه ؛ « متى » و « كيف » ولـم يستخدم لا « أنى » ولا «كم».

١٥ - أدوات الاستفهام عند يوسف القعيد

هل	غير مباشر	محذوف	كيف	من	ماذا	لماذا	ما	أين	أى	متى	الهمزة
٪٣٥,٤	٪١٢,٢	٪١٠,	٪٨,١	٪ ٧,٧	٪٥,٤	٪٥,-	٪٤,٥	٪٤,٥	٪٣,١	٪٢,٧	٪ ,٩

١٥ - يوسف القعيد وأدوات الاستفهام : أداته المفضلة للاستفهام « هل » يعطيها في الاستخدام أكثر من ثلث استخدامه لكل الأدوات وأقل الأدوات استخداما لديه « الهمزة » ثم « متى » ثم « أى » ولم يستخدم مطلقًا « أنى » ولا « كم » وبصورة متوسطة استخدم الاستفهام غير المباشر ومحذوف الأداة .

٢ - الرواد وأدوات الاستفهام :

الأداة / الكاتب	كيف	هل	الهمزة	ما	غير مباشر	من	أين	أى	محذوف	ماذا	متى	لماذا	أنى	كم
المويلحى	١٧,٥	١٦,٥	١٥,٩	١٥,٦	٧,٥	٧,١	٦,١	٤,٢	٢,٨	٢,٣	١,٨	,٩	,٩	,٤
هيكل	-	٢٥,٨	٢٤,٦	١٥,٢	٨,٦	١,٥	٢,٣	٧,٣	١,٥	١٥,٢	,٨	-	١,٨	-
العقاد	٤,٣	٢٦	١٩,٥	١٢١,١	-	٣,٤	٤,٣	١٣,٩	٣	٧,٣	-	٥,٢	,٤	-
تيمور	٣,٤	١٩,٣	٣٠,٩	٧,٧	٣,٤	٤,٣	٦,٣	١,٤	١١,٦	٤,٣	١,٩	٥,٣	-	-
الحكيم	٢,٤	٩	٢٣,٣	١١,	١٠,	٣,٣	٢,٤	٣,٨	٢٥,٧	٢,٤	-	٦,٧	-	-
المجموع الاعتبارى	٢٧,٦	٩٦,٦	١٠٣,٩	٦١,٦	٢٩,٥	١٩,٦	٢١,٤	٣٠,٦	٤٤,٦	٣١,٥	٤,٥	٦,٧	٣,١	٤٠

إذا رتبت الأدوات حسب الاستخدام تنازليًا فستأخذ الترتيب التالى :

١ - الهمزة ، ٢ - هل ، ٣ - ما ، ٤ - محذوف الأداة ، ٥ - ماذا ، ٦ - أى ، ٧ - غير المباشر ، ٨ - كيف ، ٩ - أين ، ١٠ - من ، ١١ - لماذا ، ١٢ - متى ، ١٣ - أنى ، ١٤ - كم .

أ - أكثر الرواد استخداما لـ « كيف » محمد المويـلحي ولـ « هل » العقاد وللهمزة تيمور ولـ «ما» المويلـحى ولغير المباشر توفـيق الحكيم ولـ « من » المويـلحى ولـ « أين » تيمـور ولـ « أى » العقاد وللاسـتفهام محـذوف الأداة توفيق الحكيـم ولـ « ماذا » هيكل ولـ « متى » تيمور ولـ « لماذا » توفيق الحكيم ولـ « أنى » هيكل .

ب - أقل الرواد استخداما لـ « كيف » توفيق الحكـيم ولـ « هل » توفيق الحكيم وللهمزة المويلحي ولـ « ما » تيمور ولغير المباشر تيمور ولـ « من » هيكل ولـ « أين » هيكل ولـ « أى » تيمور ولمحذوف الأداة هيكل ولـ « ماذا » المويلحى ولـ «متى» هيكل ولـ « لماذا » هيكل ولـ « أنى » العقاد .

جـ - لم يستخدم غير المويلحى « كم » .

د - لم يستخدم « أيـان » أحد من الرواد ولم يستخدم هيكل ولا الـعقاد ولا تيمور ولا توفيق الحكـيم « كـم » ولم يستخـدم « أنى » محمـود تيمـور ولا توفيـق الحكيم ولم يستخدم العقاد الاستفهام غير المباشر ولا « متى » ولم يستخدم هيكل « كيف » ولم يستخدم الحكيم « متى » .

هـ - الرواد أكثر استخداما للهمزة و « هل » من المؤسسين والمحدثين .

و - الرواد أكثر الكتاب استخداما لـ « هل » .

٣ - المؤسسون وأدوات الاستفهام :

الأداة / الكاتب	الهمزة	هل	ما	لماذا	كيف	ماذا	من	أين	محذوف	متى	أى	غير مباشر	كم	أنى
يحيى حقي	٢١،٣	١٦،٣	١٥،٤	١٠،٤	٨،١	٧،٧	٦،٨	٣،١	٣،١	٣،١	٢،٧	١١،٣	-	
د. طه حسين	٢٩،١	٣،٦	١٥،٥	،٥	١٥،٥	١١،٨	٣،٢	٣،٦	٢،٣	١،٤	٢،٧	٨،٢	٢،٧	
يوسف السباعي	٨،٧	١٢،٣	٢٠،٥	١،٨	٩،١	١٨،٣	٤،٦	١،٨	٩،٦	-	٧،٨	٤،١		١،٤
سعد مكاوى	٢٤،٢	٨،٥	٨،٥	٣،	٥،٥	٦،	٣،٥	٥،٥	٩،	٢،٥	٥،	-	،٥	
نجيب محفوظ	٢١،٣	١٣،٤	٨،٣	٤،١	٦،	١٢،	٤،٦	٥،١	٢٠،٤	٢،٧	،٤	،٩		
المجموع الاعتباري	١٢٢،٦	٥٤،١	٦٨،٢	١٩،٨	٤٤،٢	٥٥،٨	٢٢،٧	١٩،١	٤٤،٤	٩،٧	١٨،٦	٢٤،٥	٣،٢	١،٤

إذا رتبت الأدوات حسب الاستخدام فستأخذ الترتيب التالى :

١ - الهمزة ، ٢ - ما ، ٣ - ماذا ، ٤ - هل ، ٥ - محذوف الأداة ، ٦ - كيف، ٧ - غير المباشر ، ٨ - من ، ٩ - لماذا ، ١٠ - أين ، ١١ - أى ، ١٢ - متى ، ١٣ - كم ، ١٤ - أنى .

أ - أكثر المؤسسين استخداما لـ « كيف » د. طه حسين ، ولـ « هل » يحيى حقى . وللهمزة سعد مكاوى ، ولـ « ما » سعد مكاوى ، ولغير المباشر د. طه حسين و لـ « من » يحيى حقى، ولـ « أين » سعد مكاوى ، ولـ « أى » يوسف السباعى ولـ « محذوف الأداة » يوسف السباعى ، ولـ « ماذا » يوسف السباعى ، ولـ « متى » يحيى حقى ، ولـ « لماذا » يحيى حقى ولـ « أنى » يوسف السباعى - المستخدم الوحيد فى المؤسسين لها - ولـ « كم » طه حسين.

ب - أقل المؤسسين استخداما لـ « كيف » سعد مكاوى ، ولـ « هل » طه حسين ، وللهمزة يوسف السباعى ولـ « ما » نجيب محفوظ ، ولغير المباشر يحيى حقى ، ولـ « من » طه حسين ، ولـ « أين » يوسف السباعى ، ولـ « أى » نجيب محفوظ ولـ « مخذوف الأداة » د. طه حسين ، ولـ « ماذا » سعد مكاوى ، ولـ « متى » د. طه حسين ولـ « لماذا » د. طه حسين ولـ « كم » سعد مكاوى .

جـ - لم يستخدم « كم » غير طه حسين وسعد مكاوى .

د - لم يستخدم « أيان » أحد من المؤسسين ولم يستخدم يوسف السباعى « متى » ولم يستخدم سعد مكاوى الاستفهام غير المباشر ولا « أنى » وكذلك لم يستخدم نجيب محفوظ « أنى » وكذلك د. طه حسين لم يستخدم « أنى » .

هـ - المؤسسون أقل استخدامًا للهمزة و « هل » من الرواد وأكثر استخداما لهما من المحدثين .

و - المؤسسون استخدموا الهمزة أكثر مما استخدموا « هل » .

٤ - المحدثون وأدوات الاستفهام :

الأداة / الكاتب	ماذا	لماذا	ما	هل	الهمزة	أين	كيف	من	محذوف	غير مباشر	أى	أنى	متى	كم
يوسف إدريس	١٥,٧	١٥,٧	١٢,٦	١٢	١٢	٨,٩	٧,٣	٥,٢	٤,٧	٢,٦	٢,٦	,٥	-	-
سوريال	٤,٩	١٣,٩	٧,٩	٩,٥	٧,٣	٣,٥	١١,١	٦,٨	٣٤,٤	٢,٧	١,١	-	١,٦	١,١
مستجاب	٦,٥	١٠,٢	٨,٦	١٨,١	١١,٩	٨,٦	٣,٧	٧,٤	٨,٦	٧,٨	٤,٥		١,٢	٢,٤
إبراهيم عبد المجيد	٩	٣٠,	٤,٧	١٨,٩	٨,٦	٨,٦	٢,١	٥,٦	٤,٧	٣	٣		١,٧	
يوسف القعيد	٥,٤	٥,	٤,٥	٣٥,٤	,٩	٤,٥	٨,١	٧,٧	١٠,	١٢,٢	٣,١		٢,٧	
المجموع الاعتبارى	٤١,٥	٧٤,٨	٣٨,٣	٩٣,٩	٥٢,٧	٣٤,١	٣٢,٣	٣٢,٧	٦٢,٤	٢٨,٣	١٤,٣	,٥	٧,٢	٣,٥

إذا رتبت الأدوات تنازليا حسب الاستخدام تأخذ الترتيب التالى :

١ - هل ، ٢ - لماذا ، ٣ - محذوف الأداة ، ٤ - الهمزة ، ٥ - ماذا ، ٦ - ما، ٧ - أين ، ٨ - من ، ٩ - كيف ، ١٠ - غير المباشر ، ١١ - أى ، ١٢ - متى ، ١٣ - كم ، ١٤ - أنى .

١ - أكثر المحدثين استخداما لـ « كيف » سوريال ، ولـ « هل » القعيد ، ولـ « الهمزة » يوسف إدريس ولـ « ما » يوسف إدريس ، ولـ « غير المباشر » يوسف القعيد ولـ « من » يوسف القعيد ، ولـ « أين » يوسف إدريس ، ولـ « أى » مستجاب ، ولـ « محذوف الأداة » سوريال، ولـ « ماذا » يوسف إدريـس ، ولـ « متى » القعيد ، ولـ « لماذا » إبراهيم عبد المجيد ، ولـ « كم » مستجاب .

٢ - أقل المحدثين استخداما لـ « كيف » إبراهيم عبد المجيد ، ولـ « هل » سوريال ، ولـ « الهمزة » يوسف القعيد ، ولـ « ما » القعيد ، ولغير المباشر يوسف إدريس ، ولـ « من » يوسف إدريـس، ولـ « أين » سوريال ، ولـ « أى » سـوريال ، ولمحذوف الأداة يوسف إدريس ، ولـ « ماذا » سوريال ، ولـ « متى » مستجاب ، ولـ « لماذا » القعيد ولـ « كم » سوريال .

٣ - لم يستخدم « أنى » غير يوسف إدريس ، ولم يستخدم « كم » غير سوريال ومستجاب .

٤ - لم يستخدم « أيان » أحد من المحدثين ولم يستخدم يوسف إدريس « متى » .

٥ - أكثر الكتاب استخداما لـ « لماذا » و « هل » .

ملاحظات جانبيه عامة :

١ - الكتاب الذين استخدموا أكبر عدد من أدوات الاستفهام هم « المويلحى - د. طه حسين وسوريال عبد الملك ومحمد مستجاب .

٢ - الكتاب الذين استخدموا أقل عدد من أدوات الاستفهام هم «العقاد وتوفيق الحكيم» .

٣ - الكتاب الذين كان استخدامهم للأدوات غير متوازن (« أكثروا من استخدام أداة أو أداتين ») محمود تيمور وسعد مكاوى ويوسف القعيد وهيكل وإبراهيم عبد المجيد.

٤ - أكثر الكتاب توازنا فى استخدام أدوات الاستفهام المويلحى ويحيى حقى ود. طه حسين ومستجاب .

٥ - الأدوات والكتاب : (الأكثر استخداما والأقل استخداما) :

١ - « كيف » أكثر من استخدمها المويلحى وأقل من استخدامها إبراهيم عبد المجيد ولم يستخدمها د. هيكل .

٢ - « هل » أكثر من استخدمها « القعيد » وأقل من استخدمها د. طه حسين واستخدمها الجميع.

٣ - « الهمزة » أكثر من استخدمها سعد مكاوى وأقل من استخدمها القعيد واستخدمها الجميع.

٤ - « ما » أكثر من استخدمها السباعي وأقل من استخدمها القعيد واستخدمها الجميع .

٥ - الاستفهام غير المباشر أكثر من استخدمه القعيد وأقل من استخدمه محفوظ ، ولم يستخدمه العقاد ولا سعد مكاوى .

٦ - « من » أكثر من استخدمها القعيد وأقل من استخدمها د. هيكل واستخدمها الجميع .

٧ - « أين » يوسف إدريس أكثر الكتاب استخداما لها وأقلهم يوسف السباعى واستخدمها الجميع .

٨ - « أى » أكثر من استخدمها العقاد وأقل من استخدمها نجيب محفوظ واستخدمها الجميع .

٩ - محذوف الأداة : أكثر من استخدمه سوريال وأقل من استخدمه واستخدمه الجميع .

١٠ - « ماذا » أكثر من استخدمها السباعى وأقل من استخدمها المويلحى واستخدمها الجميع .

١١ - « متى » أكثر من استخدمها نجيب محفوظ والقعيد بالنسبة نفسها وأقلهم استخداما لـ « متى » د. هيكل ولم يستخدمها العقاد ولا الحكيم ولا السباعى ولا يوسف إدريس .

١٢ - « لماذا » أكثر من استخدمها إبراهيم عبد المجيد وأقل من استخدمها د. هيكل واستخدمها الجميع .

١٣ - « أنى » استخدمها - بالترتيب - د. هيكل والسباعى والمويلحى وإدريس والعقاد ولم يستخدمها الباقون .

١٤ - « كم » استخدمها فقط - بالترتيب - طه حسين ومستجاب وسوريال وسعد مكاوى والمويلحى ولم يستخدمها الباقون .

٢ - الكتاب وأنماط الاستفهام (الفروق الفردية) :

١ - محمد المويلحى : تراكيب الاستفهام عنده طويلة ، يميل لاستخدام فعل مضارع متعد مستوف مفعوله يعطف تراكيبه بالواو ثم الفاء ، يميل لاستخدام الاسم بعد « ما » و « من » و « أين » ، يميل قليلا لاستخدام تراكيب استفهامه فى بيئة استفهامية ، يقصد بالتركيب المعنى الأصلى للاستفهام .

٢ - د. هيكل : يظهر عنده التركيب الذى حذف منه المستفهم عنه ، الفعل المضارع هو الأكثر استخداما فى استفهامه ، يستخدم حرف الجر الزائد « من » كثيرًا وكذلك الفعل الجامد عسى، يستخدم الاسم بعد « ما » ، تراكيبه معزولة ، لايقصد بالتركيب المعنى الأصلى للاستفهام .

٣ - عباس العقاد : تراكيب استفهامه طويلة ، يميل لاستخدام الفعل المضارع تظهر عنده تراكيب الاستفهام المركبة والتى حذف منها المستفهم عنه يستخدم الاسم بعد « ما » و «أين» و « من » يضع تراكيبه فى بيئة استفهامية ، لايهدف من التركيب المعنى الأصلى للاستفهام .

٤ - محمود تيمور : تراكيب استفهامه قصيرة ، يميل لاستخدام فعل بعد الأداة مع « ما » و «أين» و « من » يستخدم اسمًا يظهر عنده الاستفهام المقلوب والمحذوف منه المستفهم عنه تراكيبه معزولة ، يهدف من التركيب المعنى الأصلى للاستفهام .

٥ - توفيق الحكيم : يستخدم مضارعا بعد الأداة ويستخدم اسما بعد « من » يظهر عنده تركيب الاستفهام المحذوف منه المستفهم عنه ، يستخدم عبارة « لايدرى » كثيرًا قبل الاستفهام ، استفهامه معزول ، ليس هدفه من تركيب الاستفهام المعنى الأصلى .

٦ - يحيى حقى : الفعل مضارع متعد ولازم ، يستخدم حرف الجر الزائد « من » يعطف التركيب بالواو والفاء ، يعتمد على السياق فيحذف المستفهم عنه يستخدم التركيب معزولا وفى بيئة استفهامية بالنسبة نفسها لايهدف من الاستفهام المعنى الأصلى للاستفهام .

٧ - د. طه حسين : الفعل عنده فى الاستفهام مضارع وماض ، يستخدم الفعل عسى كثيرًا ، يظهر عنده تراكيب محذوف منها المستفهم عنه ، يوازن بين إنشاء التركيب معزولا وفى بيئة استفهامية ، ويوازن بين استخدام التركيب لتحقيق الهدف الأصلى للاستفهام وللخروج عليه .

٨ - يوسف السباعى : يبنى تراكيبه من الفعل المضارع ، يظهر عنده الاستفهام المركب يستخدم الاسم بعد « ما » و « أى » و « أين » ، يحذف المستفهم عنه - أحيانا - من التركيب ، يستخدم التركيب فى بيئة استفهامية ويهدف من الاستفهام المعنى الأصلى ، والخروج عليه بنفس النسبة .

٩ - سعد مكاوى : يستخدم الماضى والمضارع فى استفهامه بصورة متوازنة ، تراكيبه قصيرة ، يستخدم الناسخ « كان » فى تراكيبه كثيرًا يكثر عنده المستفهم عنه المحذوف ، يضع التركيب فى بيئة استفهامية ، لايقصد باستفهامه المعنى الأصلى للاستفهام .

١٠ - نجيب محفوظ : يستخدم بعد الأداة المضارع والماضى وتدخل الأداة على اسم مع « ما » و « أين » و « من » ، يستخدم تراكيب الاستفهام التى يحذف منها المستفهم عنه ، تراكيبه الاستفهامية قصيرة ، يستخدم تركيب الاستفهام معزولا ، وليس هدفه من التركيب المعنى الأصلى للاستفهام .

١١ - يوسف إدريس : يستخدم المضارع بعد أداة الاستفهام ، ولكنه يستخدم اسما بعد « ما » يظهر فى تراكيبه تركيب الاستفهام الذى حذف منه المستفهم عنه ، وتركيب الاستفهام المقلوب ، يعطف التركيب بالفاء والواو ، تراكيب الاستفهام عنده طويلة، ويضعها فى بيئة استفهامية ولايهدف منها تحقيق الهدف الأصلى للاستفهام.

١٢ - سوريال عبد الملك : الفعل بعد الأداة مضارع ، ويأتى اسما بعد « ما » يظهر عنده تركيب الاستفهام المقلوب والتركيب الذى حذف منه المستفهم عنه ، يكثر من النداء حول الاستفهام، تركيب الاستفهام معزول عنده ، ولايهدف من التركيب تحقيق المعنى الأصلى للاستفهام .

١٣ - محمد مستجاب : الفعل المضارع يأتى - كثيرًا - بعد الأداة ، ويستخدم الاسم بعد « ما » و « أين » و « الهمزة » و « كم » و « من » ، يظهر عنده المستفهم عنه المحذوف . وكذلك التركيب الاستفهامى المقلوب ، تركيب الاستفهام عنده معزول، وليس الهدف من الاستفهام عنده المعنى الأصلى للاستفهام .

١٤ - إبراهيم عبد المجيد : يدخل أدوات الاستفهام على فعل مضارع وتدخل « ما » و« أى » على اسم ، يظهر تركيب الاستفهام المقلوب وكذلك الاستفهام الذى حذف منه المستفهم عنه ، يضع تراكيبه فى بيئة استفهامية ، لا يهدف من التركيب تحقيق المعنى الأصلى للاستفهام .

١٥ - يوسف القعيد : الأداة تدخل على مضارع غالبا وتدخل على اسم إذا كانت « ما » أو «أين» ، التركيب عنده قصير ، يظهر عنده الاستفهام الذى حذف منه المستفهم عنه ، تراكيبه معزولة ، لايهدف بالتركيب تحقيق المعنى الأصلى للاستفهام .

خاتمة

يظهر من العرض السابق وجود اختلافات فردية كثيرة بين الكتاب فى بناء تراكيبهم الاستفهامية من ناحية البنية (أداة وجوداً وعدما) ومن ناحية ما بعد الأداة (فعل) ونوع هذا الفعل أو اسم ونوع هذا الاسم أو جار ومجـرور ومن ناحية وجود تكملات للأركان الأساسية ونوع هذه التكملات ومن ناحية بيئة التراكيب الاستفهامية ومن ناحية هدف كل كاتب - بصورة عامة - من بناء تركيبه الاستفهامى أقصد المعنى الأصلى للاستفهام طلب الفهم أو الخروج على هـذا المعنى الأصلى وكذلك دراسة هذه الأنماط من حـيث علاقتها بالإجابة .

وتتضح هذه الصورة عند عرض هذه الاختلافـات مجمعة فى أجيالهم الثلاثة - رواد - مؤسسين - محدثين على الشكل التالى :

أ - **الرواد** : يميلـون لبناء تـراكيب الاستفـهام من فعل مـضارع متعـد بعد الأداة ، وتراكيب استفهامهم طويلة وجاء عندهـم استفهام مركب ، ويظهر عندهم تراكيب الاستفـهام التى حذف منـها المستفهـم عنه، وكذلك الاستـفهام المقلوب، ويمـيلون لإنشاء تراكيبهم الاستفهامية معزولة عن بقية تراكيب الاستفهام . يظهر فى بنيتهم الاستفهاميـة الاسم بعد « ما » و« من» و« أين » ويميلون ميلا خـفيفًا لاستخدام تركيب الاسـتفهام لأداء معان إضـافية ، أى يخرج الاستفـهام عندهم علـى المعنى الحقيقى للاستفهام لكن ليس بدرجة كبيرة .

ب - **المؤسسون** : الفعل الذى يسـتخدم كثيرًا بعد أداة الاستفهام هـو المضارع المتعدى ولكن بدرجة أقل مما كان لدى الرواد إذ يشاركه الفعلان اللازم (ماضيا ومضارعا) والماضى (متعديا ولازما) . تراكيب الاستفهام عندهم قصيرة ، يوازنون بين إنشاء التركيب فى بيئة استفهامية وبين عـزلة ، ويميلون فى عطف تراكيب الاستفهام إلى الواو ، ويميلون ميلاً خفيفًا إلى استخدام التركـيب الاستفهامى للخروج على المعنى الأصلى للاستفـهام وكذلك يظهر عندهم الاسـتفهام الذى حذف منه المستـفهم عنه ولكن بصورة أكبر مما لدى الرواد .

جـ - **المحدثون** : يعود عند المحدثين الفعل المضارع للظهور الكثيف فى بداية تركيب الاستفهام ، ويعود مرة أخرى الاستفهام المقلوب ويظل الاستفهام الذى حذف منه المستفهم عنه موجودًا، ولكن استخدام الاستفهام المقلوب يصبح أكثر مما كان لدى الرواد ويغلب فى بنائهم لتركيب الاستفهام جعله قصيرًا وتظل الأدوات « ما » و «متى» و « أين » يكثر مجيىء الاسم بعدها.

ويميل المحدثون لبناء تراكيبهم الاستفهامية معزولة كما يستخدمون الاستفهام لتحقيق أهداف أخرى إضافية غير المعنى الأصلى للاستفهام .

ثانياً: الاتجاهات العامة للتغير فى أنماط الاستفهام

أ- حركة أدوات الاستفهام خلال القرن العشرين :

أ- مقدمة :

سيقوم هذا البحث بدراسة حركة أدوات الاستفهام خلال هذا القرن على الأسس التالية :

١- النسبة المئوية لدوران الأدوات - كل أداة لدى الكتاب - كل كاتب - وهذه النسبة المئوية مقيسة بعدد التراكيب المستخدمة .

٢- مقارنة استخدام الأدوات بين الكتاب بعضهم البعض .

٣- مقارنة استخدام الأدوات بين الأجيال الثلاثة على مدى القرن .

٤- ستشمل دراسة حركة الأدوات دراسة حركة نمطى الاستفهام غير المشتملين على أداة وهما الاستفهام محذوف الأداة والاستفهام غير المباشر .

٥- سيتم تناول الأدوات حسب النقاط المئوية الاعتبارية المسجلة مئويًا مجموعة لكل أداة رأسيًا حسب الجدول الموضح لذلك .

ب- الأدوات :

ستتم دراسة استخدام الأدوات فى التركيب على أساس تنازلى أى الأعلى فالأقل ويوضح الجدول التالى الصورة العامة لحركة الأدوات لدى الكتاب .

جدول (مئوى) لاستخدام الكتاب لأدوات الاستفهام

الأداة / الكاتب	كيف	هل	الهمزة	ما	لم ولماذا	من	أين	أم	[illegible]	[illegible]	متى	[illegible]	أنى	كم
المويلحى	١٧,٥	١٦,٥	١٥,٦	١٥,٦	٢,٥	٢,١	٦,١	٤,٢	٢,٨	٢,٢	١,٨	,٩	,٩	,٤
هيكل	-	٢٥,٨	٢٤,٦	١٥,٢	٨,٦	١,٥	٢,٢	٧,٢	١,٥	١٥,٢	-,٨	٥	١,٨	-
العقاد	٤,٢	٢٦	١٩,٥	١٢,١	-	٣,٤	٤,٣	١٣,٩	٣,-	٧,٢	-	٥,٢	,٤	-
تيمور	٢,٤	١٩,٢	٣٠,٩	٧,٧	٢,٤	٤,٢	٦,٢	١,٤	١١,٦	٤,٢	١,٩	٥,٢	-	-
الحكيم	٢,٤	٩,	٢٣,٣	١١,	١٠	٣,٣	٢,٤	٢,٨	٢٠,٧	٢,٤	-	٩,٧	-	-
يحيى حقى	٨,١	١٦,٣	٢١,٢	١٥,٤	١,٣	٦,٨	٣,١	٢,٧	٣,١	٧,٧	٣,١	١٠,٤	-	-
د. طه حسين	١٥,٥	٣,٦	٢٩,١	١٥,٥	٨,١	٣,٢	٣,٦	٢,٧	٢,٣	١١,٨	١,٤	-,٥	-	٢,٧
السباعى	٩,١	١٢,٣	٨,٧	٢٠,٥	٤,١	٤,٦	١,٨	٧,٨	٩,٦	١٨,٣	-	١,٨	١,٤	-
سعد مكاوى	٥,٥	٨,٥	٢٤,٢	٨,٥	-	٢,٥	٥,٥	٥,-	٩,	٦,-	٢,٥	٢,-	-	,٥
نجيب محفوظ	٦,	١٢,٤	٢١,٣	٨,٣	-,٩	٤,٦	٥,١	-,٤	٢٠,٤	١٢,-	٢,٧	٤,١	-	-
يوسف إدريس	٢,٣	١٢,	١٢,	١٢,٦	٢,٦	٥,٢	٨,٩	٢,٦	٤,٧	١٥,٧	-	١٥,٧	,٥	-
سروبال	١١,١	٩,٥	٧,٣	٢,٩	٢,٧	٦,٨	٣,٥	١,١	٢٤,٤	٤,٩	١,٦	١٣,٩	-	١,١
مستجاب	٣,٧	١٨,١	١١,٩	٨,٦	٢,٨	٧,٤	٨,٦	٤,٥	٨,٦	٦,٥	١,٢	١٠,٢	-	٢,٤
عبد المجيد	٢,١	١٨,٩	٨,٦	٤,٧	٣,-	٥,٦	٨,٦	٣,-	٤,٧	٩,-	١,٧	٢٠,-	-	-
المهد	٨,١	٢٥,٤	-,٩	٤,٥	١٢,٢	٧,٧	٤,٥	٢,١	١٠,-	٥,٤	٢,٧	٥,-	-	-
المجموع الاعتبارى	١٠٤,١	٢٤٤,٦	٢٧٧,٢	١٦٨,١	٧٢,٣	٧٥	٧٤,٦	٦٣,٥	١٥١,٤	١٢٨,٨	٢١,٤	١١٢,٧	٥,	٧,١

* استخدم د. هيكل اسم الاستفهام المركب « لماذا » مرتين فقط فى أربعمائة تركيب تقريبًا .

١- الهمزة :

هى الأداة الأكثر استخداماً - بصورة عامة - وذلك إذا نظرنا إلى الاستخدام الكلى للأداة قياساً إلى غيرها من أدوات الاستفهام ومع ذلك يمكن ملاحظة أن هذا الرأى قد يصبح أقل ثباتاً وقوة عندما نعرض الآتى :

أ- فى بداية القرن كان استخدام الهمزة لدى الرواد حوالى (١٧٪) من استخدام الكاتب لمجموع الأدوات وفى نهاية القرن أصبحت هذه النسبة (١٪) تقريباً من استخدام الكاتب لأدوات الاستفهام ، ويظهر ذلك التغير الشديد أو الحركة الهابطة للهمزة من ناحية نسبة استخدامها عند كل كاتب وهى حركة هابطة ضد الزمن .

ب- استخدام الرواد والمؤسسين لهمزة الاستفهام يمثل نسبة (٨٥٪) من الاستخدام الكلى للهمزة عبر القرن وبقيت نسبة (١٥٪) من هذا الاستخدام الكلى للمحدثين.

جـ- الرواد والمؤسسون استخدموا الهمزة بصورة متقاربة ومع ذلك يظهر تراجع الاستخدام لدى المؤسسين .

د- على مدى القرن تلاحظ أن سعد مكاوى - من جيل المؤسسين - أكثر الكتاب استخداماً للهمزة ثم محمود تيمور فطه حسين ثم هيكل فالحكيم .

هـ- على مدى القرن جاء القعيد أقل الكتاب استخداماً للهمزة - من جيل المحدثين - ثم سوريال عبد الملك ومحمد مستجاب فيوسف السباعى ويوسف إدريس وكلهم من المحدثين عدا السباعى فهو من المؤسسين .

و- الهمزة تتحرك فى اتجاه الضعف (من ناحية الاستخدام) من بداية القرن إلى نهايته .

ز- كل كتاب القرن استخدموا الهمزة فى تراكيب استفهامهم .

٢- هل :

حرف الاستفهام الذى احتل المركز الثانى فى الاستخدام الكلى فى القرن العشرين ، ويبدو من اتجاه حركة التغير أنه يزداد قوة فى الاستخدام فى حركة صاعدة مع الزمن . ويظهر ذلك أن هذا الحرف (هل) - الذى عده بعض النحاة القدماء ليس خاصاً بالاستفهام - فى طريقه لأخذ مكانة الهمزة فى وقت قريب .

أ- فى بداية القرن كانت نسبة استخدام «هل» حوالى (١٦,٥ ٪) من استخدام الكاتب لأدوات الاستفهام وينتهى القرن بنسبة تقترب من الضعف إذ بلغت ٣٥,٤٪ من استخدام الكاتب للأدوات .

ب- يتأكد السابق - أى الاتجاه لارتفاع نسبة الاستخدام - من مجموع استخدام الرواد والمؤسسين قياسًا بالمعاصرين والنسبة بالترتيب : الرواد (٣٩٪) والمؤسسين (٣٣٪) والمعاصرين (٣٨٪) وهذه الأرقام تبين أن حركة التغير فى التراكيب قد لاتبدى ثباتًا فى التقدم أو التأخر بصورة ثابتة بل أن التقدم يلاحظ بصورة عامة لثقل حركة التغير فى التراكيب والمعوائق التى يخلقها الاستخدام الفردى للغة ونوعية القبول والمتابعة لدى المتلقين ولطبيعة آلة القياس المعتمدة على أرقام قد يؤثر فى تكوينها العام أداء كاتب فى جيل عكس اتجاه بقية الكتاب .

جـ- أكثر الكتاب استخدامًا لـ «هل» يوسف القعيد ثم العقاد فهيكل ثم تيمور فإبراهيم عبد المجيد ، ويبين هذا الترتيب مصادقية اتجاه الزيادة فى الاستخدام ومصداقية الارتباط بأداء بعض الكتاب فى الأجيال المختلفة .

د- أقل الكتاب استخدامًا لـ «هل» د. طه حسين ثم سعد مكاوى وتوفيق الحكيم ثم سوريال عبد الملك ثم يوسف إدريس .

هـ- كل الكتاب استخدموا حرف الاستفهام «هل» على مدى القرن .

٣- ما :

اسم الاستفهام المستخدم لدى كتاب القرن بدرجة جعلته فى المركز الثالث بعد الهمزة و «هل» ، وهو إذا اعتبرنا بعض الآراء أصل «ماذا» و «لماذا» .

أ- فى بداية القرن كان استخدام اسم الاستفهام «ما» أقوى أى أكثر استخداما من استخدامه فى نهاية القرن فقد حقق فى بداية القرن حوالى (١٦ ٪) عند بعض الكتاب وفى نهاية القرن سجل حوالى (٤,٥ ٪) .

ب- يتأكد السابق من ملاحظة أن المحدثين سجلوا أدنى نسبة فى الاستخدام لـ «ما» قياسًا بالمؤسسين والرواد والنقاط الاعتبارية المسجلة لكل بالترتيب التنازلى (٦١ نقطة) للرواد و (٦٨ نقطة) للمؤسسين و (٣٨ نقطة) للمعاصرين .

جـ- يوسف السباعى أكثر كتاب القرن استخدامًا لـ «ما» ثم المويلحى فطه حسين فيحيى حقى فهيكل .

د- أقل الكتاب استخدامًا لـ «ما» القعيد ثم إبراهيم عبد المجيد ثم تيمور وسوريال ونجيب محفوظ .

هـ- كل الكتاب على مدى القرن استخدموا اسم الاستفهام «ما» فى تراكيبهم الاستفهامية .

٤- الاستفهام محذوف الأداة :

هو أحد أنماط الاستفهام المعروفة والمعترف بها فى العربية قديمها وحديثها وعلى الرغم من التغيرات الكثيرة - ذات الأهمية - التى طرأت عليه[1] لا أنه لايزال محتفظا بمكانة عالية من حيث كثرة الاستخدام ومن حيث قدرته على أداء معنى الاستفهام وإن ازداد اعتماده على السياق السابق ثم اللاحق خاصة إذا كان اللاحق إجابة عليه أو استفهامًا آخر يؤكده أو يفسره .

أ- فى بداية القرن كان هذا النمط «محذوف الأداة» ضعيفًا ولكنه أصبح أكثر قوة (كثرة الاستخدام) مع نهاية القرن وذلك بالنظر إلى مساره هو أو مسار غيره من أدوات الاستفهام ، إذ بدأ النمط القرن بما يعادل (٣٪) من استخدام الكاتب وأنهى القرن بما يعادل (١٠٪) من استخدام الكاتب .

ب- يتأكد السابق من ملاحظة أن جيل الرواد سجلوا حوالى خمسًا وأربعين نقطة اعتبارية وسجل قريبًا منها المؤسسون وسجل المحدثون حوالى ثلاثًا وستين نقطة اعتبارية .

جـ- أكثر الكتاب استخدامًا لهذا النمط سوريال عبد الملك ثم توفيق الحكيم ثم نجيب محفوظ ثم تيمور ويوسف السباعى .

د- أقل الكتاب استخدامًا لهذا النمط الاستفهامى هيكل ثم د. طه حسين والمويلحى والعقاد ويحيى حقى .

هـ- كل الكتاب استخدموا هذا النمط من أنماط الاستفهام .

---

(١) تعتبر أهم التطورات التى طرأت على هذا النمط هو فكرة الحذف نفسها إذ كانت تعنى حذف الأداة فقط ولكنها أصبحت تشمل الآن حذف الأداة وبعض أركان التركيب الرئيسية .

٥- «ماذا» :

تأتى فى المرتبة الخامسة من حيث الاستخدام على مدى هذا القرن وهى وإن عدت عند الجميع مشتقة من «ما» فمفهوم الأصل والفرع يظل ساريًا طالما ظل الفرع ضعيفًا فإذا تساوى الإثنان بدأ مفهوم الفرع والأصل يضعف وإذا تقدم فى الاستخدام الفرع على الأصل فمفهوم الفرع والأصل إن لم يضمحل فسيصبح مثاراً للشك فى أيهما الفرع وأيهما الأصل ؟

- بدأ استخدام «ماذا» القرن ضعيفًا إلا أنه فى نهاية القرن أصبح استخدام «ماذا» أكثر مماكان عليه .
- يشكل استخدام المؤسسين أعلى نسبة قياسًا للرواد والمحدثين وهذا يوضح أن حركة التراكيب صعودًا أو هبوطًا لاتتخذ وتيرة واحدة ثابتة فى الصعود أو الهبوط بل يبدو (الصعود) (كثرة الاستخدام) والهبوط (قلة الاستخدام) عند النظر إلى مجمل صورة حركة التركيب ولذا يمكن القول إن استخدام «ماذا» يكثر «يتغير مع الزمن فى اتجاه الكثرة» بصورة عامة وإن شهد طفرة فى منتصف القرن مع المؤسسين .
- أكثر الكتاب استخدامًا لاسم الاستفهام المركب «ماذا» يوسف السباعى ثم يوسف إدريس وهيكل ثم نجيب محفوظ فالدكتور طه حسين .
- أقل الكتاب استخدامًا لإسم الاستفهام «ماذا» المويلحى ثم الحكيم ثم تيمور فسوريال فالقعيد .
- كل الكتاب استخدموا اسم الاستفهام المركب «ماذا» فى تراكيبهم الاستفهامية خلال القرن .

٦- «لماذا» :

يأتى هذا الإسم المركب من ناحية الاستخدام فى المرتبة السادسة مباشرة بعد «ماذا» دخل عليه حرف الجر والسببية «اللام» إلا أنه ينطبق عليه ما ذكر سابقًا من فكرة الأصل والفرع عندما ينمو الفرع ويزداد فى الاستخدام ليشير مع اقترابه من كثافة استخدام الأصل إلى قرب انفصاله واستقلاله ويساعد على ذلك التفكير إن «لماذا» سؤال عن سبب الحدوث و «ما» و «ماذا» سؤال عن الحدوث «لماذا فعل أو يفعل» ؟ مقابل «مافعل أو يفعل» ؟ و «ماذا فعل أو يفعل» ؟ .

أ- يبدأ القرن واستخدم الكتاب لـ «لماذا» ضعيف ولكنه يتضاعف خمس مرات مع نهاية القرن القرن وهـذه الحركة المتصاعدة فى عـدد مرات الاستخدام تتضمـن أبرز تمثيل لحركة تغيـر التراكيب - فى مجال الاستـفهام - حيث بدأ استخـدام «لماذا» ضعيفًا للغاية استخدمه د. هيكل مرتين فقط ضـمن مايقارب أربعمائة تركيب ثم شهد نمواً متزايدًا فى الاستخدام مع المؤسسين ليأتى المحـدثون فيرفعونه إلى أقصى استخدام له حيث استخدمه المحدثون بنسبة تقرب من ثلاثة أرباع الاستخدام الكلى له على مدى القرن .

ب- أكثر الـكتاب الذين اسـتخدموا «لماذا» إبـراهيم عبـد المجيد ثم يوسـف إدريس ثم سوريال عبد الملك ثم يحيى حقى ثم مستجاب وأكثر هؤلاء من المحدثين .

جـ- أقل الكتاب استخدامًا لـ «لماذا» د. هيكل و د. طـه حسين ثم المويلحى ثم السباعى ثم سعد مكاوى[1] .

د- استخدم كل الكتاب فى تراكيبهم الاستفهامية «لماذا» على طول هذا القرن .

٧- «كيف» :

إحدى أدوات الاستفهام متوسطة الاستخدام لدى كتاب القرن بصورة عامة .

أ- بدأت «كيف» الـقرن ضعيفة الاسـتخدام لدى الرواد ثم بـلغت أعلى درجة لـها مع المؤسسين ثم عادت إلى التراجع قليلاً مع المحدثين وإن كانت لاتزال أكثر استخدامًا لديهم مما كانت عند الرواد .

ب- يتأكد نوعـية الحركة المسجلة لتراكيب الاستفهام مع بعض الأدوات الأخرى بداية ضعيفة ثـم قوة (كثرة فى الاستخدام) ثـم درجة من التراجع (استخـدام أقل) ولكن أكثر مما كانت عليـه فى البداية مما يسمح بالقول أن تركيب «كـيف» يتغير فى اتجاه القوة - كثرة الاستخدام .

جـ- أكثر الـكتاب استخدامًا لـ «كـيف» المويلحى ثـم طه حسين وسوريال ويحـيى حقى والقعيد واحد من الخمسة من الرواد والباقون من المؤسسين والمحدثين .

د- أقل الكـتاب استخـدامًا لـ «كيف» إبراهـيم عبد المجـيد وتوفيق سـالحكيم وتـيمور ومستجاب والعقاد .

---

(١) لم يرد فى القرآن تركيب استفهام بـ «لماذا» .

هـ- كل الكتاب استخدموا اسم الاستفهام «كيف» فى بناء تراكيبهم الاستفهامية عدا د. هيكل .

٨- «من» :

أحد أسماء الاستفهام قليلة الاستخدام عند كتاب القرن العشرين .

أ- يمثل اسم الاستفهام «من» تمثيلاً واضحًا حركة التركيب المتغيرة من ناحية القوة والضعف فهذا الاسم انتقل من الضعف - قلة الاستخدام - فى بداية القرن عند الرواد إلى درجة متوسطة من القوة - كثرة الاستخدام - عند المؤسسين إلى أعلى درجة من القوة - على أيدى المحدثين من كتاب الطور الأخير فى هذا القرن وهو اتجاه صاعد لايتضمن تراجعات .

ب- أكثر الكتاب استخدامًا لإسم الاستفهام «من» يوسف القعيد ثم مستجاب ثم المويلحى ثم يحيى حقى وسوريال عبد الملك .

جـ- أقل الكتاب استخدامًا لـ «من» الاستفهامية هيكل وطه حسين وتوفيق الحكيم والعقاد وسعد مكاوى .

د- استخدم الكتاب جميعًا اسم الاستفهام «من» فى تراكيبهم الاستفهامية .

٩- أين :

اسم استفهام ضعيف الاستخدام طوال القرن قياسًا إلى سابقيه من أسماء الاستفهام.

أ- تظهر حركة هذا الاسم نمطًا من أنماط التغير فى التراكيب حيث بدأ القرن قويًا «قياسًا إلى آدائه هو» ثم ضعف قليلاً ثم عاد مرة أخرى إلى القوة أكثر مما كان فى بداية القرن ، إذ بدأ أقوى عند الرواد منه عند المؤسسين ثم ازداد قوة عند المحدثين.

ب- أكثر الكتاب استخدامًا لإسم الاستفهام «أين» يوسف إدريس ثم مستجاب فإبراهيم عبد المجيد ثم تيمور والمويلحى .

جـ- أقل الكتاب استخدامًا لـ «أين» يوسف السباعى وهيكل وتوفيق الحكيم ويحيى حقى وسوريال عبد الملك .

د- على مدى القرن العشرين شارك الكتاب جميعهم فى استخدام اسم الاستفهام «أين» فى تراكيبهم .

١٠- غير المباشر :

إحدى صور اللغة المعبرة عن حقيقة تداخلها ، فكما نستطيع التقرير أو التوكيد أو غيرهما من المعانى عن طريق الاستفهام كذلك نستطيع أن نخبر عن الاستفهام أو نحكيه عن طريق الفعلين سأل وأجاب ومرادفات الاثنين ومشتقاتهما ، ويمكن أن يستغنى الكاتب عن هذين الفعلين إن كان السياق قادراً على إيصال المعنى المراد للمتلقى (معنى الاستفهام) .

أ- تبدو حركة هذا النمط من الاستفهام متخذة شكل البداية القوية «قياسًا إلى النمط نفسه» وقد تحقق ذلك فى نسبة استخدام الرواد للاستفهام غير المباشر وبعد البداية القوية تأتى مرحلة من الضعف عند المؤسسين ثم عودة إلى القوة مرة أخرى لدى المحدثين وهذه العودة تحققت بنسبة استخدام أعلى مما لدى الرواد .

ب- أكثر الكتاب استخدامًا لهذا الأسلوب القعيد ثم الحكيم ثم هيكل ثم مستجاب ثم المويلحى .

جـ- أقل كتاب القرن استخدامًا لهذا الأسلوب يحيى حقى ويوسف إدريس ثم سوريال ثم إبراهيم عبد المجيد وتيمور .

د- لم يستخدم الاستفهام غير المباشر العقاد ولا سعد مكاوى ومع ذلك لم ينقطع هذا النمط الاستفهامى طوال القرن فى أى حلقة من الحلقات الثلاث (الرواد - المؤسسون - المحدثون) .

١١- «أى» :

من أسماء الاستفهام ضعيفة الاستخدام على مدى القرن العشرين .

أ- تبدو حركة تراكيب الاستفهام بـ «أى» متجهة إلى الضعف بثبات ضد الزمن إذ كان استخدام «أى» فى منتهى قوته فى بداية القرن على يد الرواد ثم صار أضعف (أقل استخدامًا) مع المؤسسين ووصل إلى أقصى نقطة ضعفه عند المحدثين .

ب- أكثر الكتاب استخدامًا لـ «أى» العقاد ثم السباعى ثم هيكل ثم سعد مكاوى ثم مستجاب .

جـ- أقل الكتاب استخدامًا لـ «أى» نجيب محفوظ ثم سوريال ثم تيمور ثم يوسف إدريس ثم طه حسين .

د- لم ينقطع استخدام «أى» طوال القرن على الرغم من ضعف الاستخدام إذ شارك كل الكتاب فى استخدامه .

١٢- «متى» :

ثالث أقل الأسماء - أسماء الاستفهام - استخدامًا هذا القرن واستخدامه على مدى القرن يترواح بين غاية الضعف وعدم الاستعمال أو الاستعمال بدرجة محدودة من القوة.

أ- تظهر حركة تغير استخدام «أى» نوعًا من حركة التراكيب غير منتظمة الاتجاه من ناحية الخصوص والمنتظمة من ناحية العموم إذ بدأ التركيب ضعيفًا (قليل الاستخدام) وذلك فى بداية القرن لدى الرواد ثم بلغ أقصى قوة له (كثرة الاستخدام) عند المؤسسين ثم تراجع عن ذلك قليلاً لدى المحدثين .

ب- أكثر الكتاب استخدامًا لـ «متى» يحيى حقى ونجيب محفوظ ويوسف القعيد وسعد مكاوى .

جـ- أقل الكتاب استخدامًا لـ «متى» هيكل ومستجاب والمويلحى وسوريال وإبراهيم عبد المجيد وتيمور .

د- أربعة كتاب لم يستخدموا «متى» فى أعمالهم من الرواد اثنان وثالث من المؤسسين والرابع من المحدثين وهم العقاد والحكيم ويوسف السباعى ويوسف إدريس .

١٣- «كم» :

ثانى أقل أسماء الاستفهام استخدامًا خلال القرن العشرين .

أ- استخدام «كم» ضعيف للغاية لدى كتاب القرن العشرين ويبدو هذا الضعف شديدًا (قلة الاستخدام) لدى الرواد ثم يتحرك قليلاً إلى القوة عند المؤسسين ثم يزداد قوة لدى المحدثين وإن بدا هذا التحرك ضعيفًا إلا أنه يعبر بصدق عن بطء حركة التراكيب أصلاً وعن صعوبة متابعته .

ب- أكثر الكتاب استخدامًا لـ «كم» د. طه حسين ثم مستجاب .

جـ- أقل الكتاب استخدامًا لـ «كم» محمد المويلحى ثم سعد مكاوى .

د- عشرة كتاب لم يستخدموا «كم» فى تراكيبهم الاستفهامية . وذلك مقابل خمسة كتاب . وأولئك الذين لم يستخدموها من الرواد والمؤسسين والمحدثين .

١٤- «أنى»:

أقل أسماء الاستفهام استخدامًا طوال القرن العشرين .

أ- استخدم الكتاب اسم الاستفهام «أنى» طوال القرن استخدامًا ضعيفًا (قلة الاستخدام) ولكن مع هذا الضعف تبدو حركة التركيب هابطة ضد الزمن إذ استخدم الرواد «أنى» أكثر مما استخدمها المؤسسون واستخدمها المحدثون أقل مما استخدمها المؤسسون بله الرواد .

ب- تظهر سرعة حركة أو تغير التركيب أوضح إذ لاحظنا أن المؤسسين استخدموا «أنى» نصف عدد مرات استخدام الرواد . وأن المحدثين استخدموا «أنى» ثلث استخدام المؤسسين أى أنهم استخدموها سدس استخدام الرواد .

جـ- أكثر الكتاب استخدامًا لـ «أنى» د. هيكل ثم يوسف السباعى .

د- أقل الكتاب استخدامًا لـ «أنى» العقاد ثم يوسف إدريس .

هـ- لم يستخدم عشرة كتاب «أنى» مطلقًا فى كتابتهم[١] .

ب- حركة تراكيب الاستفهام خلال القرن العشرين :

١- الهمزة :

أ- الصورة العامة لبنية تركيب الاستفهام بالهمزة :

لاتزال الهمزة وتراكيبها تتصدر جداول الاستخدام لأدوات الاستفهام على الرغم من الضعف الشديد الذى أصيبت به (قلة الاستخدام) فى أواخر القرن إلا أنه فى المجموع الاعتبارى لاستخدام أدوات الاستفهام على مدى القرن لاتزال فى المقدمة وإن اقتربت منها أدوات أخرى حرفية وإسمية .

أ- على طول القرن استخدم كل الكتاب همزة الاستفهام فى بناء تراكيبهم الاستفهامية ويلاحظ على هذا الاستخدام بصورة عامة ميل الجميع لاستخدام نفى بعدها أكان هذا النفى بحرف وهو الأكثر أو بفعل (ليس) وهو الأقل .

---

(١) توحى حركة «أنى» بأنها فى طريقها للاختفاء وقد يعيد إليها الكتاب قوتها باستخدامها كثيرًا مرة أخرى وربما ضعفت للاستغناء عنها بـ «كيف» و «متى» .

ب- الرواد استخدموا حرف نفى بعد الهمزة ثم فعل مضارع كثيراً واستخدموا النفى بـ «ليس» قليلاً وزواج القليل الباقى منهم فى استخدامه بين النفى بالحرف والنفى بـ «ليس» واختلف عنهم المؤسسون إذ نفوا بـ «ليس» قليلاً واستخدموا فعلاً مضارعًا مثبتًا بعد الهمزة قليلاً ونفوا بالحرف كثيراً ، أما المحدثون فاستخدم الكثير منهم المزواجة فى النفى بـ «ليس» وبالحرف بالدرجة نفسها التى نفوا بها بحرف وقليلا ما استخدموا النفى بـ « ليس » وحدها دون مزاوجة . الإجماع موجود على النفى والتغير فيما ينفى به ، حرف وبعده فعل مضارع ، أو ليس وبعدها جملة اسمية وندر استخدام فعل مضارع مثبت بعد الهمزة عند الجميع .

جـ- على مدى القرن يكثر الكتاب من استخدام المضارع المتعدى ومعه يرتبون غالبًا الجملة فعل فاعل مفعول أو فعل مفعول . ونادرًا ما يستخدمون فعل مفعول فاعل .

د- عند الرواد والمؤسسين ورد قليلاً تركيب استفهام بالهمزة مركب تاليًا لاستفهام يبدأبـ «هل» . وهذا النوع من الاستفهام المركب بالهمزة لم يستخدمه المحدثون .

هـ- عندما استخدم الرواد تراكيب الاستفهام بالهمزة فإنهم أنشأوها فى بيئة استفهامية ووزع المؤسسون تراكيبهم بالهمزة بين إنشائها فى بيئة استفهامية وبين إنشائها معزولة بالنسبة نفسها وقليل منهم زواج بين إنشائها فى بيئة استفهامية وبين إنشائها معزولة واستمر ذلك التوزيع عند المحديثن .

و- هدف الرواد من تركيب الاستفهام بالهمزة ليس أداء المعنى الأصلى للاستفهام غالبًا ، ونادرًا ما استخدموا هذا التركيب لأداء المعنى الأصلى ولكن المؤسسين والمحدثين لم يستخدموا هذا التركيب مطلقًا لأداء المعنى الأصلى بل غلب على استخدامهم له الخروج على المعنى الأصلى وزواج بعضهم فى استخدامه بين إراد المعنى الأصلى للاستفهام والخروج عليه ولذا يمكن القول إن الخروج على المعنى الأصلى مشترك لدى الجميع أضاف إليه الرواد إرادة المعنى الأصلى (قليلاً) وأضاف إليه المؤسسون والمحدثون المزواجة بين إرادة المعنى الأصلى والخروج قليلاً على المعنى الأصلى - الحقيقى - للاستفهام .

ب- الصورة الخاصة لملامح جزئية فى بنية تركيب الاستفهام بالهمزة:

١- المويلحى يعطف بالنسبة نفسها تركيب الهمزة بالفاء والواو ، ويندر عنده دخول الهمزة على اسم .

٢- د. هيكل يستخدم فى تركيب الهمزة الفعل المضارع الناسخ كثيراً ويعطفه على غيره بالفاء .

٣- يميل العقاد إلى استخدام مضارع متعد وتظهر عنده أحيانًا صورة فعل مفعول فاعل ويظهر عنده الاستفهام المركب .

٤- محمود تيمور يدخل الهمزة على اسم قليلاً ولكنه ينوع التركيب عند إدخال الهمزة عليه (على الاسم) .

٥- توفيق الحكيم يستخدم الفعل «ترى» كثيرًا بعد الهمزة وفى جواب الهمزة المنفية لايستخدم «بلى أو نعم + النفى» .

٦- عندما يضع يحيى حقى تركيب الاستفهام بالهمزة فى بيئة استفهامية يجعل تراكيب الهمزة تتوالى .

٧- د. طه حسين يوازن بين إنشاء التركيب فى بيئة استفهامية وإنشائه معزولاً ويوازن بين هدفى التركيب أى إرادة المعنى الحقيقى للاستفهام والخروج عليه .

٨- يوسف السباعى يستخدم الفعل «يظن» بعد الهمزة كثيرًا ويظهر عنده الاستفهام المركب .

٩- سعد مكاوى عندما يدخل الهمزة على اسم فالغالب مجيىء الاسم ضميرًا .

١٠- نجيب محفوظ النفى بـ «لم» فى تراكيب الهمزة كثير عنده .

١١- تراكيب الهمزة عند يوسف إدريس طويلة ويستخدم الفعل الماضى الناسخ بصورة ملحوظة .

١٢- سوريال عبد الملك فى تركيب الهمزة إذا استخدم فعلاً متعديًا يقدم المفعول على الفاعل .

١٣- إبراهيم عبد المجيد يكثر من تراكيب النداء قبل وبعد تركيب الاستفهام .

١٤- القعيد نادرًا ما يستخدم الهمزة فى الاستفهام وعند استخدامها يدخلها فى نفى بالحرف أو الفعل .

٢- «هــل»

أ- الصورة العامة لبنية تركيب الاستفهام بـ« هل »:

١- على مدى القــرن العشرين كله احـتفظت «هــل» بخصــوصية دخولها علـــى جملة فعلية غدا كاتب واحد خرج على هذا الإجماع .

٢- الفعل المـضارع هو الفعل الغـالب على استخدام الكـتاب في تركيب الاستـفهام بـ «هل» .

٣- يغلب مجـيىء المضارع متعديًا ولذلك فـصورة التركيب بعد «هل» فـعل مفعول أو فعل فاعل مفعول .

٤- يظهر فى تراكيبها الاستفهام المقلوب .

٥- ويظهر فى تراكيبها الاستفهام المركب .

٦- يميل الكتاب إلـى جعل الاستفهام بـ «هل» وسط بيـئة استفهامية مكثـفة ويكثر من استخدام نفس الأداة فى تجاور مع «هل» المدروسة .

٧- استخـدام تركيب الاسـتفهام بـ «هـل» لأداء معان إضافيـة أو الخروج على المـعنى الحقيقى للاستفهام هو السمة الغالبة على كتاب القرن العشرين .

٨- الرواد لم يقابلوا الاستفهام بـ «هل» بـ «أم» . وظهر ذلك عند المؤسسين والمحدثين.

٩- ظهر الاستفـهام المركب الذى يبدأ بـ «هـل» عند الرواد واختفى عنـد المؤسسين ثم ظهر مرة أخرى عند المحدثين .

١٠- يميـل المحدثـون إلى عـزل تركيـب الاستـفهـام بـ «هل» أكـثر ممـا فعـل الرواد والمؤسسون.

١١- يستخدم الرواد «الواو» فـى عطف تركيب الاستفهام بـ «هل» أكثـر من استخدامهم للفاء وكذلك فعل المؤسسون وعكس المحدثون الأمـر فعطفوا التركيب «بالفاء» أكثر من عطفهم للتركيب «بالواو» .

١٢- عنـد المحدثين ظـهر تركـيب الاستفـهام المقـلوب أى جاءت «هـل» آخر تركـيب الاستفهام ولـم يظهر هذا التركيب عند الرواد ولا عند المؤسسين .

ب- الصورة الخاصة لملامح جزئية فى بنية تركيب الاستفهام بـ « هل » :

١- عند المويلحى تركيب الاستفهام بـ «هل» طويل .

٢- عند هيكل يكثر ورود «أن + فعل مضارع» مفعولاً به ويستخدم كثيرًا حرف الجر الزائد «من» فى تركيب الاستفهام بـ «هل» .

٣- يستخدم العقاد الفعل «ترى» كثيرًا بعد «هل» بمعنى «تظن» . وعند العقاد أيضًا يبدأ ظهور تركيب الاستفهام المركب الذى يبدأ بـ «هل» ثم يركب معه استفهامًا آخر بالهمزة .

٤- عند الحكيم تتساوى نسبة إنشاء تركيب «هل» فى بيئة استفهامية مع نسبة إنشائه معزولاً .

٥- يحيى حقى يستعمل حرف الجر الزائد «من» فى تراكيب «هل» .

٦- يحافظ د. طه حسين على ترتيب الجملة الفعلية «فعل فاعل مفعول» ولا يخرج عليه مطلقًا .

٧- يعادل يوسف السباعى بـ «أم» الاستفهام بـ «هل» .

٨- تركيب الجملة الفعلية عند نجيب محفوظ « فعل مفعول » أكثر « من فعل فاعل مفعول » مع « هل » .

٩- يعادل إدريس «أم» بـ «هل» كثيرًا ويظهر عنده الاستفهام المركب الذى يبدأ بـ «هل».

١٠- يظهر عند سوريال تركيب الاستفهام بـ «هل» المقلوب .

١١- محمد مستجاب وإبراهيم عبد المجيد يعطفان تركيب الاستفهام بـ «هل» بالفاء كثيرًا.

٣- «ما» :

أ- الصورة العامة لبنية تركيب الاستفهام بـ « ما » :

١- احتفظ اسم الاستفهام «ما» بخصوصية دخوله على اسم طوال القرن .

٢- عند الرواد شارك الفعل المضارع الاسم فى المجيىء بعد «ما» وازداد ذلك عند المؤسسين ولكن عند المحدثين اختفى ظهور الفعل بعد «ما» .

٣- أكثر ما يكون الاسم الذى تدخل عليه «ما» مضافًا .

٤- يظهر بعد « ما » ضمير الغائب والغائبة (هو / هى) فاصلاً بينها وبين الاسم المستفهم عنه بـ «ما» «ماهو الـ» وهذه البنية تظهر لدى الكتاب طوال القرن ولكنها تزداد عند المحدثين .

٥- يظهر فى تركيب «ما» حذف المستفهم عنه والاكتفاء بوجود الأداة ودلالة السياق وذلك طوال القرن ولكنها تتجه للزيادة (القوة) فهى عند المؤسسين أكثر منها عند الرواد وكذلك تقوى ظاهرة حذف المستفهم عنه لدى المحدثين بصورة تفوق ما لدى المؤسسين .

٦- تركيب الاستفهام بـ «ما» يستخدم معزولاً عن بقية تراكيب الاستفهام لدى كل كتاب القرن ويستخدم وسط تراكيب استفهامية أخرى لدى كل الكتاب وعند الرواد يعادل بعضهم بين الاثنين ويزداد هذا الاتجاه لدى المؤسسين ولكن عند المحدثين يختفى هذا التوازن ويميل الكتاب لعزله ويأتى عند بعضهم فى بيئة استفهامية ولكنه لايوازنون بين الحالتين كما فعل الرواد والمؤسسون .

٧- يستخدم الاستفهام بـ «ما» لأداء المعنى الأصلى للاستفهام أو للخروج عليه لأداء أغراض أخرى وأحيانًا يوازن الكتاب فى استخدامهم للتركيب بين المعنيين . استخدم الرواد تركيب الاستفهام بـ «ما» للخروج على المعنى الحقيقى للاستفهام غالبًا وقليلاً ما استخدموه لأداء المعنيين وبنفس النسب تابعهم المؤسسون أى غالبًا للخروج على المعنى الأصلى وقليلاً لأداء المعنيين وجاء الرواد فلم يستخدموا تركيب الاستفهام بـ «ما» إلا للخروج على المعنى الأصلى للاستفهام .

ب- الصورة الخاصة لملامح جزئية فى بنية تركيب الاستفهام بـ « ما » :

١- المويلحى تراكيبه بـ «ما» قصيرة ويعطفها على سابقها بالواو .

٢- د. هيكل عند استخدامه لفعل يأتى مضارعًا متعديًا متخذًا صورة فعل فاعل مفعول أو فعل مفعول .

٣- العقاد يندر استخدامه لفعل بعد «ما» ويوازن بين هدفى التركيب .

٤- يحيى حقى يكرر الاستفهام بـ «ما» بصورة متوالية .

٥- د. طه حسين يستخدم الفعل «عسى» بتصرفاته المتنوعة بعد «ما» . ويوازن بين هدفى التركيب .

٦- توفيق الحكيم يميل لاستخدام حرف جر قبل «ما» .

٧- السباعى يميل لاستخدام حرف الجر اللام قبل «ما» وحرف النفى «لا» بعدها ويظهر عنده الاستفهام المركب الذى يكون «ما» شريكًا فيه .

٨- يوسف إدريس يعطف تركيب الاستفهام بـ «ما» على غيره بالفاء أكثر مما يعطفه بالواو .

٩- عند سوريال يدخل «ما» على جار ومجرور كثيرًا ويغلب مجيىء الفعل بعد «ما» عنده ناسخًا .

١٠- مستجاب تركيبه الاستفهامى بـ «ما» قصير معطوف على غيره بالفاء .

١١- يوسف القعيد يدخل حرف الجر «اللام» كثيرًا على «ما» .

٤- الاستفهام محذوف الأداة :

أ- الصورة العامة لبنية تركيب الاستفهام محذوف الأداة :

وهو استفهام تحذف منه الأداة اعتمادًا على السياق[١] ومن خلال اسمه فهو استفهام كامل لاتنقصه إلا الأداة التى حذفت لغرض ، ولكنه تعرض على مسار القرن لنوع من التغير إذ لم يكتف فيه بحذف الأداة بل حذف منه بعض الأوكان أيضًا فصار اعتماده على السياق أكثر ويبدو من الملاحظة العامة للتراكيب أنه كلما حذف من تركيب الاستفهام هذا أكثر كلما اعتمد أكثر على السياق وكلما احتاج لبيئة استفهامية وكلما احتاج لجواب مباشر عن الاستفهام .

أ- على طول القرن شارك الكتاب فى هذا النوع من الاستفهام وهو عندهم جملة اسمية أو فعلية أو مركب (إضافى أو وصفى أو جار ومجرور أو بدل ومبدل منه) أو مفردة (علم أو معرف بـ «ال» أو اسم إشارة) وهذه الأنواع الثلاثة استخدمها الرواد مع ميلهم لبقاء جملة كاملة بعد حذف الأداة ولم يستخدم المؤسسون إلا نوعين

(١) كان يطلق عليه عند البعض من الباحثين الاستفهام بالتنغيم ورد عليهم بأن كل استفهام يصاحبه تنغيم الاستفهام وإن زادت الطبقة فى محذوف الأداة إلا أن ذلك وإن لحظ فى اللغة المسموعة فلن يلحظ فى اللغة المكتوبة .

الجملة والمركب (الوصفى) وكذلك فعل المحدثون ولكن بتنويع آخر إذ لم يستخدموا إلا الجملة والمفردة .

ب- الغالب تقدير الهمزة بعد الجمل ، ويشارك الهمزة فى المركبات والمفردات بعض أسماء الاستفهام أهمها «من» و «ما» و «أين» وذلك عند تقدير أداة الأداة المحذوفة .

جـ- تراكيب الاستفهام محذوفة الأداة قصيرة غالبًا لحذف بعض أركانها .

د- التركيب عند الرواد يأتى معزولاً فى الغالب وكذلك عند المؤسسين والمحدثين وإن كان عند المحدثين يزداد وضعه فى بيئة استفهامية .

هـ- يتعادل هدفا التركيب عند الرواد أى تحقيق المعنى الأصلى للاستفهام والخروج عليه ويميل المؤسسون فى استخدامهم له إلى تحقيق المعنى الأصلى للاستفهام ويعود المحدثون للتوسط مع ميل قليل لأداء المعنى الأصلى .

ب- *الصورة الخاصة* لملامح جزئية فى بنية الاستفهام محذوف الأداة :

١- المويلحى وضع تراكيب استفهامه محذوفة الأداة متجاورة وحذف من التركيب أكثر من الأداة (ما يتبقى من التركيب مركب غالبًا) أى ليس لفظًا مفردًا.

٢- ويضع العقاد تراكيبه محذوفة الأداة فى بيئة استفهامية من نفس النوع (ما يتبقى من التركيب مفرد غالبًا) (أى ليس مركبا) .

٣- الحكيم يمهد للاستفهام محذوف الأداة بـ «سأل» وللإجابة بـ «أجاب» .

٤- لم يستخدم د. طه حسين فى هذا النوع من الاستفهام إلا الجملة ولا يقدر محذوفًا عنده إلا الهمزة أى أنه لم يتجاوز الصورة القاعدية المعروفة عن الاستفهام محذوف الأداة .

٥- سعد مكاوى يستخدم هذا النوع من الاستفهام كثيرًا .

٦- عندما يستخدم سوريال هذا النوع غالبًا ما يكون جملة فعلية فعلها مضارع .

٧- مستجاب تقدر - أحيانًا - الأداة المحذوفة عنده بـ «كم» أو «كيف» .

٥- ماذا :

أ- الصورة العامة لبنية الاستفهام بـ « ماذا » :

١- على مدى القرن العشرين لم تدخل «ماذا» إلا على فعل .

٢- المضارع هو الفعل الذى تدخل عليه «مــاذا» غالبًا فى الحلقات الثلاث مع وجود اتجاه لتخلـيص «ماذا» للمضــارع فى الحلقة الثالــثة «المحدثين» إذ شارك النــاسخ والماضى الفعل المضارع فى الحلقة الأولى وشارك الماضى المضارع فى الحلقة الثانية .

٣- يغلب مجيىء الفعل متعديًا مستوفيًا مفعوله فى تركيب « ماذا » عند الجميع .

٤ - يظهر تركيب الاستــفهام الذى حذف منه المستفهم عنه وبقــيت الأداة وحدها معتمدة على الــسياق السابــق - خصوصًا إن كان استــفهامًا آخر - واعــتمادًا على الــسياق اللاحق - خــصوصًا إن كان إجابة عــلى الاستفهام . وهــذا التركيب مــوجود فى الحلقات الثلاث ممثلا فى كاتبين فى كل حلقة من الحلقات الثلاث .

٥- يظهر تركيب الاستفهام المقلوب فــى الحلقات الثلاث إلا أنه يزداد ظهورًا فى الحلقة الثالثة إذ وجد هذا النوع من التركيب لدى كاتب فى الحلقة الأولى وآخر فى الحلقة الثانية وثلاثة كتاب فى الحلقة الثالثة .

٦- تركيب الاستفهام بــ «ماذا» يميل كتاب القرن إلى إنشائه فى بيــئة استفهامية إلا أن هناك حركــة واضحة تتجه إلــى زيادة جعل التركــيب معزولاً إذ جاء معــزولاً عند كتاب الحلقة الثالثة جميعًا مقابل مرة واحــدة عند كتاب الحلقة الثانية ومقابل مرتين عند كتاب الحلقة الأولى .

٧- يهدف كتاب القرن إلى معانٍ أخرى غير المعنى الأصلى للاستفهام وذلك على مدى القرن كله - أربع مرات عــند كتاب الحلقة الأولى وخمس مرات عنــد كتاب الحلقة الثانية ، وخمس مرات أخريات عند كتاب الحــلقة الثالثة وهذا يوضح اتجاهًا لتزايد استخدام الاستفهام بـ «ماذا» لأداء أغراض أخرى غير الغرض الأصلى للاستفهام .

ب- الصورة الخاصة لملامح جزئية فى بنية الاستفهام بـ « ماذا » :

١- عند المويلحى التركيب ليس قصيراً ولا طويلاً أى يضيف توابع قليلة .

٢- عند هيكل يــعطف التركيب بالفاء كــثيرًا وهى إما ترتب الاستفهــام بـ «ماذا» على شيء آخر أو تجعله جوابًا للشرط .

٣- العقاد يكرر الاستفهام بـ «ماذا» ويستخدم حرف الجر «فى» بعد «ماذا» كثيرا .

٤- محمود تيمور يجعل تركيبه فى بيئة استفهامية ويعزله بالنسبة نفسها .

٥- توفيق الحكيم يضع قبل الاستفهام بـ «ماذا» «لايدرى» بصورة لافتة .

٦- يحيى حقى يعطف التركيب بالفاء والواو بالنسبة نفسها .

٧- طه حسين يعطف التركيب بالواو وهى لاتفيد إلا العطف المجرد ويكثر من استخدام تراكيب «ماذا» متتالية .

٨- السباعى فعله المضارع المتعدى غير مستوف مفعوله .

٩- سعد مكاوى يكثر من استخدام الناسخ الماضى «كان» بعد «ماذا» .

١٠- نجيب محفوظ تركيب الاستفهام بـ «لماذا» عنده قصير .

١١- يوسف إدريس يكثر من استخدام حروف العطف «الواووالفاء » و «أو» و «بل» قبل تركيب الاستفهام بـ «ماذا» .

١٢- سوريال عبد الملك يكثر من إدخال «ماذا» على أدوات الشرط .

١٣- تظهر عند إبراهيم عبد المجيد إجابة السؤال بسؤال أحدهما يستخدم فيه « ماذا » .

١٤- يوسف القعيد يميل لاستعمال الفعل المضارع يفعل وتصريفاته بعد اسم الاستفهام «ماذا» .

٦- «لماذا» :

أ- الصورة العامة لبنية الاستفهام بـ « لماذا » :

١- احتفظت «لماذا» طوال القرن بخصوصية دخولها على فعل مضارع غالبًا وعلى فعل ماض قليلاً .

٢- أدخل أحد الرواد «لماذا» على اسم لكن هذا لم يستمر عند المؤسسين أو المحدثين .

٣- استخدم الرواد «لماذا» فى تراكيبهم داخله على فعل مثبت وعند المؤسسين والمحدثين تغيرت الصورة بإضافة النفى قبل الفعل وبعد الأداة ولكن استخدام الفعل المنفى بعد «لماذا» عند المحدثين أكثر مما بدأ به المؤسسون ويوضح ذلك نمو الاستفهام المنفى بعد «لماذا» .

٤- ظهر تركيب الاستفهام بـ «لماذا» المحذوف منه المستفهم عنه اعتمادًا على وجود الأداة والسياقين السابق واللاحق عند الرواد والمؤسسين والمحدثين ولكنه أصبح عند المحدثين أقل استخدامًا مما كان عليه عند الرواد والمؤسسين .

٥- عند المحدثين وحدهم ظهر الاستفهام المقلوب أى الذى جاءت فيه «لماذا» آخر تركيب الاستفهام ولم يظهر هذا النوع من الاستفهام عند الرواد ولا عند المؤسسين.

٦- جاء التركيب الاستفهامى بـ «لماذا» عند الرواد معزولاً عن تراكيب الاستفهام الأخرى أكثر من مجيئه فى بيئة استفهامية وتغير الحال عند المؤسسين إذ استخدموا التركيب معزولاً وفى بيئة استفهامية بالدرجة نفسها أما عند المحدثين فقد جاء التركيب فى بيئة استفهامية أكثر من مجيئه معزولاً وهذا نقيض حال التركيب عند الرواد ويبين ذلك نوع التغير فى بيئة تركيب الاستفهام بـ «لماذا» .

٧- عندما استخدم الرواد تركيب الاستفهام بـ «لماذا» جاء هذا الاستخدام متساويًا من ناحية الهدف منه أى المعنى الأصلى للاستفهام أو الخروج على المعنى الأصلى وتغيرت هذه الصورة عند المؤسسين والمحدثين فلم يعد الهدف من تركيب الاستفهام «لماذا» المعنى الأصلى للاستفهام بل يستخدم لأداء أغراض أخرى غير المعنى الحقيقى للاستفهام .

ب- الصورة الخاصة لملامح جزئية فى بنية الاستفهام بـ « لماذا » :

١- عند المويلحى تركيب الاستفهام بـ «لماذا» طويل .

٢- العقاد يعطف تركيب الاستفهام بـ «لماذا» بالواو والفاء بالنسبة نفسها .

٣- توفيق الحكيم يكثر عنده حذف المستفهم عنه فى تركيب الاستفهام بـ «لماذا» .

٤- تيمور يستخدم فعلاً ماضيًا بعد «لماذا» إضافة إلى المضارع .

٥- يوسف السباعى يكثر عنده المستفهم عنه المحذوف فى تركيب «لماذا» .

٦- سعد مكاوى يستخدم الفعلين الماضى والمضارع بعد «لماذا» بالدرجة نفسها .

٧- يوسف إدريس يبدأ عنده ظهور الاستفهام بـ «لماذا» المقلوب ويجعل تركيب الاستفهام بـ «لماذا» عنوانًا وختامًا لمقالاته ، ويطيل تركيب الاستفهام بـ «لماذا» بوسائل العطف والربط المتنوعة .

٨- عند سوريال عبد الملك الفعل بعد «لماذا» لازم ويعطف التركيب بالفاء والواو بصورة متقاربة .

٩- عند إبراهيم عبد المجيد تركيب الاستفهام بـ «لماذا» ليس طويلاً ويستخدم «لا أعرف» كثيرًا قبله .

١٠- تركيب «لماذا» عند القعيد قصير .

٧- «كيف» :

أ- الصورة العامة لبنية الاستفهام بـ « كيف » :

استخدم الكتاب على مدى هذا القرن تراكيب الاستفهام بـ «كيف» .

أ- استخدم الرواد فعلاً بعد «كيف» وغلب المضارع على استخدامهم وإن استخدم بعضهم فعلاً ماضيًا في تركيب «كيف» واستخدم البعض الآخر منهم اسمًا «اسم إشارة» بعدها . أما المؤسسون فلم يستخدموا إلا فعلاً ولكنهم عادلوا بين المضارع والماضي ولم يستخدموا اسمًا وكذلك لم يستخدم المحدثون اسمًا بعد «كيف» وجاء الفعل بعدها مضارعًا في الغالب مع استخدامهم للماضي قليلاً .

ب- عند الرواد مع «كيف» يظهر تركيب الاستفهام الذى حذف منه المستفهم عنه مع بقاء الأداة وكذلك يظهر هذا النوع من التراكيب عند المؤسسين ولكن بصورة أقل من ظهورها عند الرواد ويعود المحدثون إلى ما كان عليه الرواد من كثرة استخدام هذا النوع من التراكيب مع «كيف» .

جـ- عند المحدثين - وحدهم - يظهر تركيب الاستفهام بـ «كيف» المقلوب فلم يظهر هذا التركيب عند الرواد ولا عند المؤسسين .

د- الرواد والمؤسسون يستخدمون حروف العطف قبل «كيف» كثيرًا بالنسبة نفسها ولكن المحدثين لم يستخدموها قبل « كيف » .

هـ- تركيب الاستفهام بـ «كيف» عند الرواد لم يستخدم إلا معزولاً عن بقية تراكيب الاستفهام الأخرى ولكن المؤسسين جعلوه في بيئة استفهامية بصورة أكبر من إنشائهم له معزولاً وجاء المحدثون فأعادوا عزل تركيب الاستفهام بـ «كيف» بصورة أقرب إلى مافعله الرواد وإن جعله بعضهم في بيئة استفهامية .

و- استخدم الرواد التركيب للخروج على المعنى الأصلي للاستفهام غالبًا كما استخدموه لأداء المعنى الأصلي قليلاً وبالنسبة نفسها زواج القسم الثالث منهم بين الهدفين أداء

المعنى الأصلى والخروج عليه . أما المؤسسون فقد استخدموا التركيب هم والمحدثون للخروج على المعنى الأصلى للاستفهام . إذ لم يستخدمه أحدهم مطلقًا لأداء المعنى الحقيقى للاستفهام .

ب- الصورة الخاصة لملامح جزئية فى بنية الاستفهام بـ « كيف » :

١- تركيب الاستفهام بـ «كيف» عند المويلحى طويل فعله مضارع متعد مستوف مفعوله وإذا جاء بعد «كيف» اسم يكون دائمًا معرفًا بـ «ال» .

٢- يميل العقاد لعطف تركيب «كيف» على سابقه بالفاء .

٣- صورة الاستفهام بـ «كيف» الرئيسة عند تيمور «كيف + اسم إشارة» .

٤- يعادل الحكيم بين الفاء والواو فى عطف تركيب «كيف» .

٥- يوسف إدريس يظهر عنده تركيب الاستفهام بـ «كيف» المقلوب وكذلك يظهر نفس التركيب عند سوريال عبد الملك .

٦- محمد مستجاب يميل لاستخدام فعل لازم بعد «كيف» .

٧- إبراهيم عبد المجيد لاتدخل «كيف» عنده إلا على فعل .

٨- يوسف القعيد يوازن فى تركيب «كيف» بين الفعلين اللازم والمتعدى .

٨- «من» :

أ- الصورة العامة لبنية الاستفهام بـ « من » :

١- تركيب الاستفهام بـ «من» لدى الكتاب طوال القرن اتخذ هذه الصور : إما أنهم يدخلون «من» على فعل أو على اسم أو على اسم أو فعل بالنسبة نفسها أو على اسم وحرف (جر) بالنسبة نفسها أو على حرف جر ومجرور . الرواد أدخلوا «من» على اسم وعلى فعل وبنسبة واحدة فى أغلب تراكيبهم وأدخلها بعضهم قليلاً على اسم وحرف . والمؤسسون أدخلوا «من» على فعل أو فعل واسم غالبًا وأدخلها بعضهم - قليلاً - على اسم وحرف أما المعاصرون المحدثون فلم يدخلوا «من» على حرف مطلقًا وأدخلوها على فعل وأغلبهم أدخلها على فعل واسم ولذا يبدو اتجاه التغير عند المحدثين إلى تحديد ما يدخل على «من» إما أن يكون فعلاً فى الغالب أو اسمًا فى القليل وذلك عكس توازن الرواد وإدخال المؤسسين لـ «من» على حرف .

٢- استخدم الرواد تركيب الاستفهام بـ «من» مقلوبًا وظهر هذا النوع ضعيفًا عند المؤسسين «نصف ظهوره عند الرواد» وعاد عند المعاصرين (المحدثين) إلى نفس درجة قوته عند الرواد .

٣- حذف المؤسسون المستفهم عنه بعد «من» ضعف ما فعل الرواد والمحدثون ولذا يبدو أن هذا النوع من التراكيب قد شهد طفرة على يد المؤسسين ثم خبت لتعود إلى نفس النسبة التى كانت لدى الرواد فى أداء المحدثين.

٥- استخدم الرواد تركيب الاستفهام بـ «من» معزولاً عن تراكيب الاستفهام الأخرى بالنسبة نفسها التى استخدموا فيها التركيب فى بيئة استفهامية ونادراً ما وازن بعضهم بين إنشائه فى بيئة استفهامية وبين إنشائه معزولاً ، أما المؤسسون فقد مالوا أكثر لإنشائه فى بيئة استفهامية ونادرًا ما أنشأوه معزولاً ونادرًا أيضًا ما وازنوا بين إنشائه معزولاً أو فى بيئة استفهامية وجاء المحدثون فعكسوا الاتجاه إذ جاءت معظم تراكيبهم الاستفهامية معزولة ونادرًا ما أنشأوه فى بيئة استفهامية ولم يوازنوا مطلقًا بين أنشائه معزولاً أو فى بيئة استفهامية .

٦- استخدم الرواد تركيب الاستفهام بـ «من» لأداء المعنى الأصلى وللخروج عليه وزواج بعضهم بينهما أى أداء المعنى الأصلى والخروج عليه وإن كان ميلهم شديدًا للخروج على المعنى الأصلى للاستفهام وعند المؤسسين والمحدثين ازداد هذا الميل حتى أصبح هو الهدف الوحيد إذ لم يستخدم المؤسسون ولا المحدثون تركيب الاستفهام بـ «من» لأداء المعنى الحقيقى .

ب- الصورة الخاصة لملامح جزئية فى بنية الاستفهام بـ « من » :

١- عند المويلحى تتنوع التراكيب بتنوع الاسم الذى تدخل «من» عليه وهى قصيرة .

٢- يستخدم د. هيكل الفعل «يدرى» كثيرًا بعد «من» .

٣- العقاد يميل لاستخدام الفعل المضارع المتعدى المستوفى مفعوله بعد «من» .

٤- يحيى حقى يميل لاستخدام فعل مضارع بعد «من» ويعطف تركيبه بالواو .

٥- د. طه حسين يستخدم الفعل «عسى» كثيرًا بعد «من» .

٦- نجيب محفوظ يستخدم الفعل الماضى كثيرًا بعد «من» .

٧- يوسف إدريس تراكيب الاستفهام بـ «من» عنده طويلة .

٨- سوريال يعطف التركيب بالفاء والواو بالنسبة نفسها .

٩- مستجاب يدخل «من» على اسم موصول كثيرًا .

١٠- يوسف القعيد يدخل حرف الجر «اللام» على «من» ويدخل «من» عليه (على اللام) دون غيره من الحروف .

٩- «أين» :

أ- الصورة العامة لبنية الاستفهام بـ « أين » :

١- أدخل الرواد اسم الاستفهام «أين» على اسم غالبًا وأدخلوها قليلاً على فعل وحذفوا المستفهم عنه قليلاً فبقيت الأداة وحدها في بعض تراكيبهم ، لكن عند المؤسسين تعادل دخول «أين» على اسم وعلى فعل ، وكثر حذف المستفهم عنه بعدها . وعند المحدثين أصبح دخول «أين» على فعل هو الغالب وأقل منه دخولها على اسم ويكاد ذلك أن يكون عكس صورة تركيب «أين» لدى الرواد . إذ يمكن إجمال حركة التركيب بأنها انتقال من الدخول على اسم إلى الدخول على فعل .

٢- عند الجميع الرواد والمؤسسين والمحدثين يظهر تركيب الاستفهام بـ «أين» الذى حذف منه المستفهم عنه وبقيت الأداة وحدها اعتمادًا على السياق وعلى الأداة .

٣- مال الرواد فى استخدامهم لتركيب الاستفهام إلى جعله معزولا عن بقية تراكيب الاستفهام الأخرى وكان ميلهم طفيفًا ، وجعل المؤسسون الأمر متساويًا بين عزل التركيب وإنشائه فى بيئة استفهامية وأتى من بعدهم المحدثون فجعلوا التركيب فى بيئة استفهامية أكثر قليلاً من جعله معزولاً ، وهذه الصورة هى المضاد التام لصورة إنشاء التركيب لدى الرواد .

٤- من ناحية الهدف من التركيب عادل الرواد بين إرادة المعنى الحقيقى للاستفهام والخروج عليه ، أما المؤسسون فقد مالوا إلى استخدام التركيب للخروج على المعنى الأصلى للاستفهام وكان ميلهم كبيرًا ، أما المحدثون فقد أكملوا حركة التغير فى التركيب إذ قصدوا بالتركيب الخروج أبدًا على المعنى الأصلى للاستفهام ، وتظهر حركة التغير واضحة إذ بدأت بالتعادل ثم ثنت بميل وانتهت عند جيل المحدثين بعدم إرادة المعنى الأصلى للاستفهام مطلقًا .

٥- تركيب الاستفهام بـ «أين» عند الجميع على مدى القرن قصير يكثر فيه حذف بعض الأركان الرئيسية .

ب- الصورة الخاصة لملامح جزئية في بنية الاستفهام بـ « أين » :

١- عند المويلحى التركيب يعطف بالواو وحرف الجر الذى يدخل على «أين» «من» .

٢- د. هيكل إذا استعمل فعلاً بعد «أين» فالفعل الناسخ الجامد «عسى» أو المتصرف ««كان» .

٣- محمود تيمور أول من يظهر عنده حذف المستفهم عنه فى جيل الرواد .

٤- عند توفيق الحكيم يظهر تركيب الاستفهام بـ «أين» المقلوب حيث يضع الأداة فى نهاية التركيب .

٥- عند سعد مكاوى من ناحية التكرار تتساوى صور تركيبية ثلاث .

٦- عند نجيب محفوظ فى الاستفهام بـ «أين» المحذوف منه المستفهم عنه .

٧- إذا جاء الفعل متعديًا بعد «أين» فمفعوله يكون «أن + فعل (مضارع)» عند سوريال عبد الملك .

١٠- «غير المباشر» :

ا- الصورة العامة لبنية الاستفهام غير المباشر :

١- شارك الكتاب جميعًا - عدا واحد - فى استخدام أسلوب الاستفهام غير المباشر على مدى القرن .

٢- الغالب على الكتاب أن يعبروا عن السؤال والجواب بجمل خبرية قصيرة .

٣- يمهد الكتاب جميعًا للسؤال وللجواب «يسأل» وتصريفاتها ومرادفاتها و «بأجاب» وتصريفاتها ومرادفاتها .

٤- يغلب على الجميع عزل نمط الاستفهام غير المباشر عن بقية تراكيب الاستفهام .

٥- عند التعبير الخبرى عن الإجابة تأتى هذه الإجابة مباشرة لتدل على أنَّ الاستفهام المحكى قصد به المعنى الأصلى للاستفهام .

ب- الصورة الخاصة لملامح جزئية فى بنية الاستفهام غير المباشر :

١- العقاد لم يستخدم نمط الاستفهام غير المباشر .

٢- تقدير السؤال المحكى عند توفيق الحكيم تتنوع فيه الأداة .

٣- يحيى حقى يعبر عن الاستفهام أكثر من تعبيره عن الاستفهام والإجابة .

٤- سوريال عبد الملك يحكى جوابًا أكثر مما يحكى سؤالاً وجوابًا أى أنه يعبر عن الجواب ليوحى بأن سؤالاً قد وقع وهذا جوابه .

٥- عند محمد مستجاب تأتى حكايته للسؤال واللجواب بالدرجة نفسها - من حيث الكم - التى تأتى عليها حكايته للسؤال وحده .

٦- محمد مستجاب يمهد للاستفهام غير المباشر ثم يستخدم الشطر الأول من أسلوب الشرط ليعبر به عن الاستفهام .

٧- يوسف القعيد يستخدم نفس الأسلوب «الجزء الأول من أسلوب الشرط» ليعبر به عن السؤال .

١١- «أى» :

أ- الصورة العامة لبنية الاستفهام بـ « اى » :

اسم الاستفهام «أى» ظل على مدى القرن محتفظًا بدخوله على فعل .

أ- عند الرواد الفعل المضارع هو الفعل الأكثر استخدامًا بعد «أى» وما تضاف إليه ولكن مع المؤسسين دخل الماضى إلى جانب المضارع وظل الحال دخول«أى» على فعل مضارع وماض - كما هو لم يتغير عند المحدثين .

ب- شارك المضارع عند الرواد المستفهم عنه المحذوف من تركيب «أى» فى الوقت الذى شارك المضارع عند المؤسسين الماضى المستفهم عنه المحذوف وأضيف إلى ذلك عند المحدثين دخول «أى» على اسم (إشارة) وجار ومجرور أى أن المحدثين أكثر تنويعًا من المؤسسين فى تراكيب «أى» وكذلك وسع المؤسسون تراكيب «أى» عما كانت عليه عند الرواد .

جـ- حذف الرواد المستفهم عنه فى بعض تراكيب «أى» واستخدم المؤسسون هذا الحذف كثيراً - بصورة لافتة - ولكن المحدثين على الرغم من استخدامهم لتراكيب «أى» المحذوف منها المستفهم عنه إلا أنهم لم يصلوا لما وصل إليه المؤسسون من حيث الكثرة ولا إلى ماوصل إليه الرواد من حيث القلة بل وسطًا بينهم .

د- استخدم الرواد تركيب الاستفهام بـ «أى» وسط بيئة استفهامية بالدرجة نفسها التى استخدموا فيها التركيب معزولاً وقليلاً ما استخدمه بعضهم بطريقة متوازنة بين جعله فى بيئة استفهامية وبين جعله معزولاً . ويتجه التركيب عند المؤسسين ليصبح وجوده فى بيئة استفهامية أكثر من عزله أو من جعله وسطًا بين العزل ووضعه فى

بيئة استفهامية أما المحدثون فيضعون التركيب الاستفهامي بـ «أى» وسط بيئة استفهامية غالبًا ونادرًا ما يجعلونه معزولاً ولم يستخدمه كاتب منهم بطريقة متعادلة- أى جعله بنفس العدد فى بيئة استفهامية ومعزولاً .

هـ- عندما يستخدم الرواد تركيب الاستفهام بـ «أى» فإنهم فى الغالب لايقصدون - أى لايكون هدفهم من التركيب - المعنى الأصلى للاستفهام ونادرًا مايستخدمونه لأداء المعنى الأصلى أما المؤسسون فبعضهم يزاوج فى تراكيبه بين إرادة المعنى الأصلى والخروج عليه وأكثر من ذلك يهدفون بالتركيب معانٍ أخرى غير المعنى الأصلى ولا يستخدمون التركيب مطلقًا لأداء المعنى الأصلى ولكن المحدثين لم يهدفوا بتراكيب «أى» إلا الخروج على المعنى الأصلى للاستفهام لأداء معان أخرى .

ب- الصورة الخاصة لملامح جزئية فى بنية الاستفهام بـ « أى » :

١- تركيب الاستفهام بـ «أى» عند المويلحى قصير معطوف بالواو فعله المضارع متعد مستوف مفعوله .

٢- العقاد يحذف بعض أركان تركيبه الاستفهامى بـ «أى» .

٣- صورة التركيب الرئيسية لـ «أى» عند تيمور المستفهم عنه فيها محذوف وكذلك توفيق الحكيم .

٤- د. طه حسين يدخل حرف جر على «أى» ويحذف المستفهم عنه .

٥- يوسف السباعى يدخل «أى» على اسم إشارة .

٦- عند سعد مكاوى تراكيب «أى» إما طويلة جداً وإما قصيرة جداً .

٧- نجيب محفوظ يفعل ما فعله د. طه حسين إذ يدخل حرف جر على «أى» ويحذف المستفهم عنه .

٨- يوسف إدريس يعطف تركيب «أى» بالفاء والواو بالنسبة نفسها .

٩- محمد مستجاب تراكيب «أى» عنده متنوعة وطويلة .

١٠- يوسف القعيد تراكيب «أى» عنده قصيرة وفعلها ماض غالبًا .

١٢- «متى»:

أ- الصورة العامة لبنية الاستفهام بـ « متى »:

١- احتفظت «متى» طوال القرن بخصوصية دخولها على فعل مضارع لدى جميع الكتاب - عدا كاتب واحد جعلها تدخل على ماض ومضارع بالنسبة نفسها وكاتب آخر أدخلها على فعل ماض ناسخ .

٢- عند الرواد والمؤسسين ظهر تركيب الاستفهام بـ «متى» المحذوف منه المستفهم عنه مع بقاء الأداة ولكن عند المحدثين لم يستخدم أحدهم هذا التركيب في الاستفهام بـ «متى» .

٣- احتفظ الجميع الرواد والمؤسسون والمحدثون بكثرة استخدام الأفعال اللازمة فى تركيب «متى» .

٤- وضع الرواد تركيب الاستفهام بـ «متى» فى بيئة استفهامية بينما جعل المؤسسون التركيب مناصفة بين وضعه فى بيئة استفهامية وبين وضعه معزولاً عن أى تراكيب استفهامية أخرى وصنع المحدثون صنيع المؤسسين .

٥- اشترك الجميع فى الهدف من استخدام الاستفهام بـ «متى» إذ كان هدفهم جميعًا - الرواد والمؤسسون والمحدثون - الخروج على المعنى الحقيقى أو الأصلى للاستفهام - السؤال عن الزمن .

ب- الصورة الخاصة لملامح جزئية فى بنية الاستفهام بـ « متى »:

١- المويلحى يفضل استخدام فعل ماض ناسخ بعد «متى» .

٢- هيكل يستخدم تراكيب الاستفهام بـ «متى» متتابعة .

٣- محمود تيمور أول من يظهر عنده تركيب الاستفهام بـ «متى» الذى يحذف منه المستفهم عنه .

٤- يحيى حقى يكثر من حذف المستفهم عنه فى تراكيب «متى» .

٥- د. طه حسين تراكيب الاستفهام بـ «متى» عنده طويله .

٦- سعد مكاوى يواصل حذف المستفهم عنه فى تراكيب «متى» .

٧- نجيب محفوظ يعطف بالواو والفاء بالنسبة نفسها قبل «متى» .

٨- سوريال عبد الملك يكثر من وضع تراكيب النداء قبل وبعد وخلال تركيب الاستفهام بـ «متى» .

٩- العقاد وتوفيق الحكيم ويوسف السباعى ويوسف إدريس لم يستخدموا اسم الاستفهام «متى» مطلقًا ويلاحظ أن اثنين من الأربعة من جيل الرواد والآخرين واحد من جيل المؤسسين والثانى من المحدثين .

١٣- «كم» :

أ- الصورة العامة لبنية الاستفهام بـ « كم »:

١- على الرغم من ضعف استخدام «كم» لدى الجميع طوال القرن العشرين إلا أنه يمكن ملاحظة أن هذا الاستخدام ازداد فى جيل المؤسسين وأصبح أكثر ازديادًا مع جيل المحدثين أى أن الحركة تتجه نحو القوة إذا نظرنا من بداية القرن إلى نهايته .

٢- استعمل الرواد بعد «كم» فعلاً مضارعًا وأضاف إليه المؤسسون الفعل الماضى والإسم المنصوب واستمر تطوير المؤسسين على يد المحدثين فاستخدموا الفعل الماضى والإسم المنصوب بعد «كم» .

٣- الرواد والمؤسسون استخدموا تراكيب «كم» فى بيئة استفهامية وقلب المحدثون الصورة إذا استخدموا تراكيب «كم» معزولة .

٤- الرواد والمؤسسون استخدموا تراكيب «كم» لأداء المعنى الأصلى للاستفهام فى حين أضاف المحدثون إلى ذلك الخروج على المعنى الأصلى للاستفهام .

ب- الصورة الخاصة لملامح جزئية فى بنية الاستفهام بـ « كم » :

١- عند المويلحى - تركيب الاستفهام بـ «كم» طويل .

٢- عند د. طه حسين التميز فى تركيب «كم» يتأخر ويتحول إلى جار ومجرور بـ «من» الزائدة .

٣- الوحيد الذى جاء تركيب الاستفهام بـ «كم» عنده معزولاً . هو سوريال عبد الملك ويكثر من تراكيب النداء قبل وبعد الاستفهام بـ «كم» .

٤- محمد مستجاب يراوح بين جعل التركيب لأداء المعنى الأصلى وبين جعله للمعانى الإضافية .

٥- خمسة كتاب شاركوا فى استخدام تراكيب الاستفهام بـ «كم» وعشرة لم يشاركوا .

١٤- «أنىٰ»:

أ- الصورة العامة لبنية الاستفهام بـ «أنى»:

١- أضعف أدوات الاستفهام استخدامًا طوال القرن العشرين .

٢- واضح من تحليل تراكيبها أنها تتجه إلى الضعف ففى أوائل القرن عند الرواد استخدمت ثلاثة أضعاف استخدامها عند المؤسسين الذين شكل استخدامهم لها ثلاثة أضعاف استخدام المحدثين لها .

٣- احتفظت «أنى» على مدى القرن بدخولها على جار ومجرور ، غالبًا ما يكون هذا المجرور ضميرًا .

٤- تستخدم «أنى» بمعنى «كيف» ثم «من أين» وبمعنى «أين» .

٥- يميل الرواد إلى جعل تركيب الاستفهام بـ «أنى» معزولاً بينما استخدمه المؤسسون فى بيئة استفهامية وأعاد المحدثون سيرة الرواد باستخدامهم تركيب «أنى» معزولاً عن بقية تراكيب الاستفهام الأخرى .

٦- عندما استخدم الكتاب تركيب الاستفهام بـ «أنى» فى هذا القرن كان هدفهم الخروج على المعنى الأصلى للاستفهام استمر ذلك طوال القرن على الرغم من ظهور نزعة عند أحد الرواد لاستخدام التركيب على المعنى الأصلى للاستفهام إلا أنها لم تستمر لا عند المؤسسين ولا المحدثين .

٧- استخدم تركيب الاستفهام بـ «أنى» ثلاثة من الرواد وواحد من المؤسسين وواحد من المحدثين .

ب- الصورة الخاصة لملامح جزئية فى بنية الاستفهام بـ «أنى»:

١- المويلحى أدخل «أنى» فى أحد التركيبين على فعل مضارع . وهدف من أحد التركيبين أداء المعنى الأصلى للاستفهام .

٢- د. هيكل حرف الجر الوحيد الذى يدخل أى عليه «اللام» .

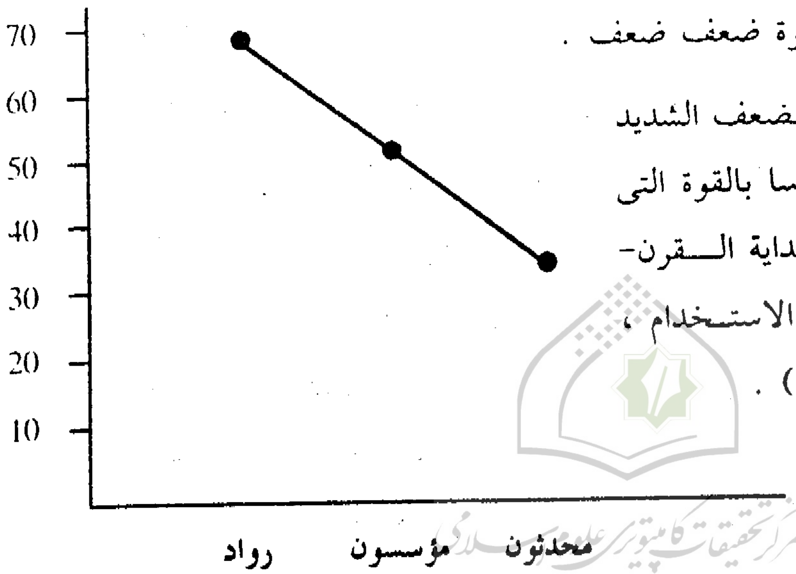
٣- العقاد تركيب «أنى» لديه طويل ، ويستخدم «أنى» بمعنى «من أين» أو «كيف» .

جـ - إيجاز حركة تراكيب الاستفهام خلال القرن :

مقدمة :

يقدم البحث فى العرض الآتى صورة بيانية موجزة تبين حركة التغير التى مر بها تركيب الاستفهام خلال القرن العشرين وهى معتمدة على كثرة أو قلة الاستخدام . حيث الكثرة تعنى القوة والقلة تعنى الضعف والحركة بينهما تعنى التغير وهذا التغير توضح سرعته الانتقال الزمنى بين الأجيال « رواد مؤسسون محدثون » .

١ - تراكيب « الهمزة » :

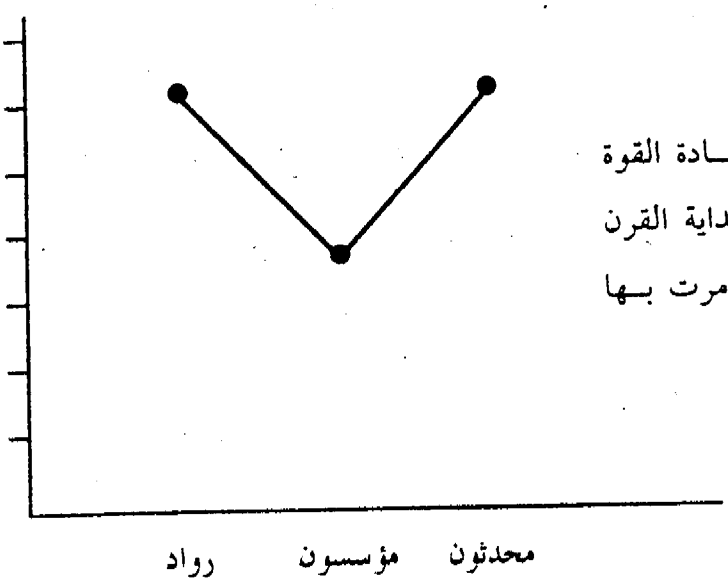


أ - تتلخص حركتها فى قوة ضعف ضعف .

ب - تتجه الهمزة إلى الضعف الشديد مع نهاية القرن قياسا بالقوة التى كانت عليها فى بداية القرن- (الضعف = قلة الاستخدام ، القوة كثرة الاستخدام) .

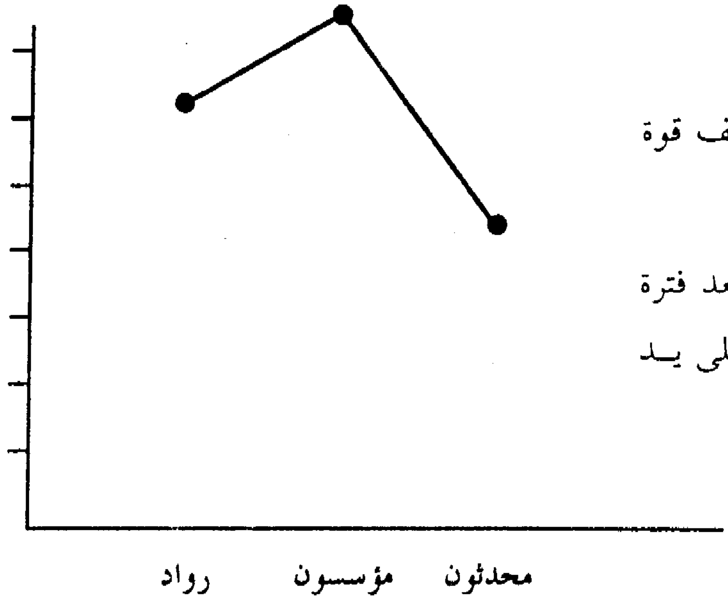
٢ - تراكيب « هل » :

أ - تتلخص حركتها فى قوة ضعف قوة .



ب - تتجه « هل » إلى استعادة القوة التى كانت عليها فى بداية القرن بعد فترة الضعف التى مرت بها عند المؤسسين .

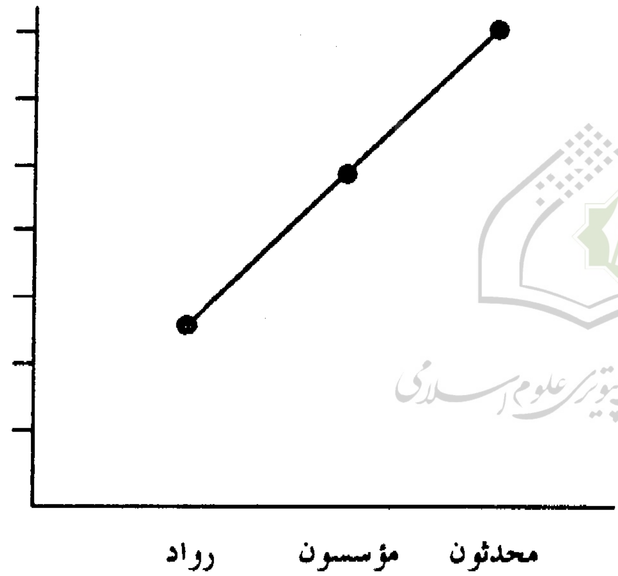
٣ - تراكيب « ما » :



أ - تتلخص حركتها في ضعف قوة أضعف .

ب - تتجه « ما » إلى الضعف بعد فترة القوة التى مرت بها على يد المؤسسين .

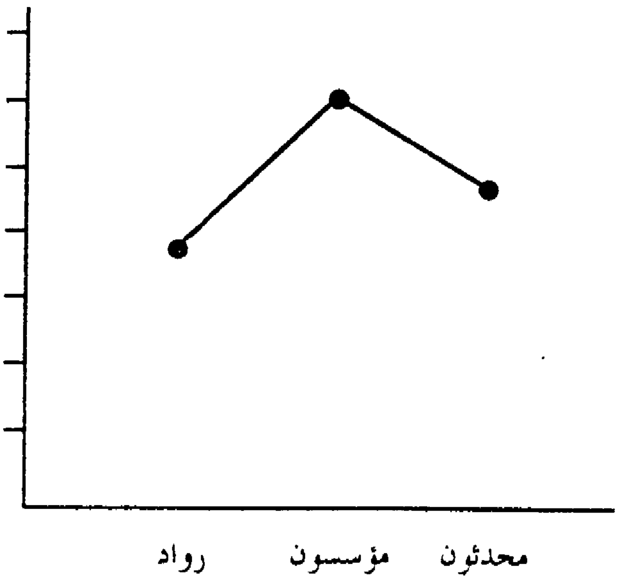
٤ - تراكيب الاستفهام محذوف الأداة :



أ - تتلخص الحركة فى ضعف قوة أقوى .

ب - يتجه تركيب الاستفهام محذوف الأداة إلى القوة المنتظمة ابتداء من ضعف الاستخدام عند الرواد ومرورًا بقوة عند المؤسسين وصولا إلى ذروة القوة عند المحدثين .

٥ - تراكيب « ماذا » :



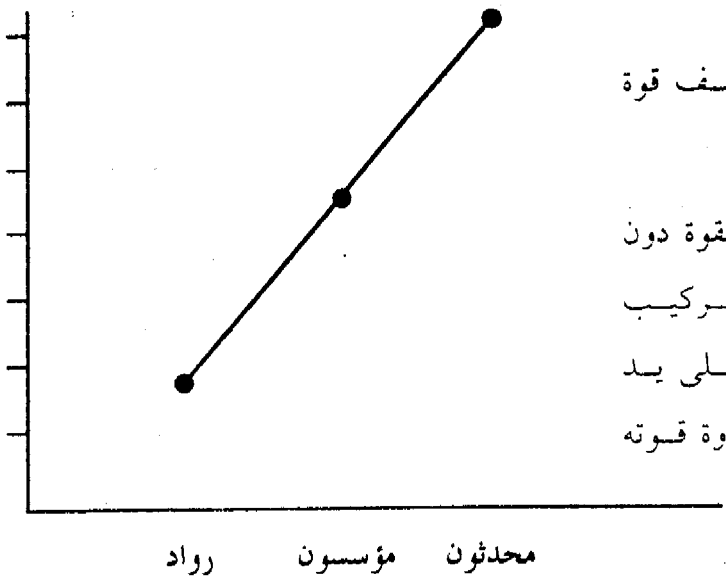
أ - تتلخص حركتها فى قوة ضعف .

ب - بدأت « ماذا » القرن ضعيفة ولكنها وصلت مع المؤسسين إلى أقصى قوة لها ثم عادت إلى الضعف ولكنه لم يتساو مع ما كان عليه بل أقوى مما كان فى بداية القرن .

٦ - **تراكيب « لماذا » :**

أ - تتلخص حركتها في ضعف قوة أقوى .

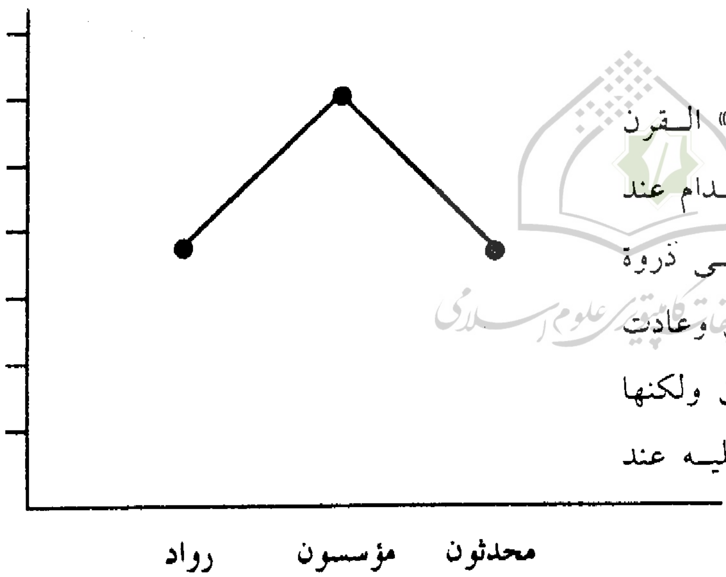
ب - يتجه تركيب لماذا إلى القوة دون توقفات أو ردات بدأ التركيب القرن ضعيفا وقوى على يد المؤسسين ثم صار في ذروة قوته على يد المحدثين .



٧ - **تراكيب « كيف » :**

أ - تتلخص حركتها في ضعف قوة ضعف .

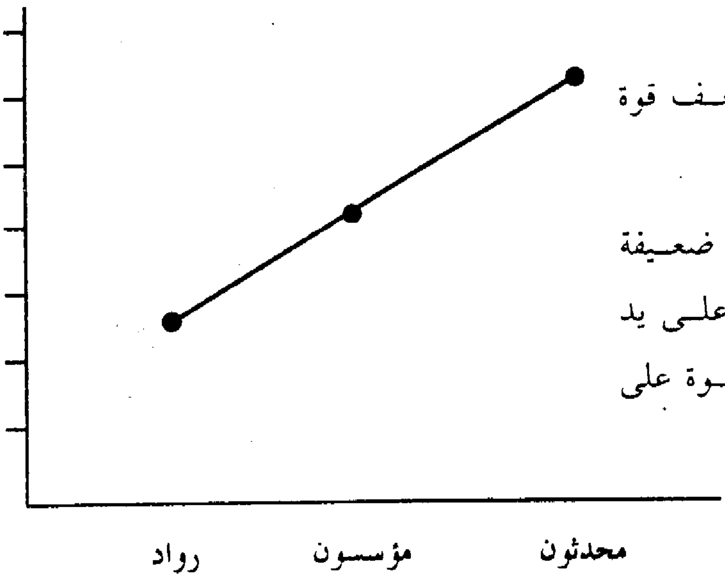
ب - بدأت تراكيب « كيف » القرن ضعيفة أى قليلة الاستخدام عند الرواد ثم وصلت إلى ذروة الاستخدام عند المؤسسين وعادت إلى الضعف عند المحدثين ولكنها لم تصل إلى ما كانت عليه عند الرواد .



٨ - **تراكيب « من » :**

أ - تتلخص حركتها في ضعف قوة أقوى .

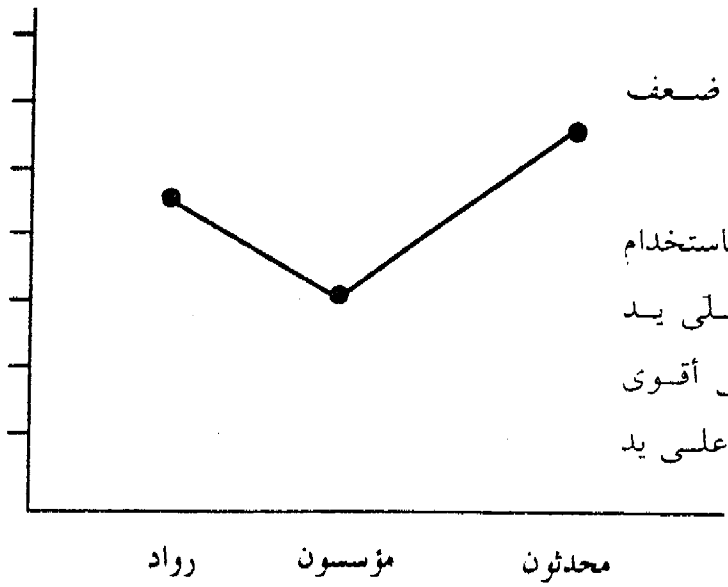
ب - بدأت تراكيب من القرن ضعيفة ثم أصبحت أكثر قوة على يد المؤسسين وبلغت ذروة القوة على يد المحدثين .



٩ - تراكيب « أين » :

أ - تتلخص حركتها فى قوة ضعف أقوى .

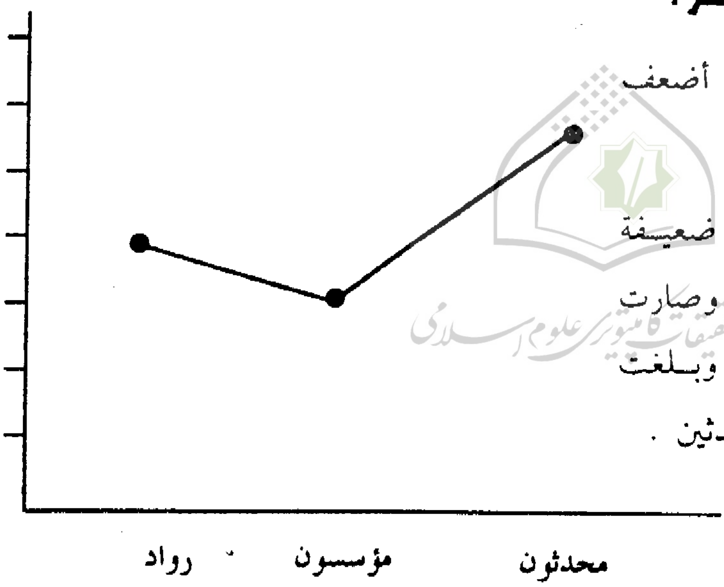
ب - بدأت تراكيب أين القرن باستخدام متوسط ثم ضعفت على يد المؤسسين وعادت إلى أقوى استخدام لها فى القرن على يد المحدثين .



١٠ - تراكيب الاستفهام غير المباشر :

أ - تتلخص حركتها فى ضعف أضعف قوة .

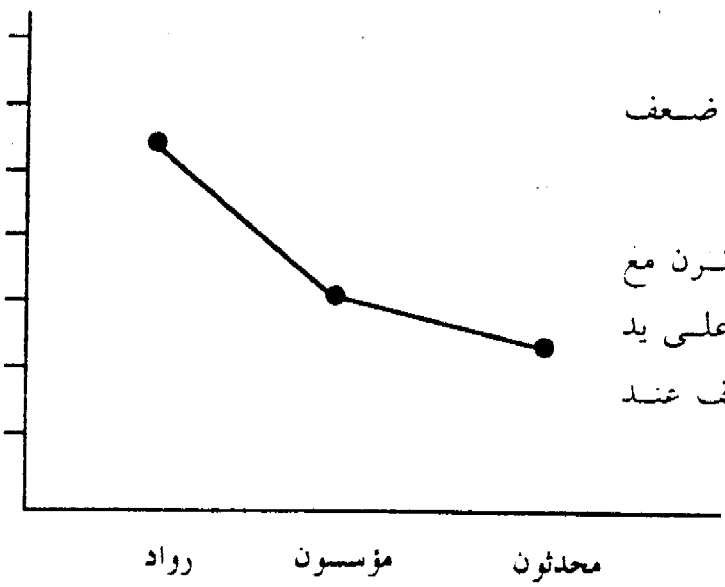
ب - بدأت التراكيب القرن ضعيفة الاستخدام على يد الرواد وصارت أضعف على يد المؤسسين وبلغت أقصى قوة لها على يد المحدثين .



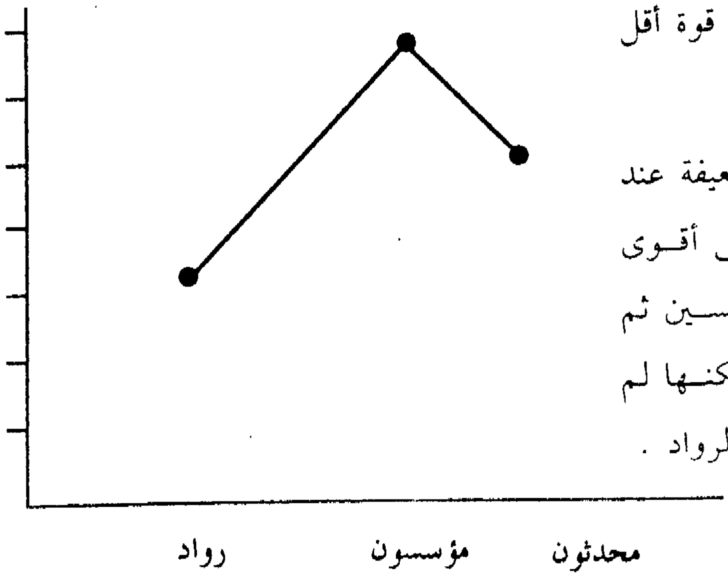
١١ - تراكيب « اى » :

أ - تتلخص حركتها فى قوة ضعف أضعف .

ب - بدأت تراكيب « أى » القرن مع الرواد قوية ثم ضعفت على يد المؤسسين وصارت أضعف عند المحدثين .



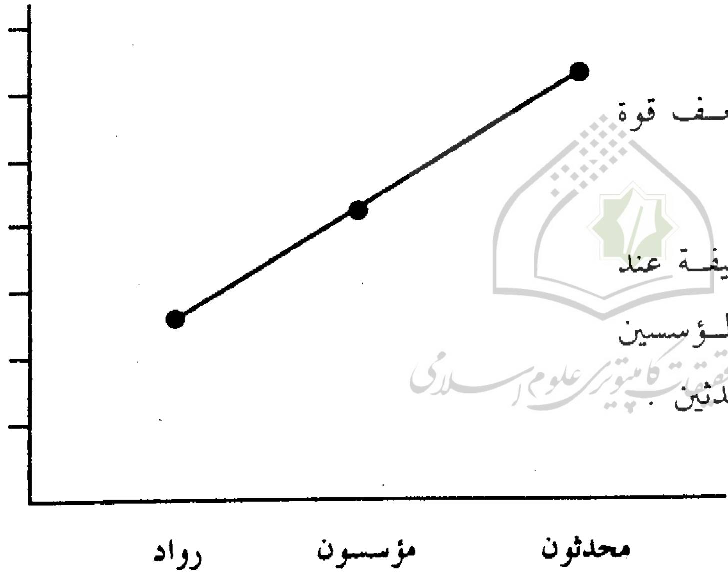
١٢ - تراكيب « متى » :



أ - تتلخص حركتها فى ضعف قوة أقل قوة .

ب - بدأت « متى » القرن ضعيفة عند الرواد ثم وصلت إلى أقوى استخدام لها عند المؤسسين ثم تراجعت عند المحدثين ولكنها لم تصل لمستوى ضعفها عند الرواد .

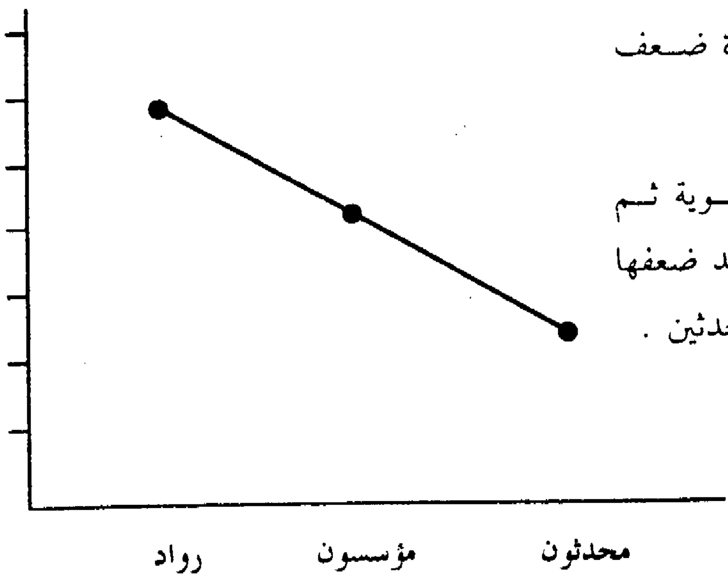
١٣ - تراكيب « كم » :



أ - تتلخص حركتها فى ضعف قوة أقوى .

ب - بدأت « كم » القرن ضعيفة عند الرواد ثم قسوت على يد المؤسسين وصارت أقوى على يد المحدثين .

١٤ - تراكيب « انى » :



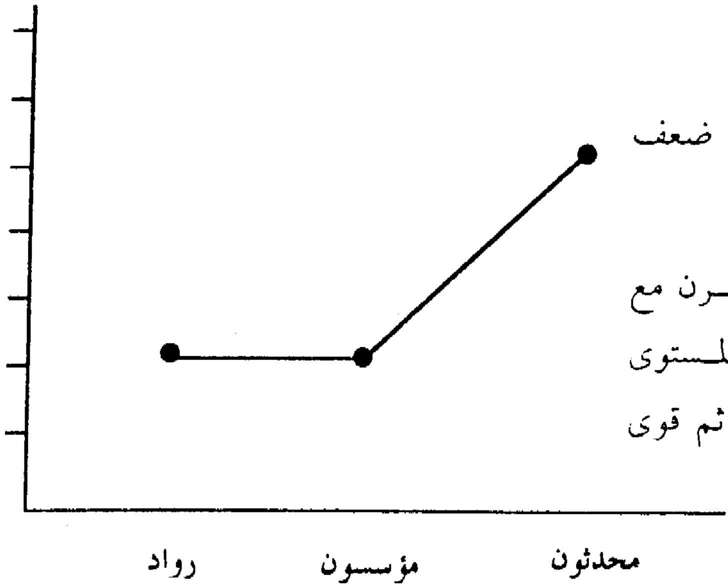
أ - تتلخص حركتها فى قوة ضعف أضعف.

ب - بدأت « أنى » القرن قوية ثم ضعفت مع المؤسسين واشتد ضعفها « لقلة الاستخدام » مع المحدثين .

١٥ - الاستفهام المقلوب :

أ - تتلخص حركته فى ضعف ضعف قوة .

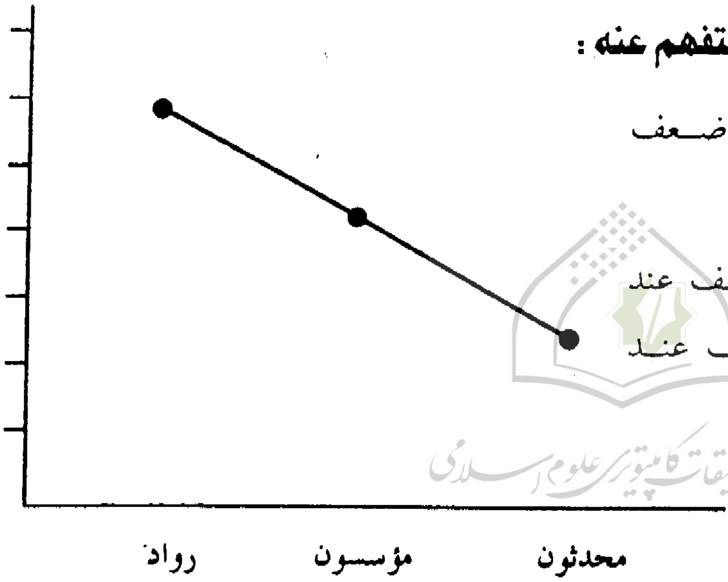
ب - ظهر ضعيفا فى بداية القرن مع الرواد واستمر على نفس المستوى من الضعف مع المؤسسين ثم قوى على يد المحدثين .



١٦ - الاستفهام المحذوف منه المستفهم عنه :

أ - تتلخص حركته فى قوة ضعف أضعف .

ب - بدأ قويا نوعا ما ثم ضعف عند المؤسسين وصار أضعف عند المحدثين .



خاتمة

ا - الصورة العامة لحركة التراكيب :

تتحرك تراكيب الاستفهام - قياسا إلى الاستخدام - حركات متنوعة يمكن إجمالها فى تحرك صاعد أو هابط والصعود قد يكون مستمرا وكذلك الهبوط وقد يتخلل ذلك نوع من التراجع عن الصعود أو الهبوط وأوضح الصور :

أ - الهبوط المستمر للهمزة و « أنى » و « أى » والمحذوف منه المستفهم عنه .

ب - الصعود المستمر لـ « كم » و « من » ومحذوف الأداة و « لماذا » .

جـ - تمثل الصعود ثم الهبوط فى « ما » و « ماذا » و « كيف » و « متى » .

د - تركيب الاستفهام غير المباشر التركيب الوحيد الذى هبط ثم ارتفع .

هـ - تراكيب الاستفهام المقلوب ظلت فترة طويلة محافظة على الأداء الضعيف ثم صار أقوى فى نهاية القرن .

ب - قد يمكن إرجاع حركة التغير إلى عوامل عدة منها طبيعة اللغة كظاهرة إجتماعية مرتبطة بالإنسان والإنسان غير ثابت بل الإنسان واللغة متحركان دومًا ومنها الميل الطبيعى للغة لمبدأ السهولة واليسر والاقتصاد ، ومنها ثقافة المبدع المستخدم للغة وارتكاز هذه الثقافة على تراث قديم قوى النفوذ وقدرة المستخدم على التطويع للقيود الموروثة أو إدخال ثقافات أخرى بلغات أخرى لدى المبدعين -كلهم فى هذه الدراسة يمتلكون لغة أجنبية واحدة على الأقل- . ومن عوامل التغير أيضًا طبيعة الفن الذى تؤدى به اللغة وحاجة المبدع إلى الانتقال بين أكثر من مستوى لغوى فى عمله ، ومنها أيضًا مستوى المتلقى الموجهة إليه الرسالة . وقبوله لهذا التغير ، ومنها عدم تجاوز الدرجة المقبولة من الغموض التى تسمح بها اللغة لمبدعيها وعدم الخلط بين البنى أو الأنماط اللغوية الرئيسية .

ثالثاً : القضايا التركيبية والدلالية فى الاستفهام بين النحاة وواقع الاستخدام فى النصوص

أ - أدوات الاستفهام بين النحاة والواقع اللغوى فى القرن العشرين :

أولاً : أدوات ذكرها النحاة واستخدمها الكتاب :

مقدمة :

اهتم النحاة العرب بالأدوات أو حروف المعانى اهتمامًا كبيرًا وكان نصيب أدوات الاستفهام (الحروف والأسماء) كبيرًا فقد تناولوا الأدوات من حيث الشكل المجرد ومن حيث الوظائف التى تؤديها ومن حيث المعنى الأصلى والإضافى الذى تؤديه وسنجمل فى الآتى ما قاله النحاة عن هذه الأدوات مع عقد مقارنة بين هذه الآراء وبين واقع هذه الأدوات فى تراكيب الاستفهام فى هذا القرن .

١ - الهمزة عند النحاة أم الباب ولذا فلها عندهم صفات خاصة كثيرة من ناحية العمل فتدخل على المثبت والمنفى ويطلب بها التصور والتصديق ولها تمام التصدر ولاتستعمل لأداء معنى النفى وتدخل على الشرط ولا تعاد بعد « أم » ويعاد الجار بعدها توكيدًا والمبدل من اسم الاستفهام يجب أن يقرن بها وقد تبدل الهاء من همزة الاستفهام وقد تأتى « الواو » بدلاً منها إذا كان بعدها ألف وهمزة مهملة ، وقيل لم تعمل لأنها لم تختص بأحد القبيلين[1] . وقالوا إذا دخلت على « لا » يكون لها عدة معان (النفى - التوبيخ - التقرير - الإنكار - التسوية - التهكم - الأمر - التعجب - الاستبطاء) .

* وفى الواقع اللغوى أى فى استخدام الكتاب فى هذا القرن لهمزة الاستفهام نجد أن الكتاب استخدموا الهمزة أكثر مما استخدموا غيرها عدا الفترة الأخيرة من القرن من أدوات الاستفهام ولكن بدرجة أقل مما تكلم عنه النحاة - أم الباب - و - أصل

---

(١) المغنى ٦ - ١٠ ، المفصل ٣١٩ - ٣٢٠ ، الهمع ٢/ ٦٩ ، ١٣٢ ، رصف المبانى ٤٤ - ٤٧ ، الاعراب ١٠٩ معانى الحروف ٣٦ ، الكافية ٢/ ١٠٠ ، رصف المبانى ٤٠٣ - ٤٣٨ .

(٢) سيبوية ٣/ ١٧٢ ، المغنى ١٠ - ١٣ ، حروف المعانى ٣٣ ، الدرر اللوامع ١/ ١٢٨ ، معانى الحروف ١٤ .

الأدوات- ونلاحظ أن هذا الاستخدام للهمزة بدأ القرن قويا لكثرة الاستخدام وأنهى القرن ضعيفًا . وإن هذا الضعف يتخذ اتجاها ثابتًا من الرواد عبر المؤسسين إلى المحدثين، كما نلاحظ أن الاستخدام الغالب لدى الجميع هو إدخال الهمزة على نفى، أما المعانى التى تخرج إليها الهمزة فالهمزة كغيرها من أدوات الاستفهام إما أن يراد بها وبتركيبها المعنى الأصلى وأما يراد بها وبتركيبها معان أخرى غير المعنى الأصلى وهذا منوط بالسياق فى المقام الأول لا بالهمزة ، وهى مع خروجها (الهمزة والتركيب) لأداء معان أخرى لاتنقطع تمامًا علاقتها بالاستفهام بل تضعف العلاقة فقط أى هى دالة دوما على الاستفهام بدرجة تقوى وتضعف ، تقوى إذا خلصت للاستفهام وتضعف إذا شاركتها معان أخرى .

٢ - هل : عند النحاة لها صفات تركيبية عدة فهى تختص بعدم دخولها على اسم بعده فعل إختيارًا[١] وبأن حرف الجر (من) يزداد معها[٢] وأنها تأتى بعد « أم »[٣] ولاتدخل على الشرط أو على « إن » وتقع بعد العاطف لا قبله[٤] وأنها تدخل على الجمل الاسمية التى خبرها اسم ويقبح دخولها على التى خبرها فعل[٥] وقال بعضهم : « يقال فى « هل » « أل » بإبدال هائها همزة »[٦] .

- ومن ناحية المعنى قالوا : تأتى « هل » بمعنى « قد »[٧] وتأتى لطلب التصديق وتختص عن الهمزة بورودها للنفى[٨] . وتخرج أيضًا للتسوية وللتقرير وللتمنى .

- وهذا مما يجمع النحاة على اختصاص الهمزة به[٩] وتخصص المضارع بالاستقبال[١٠] .

* وفى الواقع اللغوى لتراكيب الاستفهام فى القرن العشرين استخدمت « هل » بصورة تكاد تماثل استخدام الهمزة ، فى الثلث الأخير من القرن استعمل « فعل » ضعف

---

(١) سيبويه ٣/ ١٧٦ ، الهمع ٢/ ٧٧ ، الدرر اللوامع ٢/ ٩٢ ، الكافية ١/ ١٧٣ .

(٢) الهمع ٢/ ٣٥ ، الأزهية ٢٦٦ .

(٣) سيبويه ٣/ ١٧٦ ، الدرر اللوامع ٢/ ١٧٨ .

(٤) المغنى ٣٨٦ - ٣٨٩ .

(٥) الفرائد ٤/ ٢٨١ .

(٦) سيبويه ٣/ ١٧٦ ، الهمع ٢/ ٧٧ ، الدرر اللوامع ٢/ ٩٢ ، الكافية ١/ ١٩٣ .

(٧) المفصل ٩/ ٣١ ، الخصائص ٢/ ٤٦٢ ، الأزهية ٢٠٩ .

(٨) حروف المعانى ١٨ ، معانى الحروف ١٠٢ .

(٩) الهمع ٣/ ٧٧ ، الكافية ١/ ١٧٣ .

(١٠) سيبويه ٣/ ١٧٦ .

استعمال الهمزة ولم تستخدم بمعنى « قد » ودخلت على فعل كما دخلت على اسم ودخلت على جملة اسمية خبرها اسم كما دخلت على الاسمية التى خبرها فعل ، واستخدم بعض الكتاب فى تراكيبها « من » الزائدة ولم تختص هى بذلك كما قال النحاة . وأتت « هل » فى بعض التراكيب بعد « أم » ، ودخلت على الشرط ، ولم تدخل على « إن » ، وجاءت بعد العاطف لا قبله ، ولم تبدل هاؤها همزة وقد خرج تركيبها لأداء معانى أخرى أكثر مما استخدم لأداء المعنى الأصلى للاستفهام ولكن هذه المعانى منوطة بالسياق وهى مع خروجها لم تفقد تماما معنى الاستفهام وإن صار أضعف .

٣ - « ما » عند النحاة اسم غير ظرف[١] وتقلب ألفها هاء فى الوقف[٢] وتحذف إن سبقت بحرف جر[٣] لاتوصف ولا تأتى عطف بيان ولا مضافا[٤] وتأتى فى موضع رفع بالابتداء وفى موضع نصب لوقوع الفعل عليها[٥] وتدخل « أم » عليها[٦] وأجاز النحاة حذف خبرها ولابد فى ذلك من هاء السكت للوقف عليها[٧] . ومعناها عند النحاة أى شىء وهى نكرة مضمنة معنى الحرف واستفهام عما لايعقل وعن صفات من يعقل وقد تقع للعاقل[٨] وتستعمل للمبهم أمره[٩] . وقالوا قد تخرج عن المعنى الأصلى للاستفهام إلى الاستفهام الإنكارى أو التعظيم أو التحقير[١٠] .

* وفى الواقع الغوى استخدمت « ما » كأداة استفهام عن غير العاقل ولم تقلب ألفها هاء فى الوقف وحذفت الألف عند دخول حرف جر عليها ولم توصف ولم تأت عطف بيان ولم تأت مضافا وجاءت مبتدأ وخبرا ومفعولا وعاد لها بعض الكتاب بـ «أم» ولم يحذف خبرها عند أحد من الكتاب ، وتميزت فى الواقع اللغوى بدخولها على الاسم وبتنوع هذا الاسم تنوعا واسعا .

---

(١) الإغراب ٤٠ .
(٢) المفصل ١٤٦ ، لباب الاغراب ١٧٨ ، المغنى ٣٣٠ .
(٣) المفصل ١٤٧ ، الإغراب ١٠٨ ، المغنى ٣٣١ .
(٤) الاغراب ١٠٩ ، المغنى ٣٣٢ .
(٥) الأزهية ٧٥ - ٧٦ .
(٦) الدرر اللوامع ٢/ ١٧٩ .
(٧) نتائج الفكر ١٩٧ .
(٨) الهمع ١/ ٩٢ ، الأزهية ٧٥ ، معانى الحروف ٨٠٦ ، المغنى ٣٣٠ ، الكافية ٢/ ٥٥ .
(٩) الفرائد ٢/ ٢٥٤ .
(١٠) الدرر اللوامع ١/ ١٩٠ ، الكافية ٢/ ٥٤ .

ومن ناحية استخدام « ما » وتركيبها لأداء المعنى الأصلى للاستفهام أو الخروج عليه فكثيرًا ما استخدمت للخروج على المعنى الأصلى لأداء معان أخرى حددها سياق التركيب .

٤ - « أى » عند النحاة اسم معرب يعمل فيه ما بعده ، ولايجوز أن يقع قبله إلا ما يجوز إلغاؤه كأفعال العلم والشك ولايعمل فيه ما قبله[١] ولهم آراء عدة فى تبرير إعرابه[٢] ، وقالوا إذا أضيفت إلى المعرفة فهى سؤال عن الاسم وإذا أضيفت إلى النكرة فهى سؤال عن الصفة ولايجوز إضافة « أى » إلى معرفة واحدة ، وتذكر « أى » وتؤنث جوازًا ولزوما ويدل مبناها على معناها بسبب إعرابها[٣] . ويستفهم بها عن شىء من شىء هى بعضه وهى اسم استفهام حسب ما تضاف إليه[٤] . وتخرج عن المعنى الحقيقى إلى النفى وتكون صفة للنكرة حالا للمعرفة وتدل على معنى التعجب[٥] .

* وفى واقع تراكيب الاستفهام اللغوى فى القرن العشرين ، يظهر أن « أى » اسم معرب ، ولم يقع قبله ما يجوز إلغاؤه وأضيفت إلى النكرة والمعرفة وكان سؤالا عن الاسم والصفة ولم يضف إلى معرفة واحدة وجاءت مذكرة ومؤنثة واستفهم بهذا الاسم (أى) عن شىء من شىء هى بعضه قصد بالاستفهام بها فى الغالب معان غير المعنى الأصلى للاستفهام وحذف المستفهم عنه بعدها كثيرًا واكتفى فى هذه التراكيب بـ « أى » وما أضيفت إليه .

٥ - من : عند النحاة اسم استفهام له عدد من الصفات التركيبية عند المستفهم الواقف عن نكرة وعند المستفهم به عن صفة العلم فى تميم يصدرها بلام التعريف ويعقبها بياء النسب «المنيّ»، ويثنيه ويجمعه « المنيان » و « المنيون »[٦] ، واختلف النحاة فى

---

(١) نتائج الفكر ١٩٧ ، الأزهية ١٠٨ .

(٢) الاغرالب ١٠٦ - ١٠٧ ، الاشمونى ١/ ٤١ ، الكافية ٢/ ٥٧ .

(٣) الأزهية ٩ - ١١٠ ، الفرائد ٢/ ٢٦٥ - ٢٦٦ .

(٤) الهمع ١/ ٩٢ ، المغنى ٨١ ، الفرائد ٢/ ٢٦١ ، الأشمونى ١/ ٢٢٣ ، حروف المعانى ٦٦ والإغراب ٤٠ .

(٥) المغنى ٥٦٨ ، سيبويه ١/ ٣٠٢ .

(٦) المفصل ١٤٧ ، الهمع ١/ ٩٢ ، حروف المعانى ٥٩ ، لباب الاعراب ١٧٩ - ١٨٣ ، الدرر ٢/ ٢١٨ والكافية ٢/ ٦٥ .

إعرابها إذا اتصلت بـ « ذا »[١] ، وقالوا يرفع المضارع بعدها ويجزم فى جوابها إذا لم يسبق الجواب بالفاء[٢] .

وقالوا تختص بأولى العلم من العقلاء وتقع على الواحد والاثنين والجمع المذكر والمؤنث وتوقع على غير العاقل عندما ينزل منزلة العاقل وقطرب يوقعها لغير العاقل دون شرط[٣] . وقال بعضهم تنقل عن الاستفهام إذا دخل عليها « أم » وتخرج إلى النفى ، ولايتقيد ذلك بأن يتقدمها الواو ، خلافا لابن مالك ، وهذا رأى ابن هشام فى المغنى[٤].

* و « من » فى الواقع اللغوى لتراكيب الاستفهام فى هذا القرن سؤال عن العاقل ولم يسأل أحد من الكتاب بـ « من » عن صفة العلم أو صدرها بلام التعريف وأعقبها بياء النسب ولم يثنه أحد ولم يجمعه وسئل بـ « من » عن المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع ولم يسأل بها أحد عن غير عاقل منزل منزلة العاقل ولم تدخل عليها « أم » وقصد بها وبالتركيب بعدها المعنى الأصلى للاستفهام وخرج بها وبالتركيب بعدها عن المعنى الأصلى والخروج على المعنى الأصلى كثير و « من » إحدى أدوات الاستفهام التى يكثر مجيئ الاسم بعدها.

٦ - « ماذا » عند النحاة : اختلف فيها النحاة أهى مركبة أم كلمة واحدة ؟[٥] واختلفوا فى « ذا » إشارة أم زائدة أم موصولة ؟[٦] واختلفوا فى صدارتها ، بل من العلماء من قال باختصاص « ماذا » بتقديم العامل فيها عليها[٧] .

* وفى الواقع اللغوى استخدمت « ماذا » أداة استفهام وقاربت فى المجموع العام استخدام الكتاب لاسم الاستفهام « ما » الذى يرجح كونه أصل « ماذا » وهى أداة استخدمت فى نهاية القرن عند المحدثين أكثر مما استخدموا « ما » وليس هنا ترجيح فى الواقع اللغوى المعاش على كونها مركبة أو كلمة واحدة أو على نوع « ذا » المتصلة بها

(١) المغنى ٣٦٤ - ٣٦٥ ، الأزهية ٢٠٥ ، ٢٠٧ .

(٢) الأزهية ١٠٤ .

(٣) المفصل ١٤٦ ، الهمع ٩١ - ٩٢ ، الكافية ٢/ ٦١ ، الفرائد ٢/ ٢٤٤ .

(٤) المغنى ٣٦٤ .

(٥) الكافية ٢/ ٢٨٣ ، لباب الاعراب ١٨٥ ، المغنى ٣٣٢ ، الأزهية ٢٠٦ ، رصف المبانى ١٨٧ .

(٦) المغنى ٣٣٤ ، الأزهية ٢٠٧ ، رصف المبانى ١٨٦ - ١٨٧ ، الاشمونى ١/ ٢٠٠ ، الكافية ٢/ ٥٨ .

(٧) أوضح المسالك ١/ ١٥٨ .

وهى سؤال عن الشىء استخدمت لدى الكتاب للخروج على المعنى الأصلى للاستفهام أكثر مما استخدمت لأداء المعنى الأصلى وتقدم عليها العامل فيها فيما سمى فى الدراسة بتراكيب الاستفهام المقلوب .

٧ - « كم » عند النحاة : اسم استفهام اختلف النحاة فيه أمركب أم مفرد ؟[١] .

وهى تضاف عند الزجاج وحده[٢] ويعود الضمير عليها ويدخل حرف الجر عليها[٣] .

- وكم عندهم تقع مبتدأة ومفعوله ومضافا إليها وخبرا لكان ولغير كان ومجرورة بحرف يتعلق بتاليها وتقع ظرفا ومصدرًا ومفعولا له ولاتقع مفعولا معه لأنه لايتقدم وتقع مفعولا ثانيا لظن[٤] وقالوا : قد يحذف مميزها وقد يأتى مجرورًا مثل مميز « كم » الخبرية وقد يفصل المميز عن « كم » وقالوا : لايكون مميزها إلا نكرة[٥] وجواب « كم » الاستفهامية يجوز رفعه وإن اختلف محل « كم » من الرفع والنصب والجر ، وقال بعضهم الأولى فى الجواب مراعاة محل « كم » فيجرى على حسبه[٦] . ومعنى « كم » عند النحاة أى عدد - لا لقلة ولا لكثرة ولا هى حرف - بل هى اسم بسيط تقبل قليل العدد وكثيره[٧] . وتخرج عن المعنى الأصلى للاستفهام للتقرير[٨] .

* وفى الوقع اللغوى ندر استخدام « كم » ووقعت مبتدأه ومفعوله وحذف مميزها وفصل المميز عنها وسبق بحرف الجر الزائد « من » وجاء مميزها نكرة ، وجاءت للعدد المطلق عند استخدامها للمعنى الحقيقى وخروجها على المعنى الأصلى للاستفهام مرتبط بالسياق كله .

---

(١) الهمع ٢/ ٧٥ ، الإغراب ٤٠ .

(٢) حروف المعانى ٦٤ - ٦٥ ، الإرشاد ٢٦٤ ، المفصل ١٨٠ .

(٣) الكافية ٢/ ٩٦ ، الهمع ٢/ ٧٥ ، المفصل ١٨٠ .

(٤) المفصل ١٨٠ ، الهمع ٢/ ٧٥ ، الإرشاد ٢٦٧ ، الكافية ٢/ ٩٦ - ٩٨ ، الفرائد ٣/ ٥٨ ، ٦٤ .

(٥) المفصل ١٨٠ ، الهمع ١/ ٢٥٤ ، الارشاد ٢٦٦ ، المغنى ٢٠٠ - ٢٠٢ ، ٣٣٢ ، الكافية ٢/ ٩٦ - ٩٧ ، ١٠٠ .

(٦) الهمع ٢/ ٧٥ .

(٧) المغنى ٢٠٠ -٢٠١ ، الكافية ٢/ ٩١ .

(٨) الفرائد ٤/ ٢٧٩ .

٨ - كيف : عند النحــاة : « كيـف » عند النحاة ، اسم غير ظرف ، مبنـية لتضمنها معنى الحرف[١] وعند البعض الآخر ظرف[٢] ، ومعناها الــسؤال عن الحال[٣] ولهم اجتهادات كثيرة فى إعرابها[٤] . استخدام « كيف » للاستفهـام أكثر من استخدامها للشرط كما يـقول النحاة[٥] وتخرج علـى المعنى الأصلى لـلاستفهام إلى الـتعجب وتأتى عاطفة وتأتى عــلى معنى « كما »[٦] وعندهــم تدخل « أم » علـى « كيف » وتكون « أم » بمعنى « بل » وحدهــا دون همزة الاستفهام[٧] . وشذ دخول حرف الجر « على » على « كيف »[٨] .

* وفى الاسـتخـدام اللغـوى فى الـقرن الحـاضر « كيـف » سؤال عــن الحال ، استخدمها الرواد بقوة أقل مما استخدمـها المحدثون ورفعها المؤسسون إلى أقوى درجة فى الاستخدام وأدخلـها الكتاب على الفـعل والاسم (الفعل المضارع) . ولــم يقصدوا فى الغالب عند استخدامها المعنى الأصلى للاستفهام .

٩ - أين : عند النحاة :

عند النحاة « أين » ظرف ويسأل بها عن المكان وتكون بمعنى « حيث »[٩] تدخل « أم » عليها[١٠] وقالوا : لايـجوز توسيط ما نـفى من أخوات كان بـــ « ما » بين « أين» وما دخلت عليه ويجوز توسيطها إن كان النفى بغير « ما »[١١] .

* وفى الواقع اللغوى استخدمت « أين » للسؤال عن المكان فى الاستفهام الحقيقى وعند خروج الاستفهام ارتبط المعنى المقصـود بالسياق ولم يوسط أحد من الكتاب بين « أين » وما نفى من أخوات كان بل لم يأت بعدها نفى مطلقًا فى استخدامهم لها .

---

(١) حروف المعانى ٦٣ ، الكافية ٢/ ١١٦ .

(٢) الاغراب ٤٠/ ٥٩ .

(٣) المفصل ١٧٥ .

(٤) المغنى ٢٢٦ .

(٥) المغنى ٢٢٦ - ٢٢٧ ، حروف المعانى ٤٦ ، ٦٣ .

(٦) الدرر اللوامع ٢/ ١٧٩ .

(٧) المفصل ١٧٢ ، حروف المعانى ٤٥ ، الكافية ٢/ ١١٦ .

(٨) الدرر اللوامع ٢/ ١٨٠ .

(٩) الفرائد ٣/ ١٨٨ .

١٠ - متى : عند النحاة :

اسم الاستفهام « متى » عند النحاة ظرف يتصل بها « ما » المزيدة فتزداد إبهامًا[١] ، مبنية لتضمنها معنى الحرف[٢] وعند بعض النحاة « متى » من حروف الجر الشاذة[٣].

* فى الواقع اللغوى لتراكيب الاستفهام فى القرن العشرين استخدمت « متى » للسؤال عن الزمن عند استخدامها على المعنى الأصلى للاستفهام ولأداء أغراض أخرى عند استخدامها على غير المعنى الأصلى .

١١ - « أنى » عند النحاة :

قال النحاة عنها : تستخدم « أنى » للسؤال عن الحال مثل « كيف »[٤] ومن معانيها فى الاستفهام (من أين) وهى متقاربة مع « كيف) ويجوز أن يتأول كل منهما للآخر[٥] ويضعها بعضهم مع ظروف المكان أى سؤالا عن المكان[٦] وبعضهم يلزمها حرف الجر «من» ويضيف إليها معنى « متى » .

* وفى الواقع اللغوى استخدم الكتاب « أنى » استخداما ضعيفًا جدًا وبدا استخدامها فى نهاية القرن يكاد يكون منعدما ربما لوجود أدوات أخرى تقوم مقامها مع استقلال الأدوات الأخرى بمعان محددة ، وجاء استخدامها بمعنى « من أين » وبمعنى « كيف » وبمعنى « متى » .

ثانيا : أدوات استفهام ذكرها النحاة ولم يستخدمها الكتاب :

١٢ - أيان - من أدوات الاستفهام عند النحاة[٧] ولم يستخدمها الكتاب فى القرن العشرين .

---

(١) المفصل ١٧٢ ، حروف المعانى ٦٤ ، الكافية ٢/١١٦ .

(٢) الأشمونى ١/ ٤٠ .

(٣) أوضح المسالك ٣/٦ .

(٤) المفصل ١٧٥ ، الكافية ٢/١١٦ ، الهمع ٢/٥٧ .

(٥) حروف المعانى ٦٥ ، الهمع ٢/٥٧ .

(٦) الاغراب ٤٠ ، الهمع ٢/٥٧ ، الكافية ٢/١١٦ .

(٧) الهمع ٢/٥٧ ، الغراب ٤٠ ، الكافية ٢/١١٦ ، المفصل ١٧٢ ، حروف المعانى ٢٧ .

١٣ - كأى - وكأين : اسم استفهام عند بعض النحاة[١] ولم يستخدمها الكتاب فى القرن العشرين .

١٤ - كيمه - أداة استفهام عند بعض النحاة[٢] ولم يستخدمها الكتاب فى القرن العشرين .

١٥ - ويكأن - أداة استفهام عند بعض النحاة[٣] ولم يستخدمها كتاب القرن العشرين فى استفهامهم .

١٦ - لولا - من أدوات الاستفهام عند بعض النحاة[٤] ولم يستخدمها الكتاب ضمن أدوات استفهامهم فى القرن العشرين .

١٧ - لعل - عند القليل من النحاة أداة استفهام[٥] ولم يستخدمها أحد من كتاب القرن العشرين أداة للاستفهام .

١٨ - مهما - عند القليل من النحاة من أدوات الاستفهام[٦] ولم يستخدمها كتاب القرن العشرين أداة استفهام فى كتاباتهم .

ثالثا : أدوات وأنماط لم يذكرها النحاة واستخدمها الكتاب :

أ - الاستفهام محذوف الأداة :

وهو استفهام تكلم عنه النحاة بطريقة ضمنية عند حديثهم عن جواز حذف همزة الاستفهام ولكن هذا النوع من أنواع الاستفهام اشتد عودة من ناحية الاستخدام إذ صار يستخدم فى نهاية القرن بكثافة تزيد على أكثر الأدوات شيوعا واستقرارًا مثل « هل » والهمزة و « ما » . ومن ناحية التركيب لم يعد الحذف مقصورًا على الأداة وحدها بل امتد الحذف لينال أكثر مكونات التركيب ولم يبق منه فى الغالب إلا مكون واحد ، وغالبا يتم هذا الحذف الجائر عند قيام السياق السابق على الاستفهام واللاحق له بالدور

(١) المفصل ١٨٣ ، الهمع ٢/ ٥٧ ، ٧٦ ، المغنى ٢٠٣ -٢٠٤ ، الكافية ٢/ ١٠١ .

(٢) المفصل ٣٢٤ ، الكافية ٢/ ٢٤٣ ، الهمع ٢/ ٥ ، أوضح المسالك ٣/ ٦ .

(٣) حروف المعانى ٧٠ .

(٤) الهمع ٢/ ٦٧ ، المغنى ٣٠٤ - ٣٠٥ ، الأزهية ١٦٦ ، ١٧٠ ، الاغراب ٧٧ .

(٥) حروف المعانى ٤٢ ، المغنى ٣١٩ ، الأزهية ٢١٨ .

(٦) الهمع ٢/ ٥٨ ، الدرر اللوامع ٢/ ٧٤ ، الكافية ٢/ ٢٥٣ .

الرئيسى فى دفع الغموض واللبس وسوء الفهم ، ومن ناحية التقدير لم تعد الهمزة هى الأداة الوحيدة التى تقدر عند الحذف بل شاركت أدوات عديدة (من الأسماء) الهمزة فى التقدير - وقد شارك كل الكتاب فى هذا النمط من الاستفهام على مدى القرن .

ب - الاستفهام المقلوب :

وهو استفهام كامل فيه الأداة والمستفهم عنه ولكن الأداة انتقلت من صدارة التركيب إلى نهاية التركيب ، وهو استفهام كان موجودًا من قبل استشهد ببعض صوره النحاة خصوصا مع « ماذا » ولكنهم لم يناقشوه ولم يتعرضوا له فى مراجعهم وهذا الاستفهام المقلوب ظهر فى الواقع اللغوى للاستفهام فى هذا القرن مع الرواد وانتقل إلى المؤسسين ومنهم إلى المحدثين ولم يظهر هذا التركيب مع الهمزة أو هل ولا مع أى ولا أنى ولا كم وبالطبع لايظهر مع محذوف الأداة ولا مع الاستفهام غير المباشر لعدم وجود أداة فيها وضعا .

جـ - الاستفهام المحذوف منه المستفهم عنه :

وهو نوع من الاستفهام يبدو وكأنه المقابل اللغوى للاستفهام محذوف الأداة فهو استفهام يحذف منه المستفهم عنه وتبقى الأداة وحدها وربما تبقى الأداة وحرف العطف الذى دخل عليها ويعتمد هذا الاستفهام على السياق اعتمادًا كاملاً وغالبًا ما يكون السياق السابق استفهاما واللاحق إجابة أو استفهاما آخر وهذا النوع من الاستفهام ويبدأ ظهوره فى هذا القرن عند هيكل من جيل الرواد وكذلك عند العقاد وتوفيق الحكيم ويظهر بعد ذلك عند المؤسسين « يحيى حقى وطه حسين والسباعى ونجيب محفوظ » ويستمر كذلك عند المحدثين جميعًا .

د - لماذا :

أداة استفهام مركبة من اللام و « ما » و « ذا » . ومن هذا التركيب يتضح أن أصل الاستفهام فيها يأتى من « ما » ولن نخوض فى كيفية اعتراف النحاة القدماء بـ « ماذا » اسمًا مركبًا مستقلاً عن « ما » ولا وقت اعترافهم بها ، ولكن « لماذا » منذ بداية القرن تستخدم على يد الرواد وإن كان استخدامهم لها ضعيفا ثم قوى هذا الاستخدام نوعا ما ، ليصل إلى أقصى مدى عند المحدثين بل إن كاتبا منهم - من المحدثين - يستخدمها بنسبة تصل إلى ٣٠ ٪ من تراكيبه الاستفهامية كلها . وهذا الاستخدام الكثيف لـ «لماذا» هو الذى فرض وجوب فصلها عن « ماذا » من ناحية . ومن ناحية أخرى المعنى

المقصود بـ « لماذا » - سؤال عن سبب الحدوث - غير المقصود بـ « ماذا » - سؤال عن الحدوث - ومن ناحية ثالثة الوظائف التى تؤديها « لماذا » غير الوظائف التى تؤديها « ماذا » .

هـ - الاستفهام غير المباشر :

وهو نوع من حكاية الاستفهام أو نقل الاستفهام من صورته التركيبية المعتادة (أداة + مسئول عنه) ثم إجابة أو لا إجابة إلى صورة أخرى تكون فى الغالب عددًا من الجمل الخبرية القصيرة تحكى السؤال الذى كان وربما تحكى بعد السؤال الإجابة التى كانت ويكاد يكون هذا التركيب المقابل اللغوى لخروج الاستفهام عن المعنى الأصلى الذى وضع له لأداء معان أخرى تؤدى بجمل خبرية فهذه جمل خبرية لكنها تؤدى معانى الاستفهام . وقد شارك الكتاب جميعا(*) فى هذا النوع من الاستفهام على مدى القرن الذى شهد عند المؤسسين تراجعًا عن المستوى الذى حققه الرواد ، ولكن عند المحدثين وصل هذا النوع من الاستفهام إلى ذروة قوته (كثرة الاستخدام) على يد يوسف القعيد .

و - الاستفهام المركب :

وهو استفهام موجود فى التراكيب الاستفهامية لهذا القرن ولم يشر إليه النحاة وهو غير عطف استفهام على استفهام إذ كل من الاستفهامين المعطوف والمعطوف عليه يمكنه الاستقلال والعمل بمفرده كاستفهام مستقل أما الاستفهام المركب الذى استخدمه بعض الكتاب فى هذا القرن فهو استفهام مركب من استفهامين يبدأ بأحدهما ثم يتلوه الآخر ولايمكن لأحدهما أن يستقل بنفسه من ناحيتى المعنى والمبنى . وقد ظهر هذا النوع مبكرًا فى هذا القرن على يد الرواد « العقاد (الهمزة وهل) » والمؤسسين « يوسف السباعى » (الهمزة وما) والمحدثين « يوسف إدريس (هل وما) » واستخدام الكتاب لهذا النمط لايزال ضعيفًا حتى الذين استخدموه كان عدد المرات التى استخدموه فيها قليلاً وقد يعنى ذلك عدم القبول اللغوى وقد يعنى أنها البداية التى غالبًا ما تكون ضعيفة وبطيئة ولكنها مستمرة إلى أن تقوى على أيدى الأفراد المبدعين وعلى أيدى المتلقين الذين يحددون دائمًا مصير التغيير والتجديد اللغويين .

(*) العقاد وسعد مكاوى لم يستخدما أسلوب الاستفهام غير المباشر .

ب - تركيب الاستفهام بين النحاة والواقع اللغوى فى القرن العشرين :

مقدمة :

درس النحاة العرب أسلوب الاستفهام فى مواضع كثيرة من أبوابهم النحوية وهذا التشتت جعل البعض يتهمهم بتجاهل دراسة الاستفهام ، وجعل آخرين لايهتمون بتطوير هذه الأفكار الموزعة على كل أبواب النحو .

وسنحاول إبراز هذه الجهود على شكل قضايا ومسائل تركيبية ودلالية مع مقارنة أحكامهم بما عليه واقع الاستفهام فى القرن العشرين .

القضايا العامة :

١ - بنية التركيب الاستفهامى :

١/أ - صدر التركيب : عند النحاة للاستفهام صدر الكلام لايجوز تقدم شىء مما فى حيزه عليه[١] .

* وفى الواقع اللغوى تقدم شىء مما فى حيز الاستفهام عليه وتأخرت أداة الاستفهام إلى نهاية التركيب فيما سمى فى البحث بالاستفهام المقلوب وقد ظهر هذا النوع من تراكيب الاستفهام عند الرواد والمؤسسين والمحدثين وهو عند المحدثين أكثر ورودا مما هو عند الآخرين .

١/ب - ما بعد الصدر : والمقصود بالصدر عند النحاة بداية التركيب التى هى عندهم أداة الاستفهام . والأصل فى ذلك عند سيبويه وغيره من النحاة « حروف الاستفهام لايليها إلا الفعل إلا أنهم توسعوا فيها فابتدءوا بعدها الأسماء والأصل غير ذلك »[٢] ومع ذلك فقد أجازوا « دخول الهمزة على الأسماء التى فى حيزها فعل لأن لها منزلة خاصة »[٣] أما مع غير الهمزة فعند سيبويه قبيح وعند غيره غير جائز[٤] .

* وفى الواقع اللغوى نجد أن الهمزة وغير الهمزة من الحروف والأسماء الاستفهامية دخلت على فعل ودخلت على اسم بل إن بعض الأدوات دخلت على

---

(١) المفصل ٣٢٠ ، الكافية ٢/ ٩٧ .

(٢) سيبويه ١/ ٩٨ - ٩٩ .

(٣) سيبويه ١/ ١٠٠ - ١٠١ .

(٤) الكافية ٢/ ٢٥٥ .

الأسماء وحدها وبعضها دخل على الأسماء أكثر مما دخل على الأفعال وذلك عند كل الكتاب وعلى مدى القرن كله .

٢ - حروف الاستفهام وأسباب عدم عملها :

أسباب عدم عمل حروف الاستفهام إحدى القضايا التى شغلت حيزًا كبيرًا من كتب النحاة وتفكيرهم والتى أظهرت التفاوت الواضح بين النحاة فى تناول قضية واحدة فعند بعضهم لعدم قيامها بدور فعل أو لأنها تدخل على الجمل المستقلة أو لأنهما غير مختصة[١] .

* فى واقع الاستفهام اللغوى للقرن العشرين تعتبر هذه القضية إحدى المسائل المرتبطة بالنظرية النحوية لدى النحاة القدماء ، إذ لا انعكاس لهما فى الواقع اللغوى فى هذا القرن - ولا فى أى وقت آخر - ففكرة العمل والعامل والقيام بدور العامل فكرة فلسفية منطقية مرتبطة بمحاولة صياغة نظرية تبريرية لواقع لغوى .

٣ - مكان المستفهم عنه :

عند النحاة المستفهم عنه ما يلى حروف الاستفهام (الهمزة وهل وأم) أما أسماء الاستفهام فهى ترتبط بعواملها أو معمولاتها فذاك هو المسئول عنه ولافرق بين الاستفهام عن الفاعل أو الاستفهام عن متعلقات الفعل[٢] .

* فى الواقع اللغوى لتراكيب الاستفهام فى القرن العشرين يظل تقديم المستفهم عنه ليحتل الموقع الأول بعد الأداة هو الأكثر ورودًا ولكن يلاحظ أن هذا التحديد يضعف أو يختل - بدرجة متفاوتة - عند حذف أداة الاستفهام وعند تراجع الأداة إلى الذيل وفى صور الاستفهام غير المباشر وفى التراكيب الاستفهامية التى يحذف منها المستفهم عنه وتبقى الأداة وحدها فى التركيب .

٤ - محل جملة الاستفهام :

بعض النحاة يقرر إن جملة الاستفهام لا محل لها ، وبعضهم يرى لها محلاً إذا كانت تأتى بدلاً فالبدل تابع للمبدل منه[٣] .

---

(١) الخصائص ٢/ ٢٧٧ ، رصف المبانى ٨٣ ، الاغراب ٣٠ ، نتائج الفكر ٧٤ .

(٢) الفرائد ٤/ ١٧٩ - ١٨١ .

(٣) الفرائد ٤/ ١٧٩ - ١٨١ ، الكافية ٢/ ٢٨٢ .

* وفى الواقع اللغوى لا انعكاس لمثل هذه المسألة إذ هى من مسائل التنظير أو التفسير لأفكار يقوم عليها البنيان النظرى النحوى عند النحاة القدماء .

٥ - حروف الجر وأسماء الاستفهام :

يرى سيبويه أن حروف الجر لاتغير حروف الاستفهام(*) عن حال الاستفهام كما لم تغير الأسماء التى تجازى بها فلو غيرتها عن الجزاء غيرتها عن الاستفهام[١] .

* وفى الواقع اللغوى دخلت حروف الجر على أسماء الاستفهام كثيرًا . بل يمكن القول إن الارتباط بين حرف الجر « اللام » واسم الاستفهام المركب « ماذا » ساعد هذا الاسم على الاستقلال عن « ماذا » المستقلة عن « ما » وجعل هذا الحرف نسبة استخدام « لماذا » تقترب أو تفوق أحيانا نسبة استخدام « ماذا » تصل إلى الضعف عند المحدثين ، والحروف - حروف الجر - لاتغير أسماء الاستفهام بمعنى لاتمنعها من أداء دورها الاستفهامى ولكن فى نفس الوقت تضيق مطلقًا كانت هذه الأسماء تعمل فيه خاصة الظروف .

٦ - عمل ما قبل الاستفهام :

عند النحاة الشرط والاستفهام لايعمل فيهما ما قبلهما ثم أجاز النحاة عمل حرف الجر فى الشرط وعمل الاسم المضاف ثم نقلوا ذلك إلى اسم الاستفهام وهذا رأى ابن جنى[٢] .

* وفى الواقع اللغوى لتراكيب الاستفهام فى القرن العشرين سبق حرف الجر « أى » و «من» و « ما » و « لماذا بصورة مستمرة » و « متى » ولايظهر أثر العمل إلا فى « أى » لإعرابها .

٧ - إعراب وبناء أسماء الاستفهام :

عند النحاة أسماء الاستفهام كلها مبنية عدا « أى » ومع ذلك شغلت قضية إعراب هذه الأسماء عقولهم فالوظيفة التى يؤديها الاسم (معربا كان أو مبنيا) محور من محاور تفكيرهم النحوى فهذه الأسماء على الرغم من ثبات موقعها « غالبا » فى أول التركيب إلا أنها تؤدى وظائف متنوعة لايفرق بينها الإعراب قدر ما يفرق بينها دلالة

(*) حروف الاستفهام عند سيبويه مقصود بها حروف الاستفهام وأسماءه .

(١) سيبويه ٣/ ٧٩ .   (٢) الخصائص ١/ ٣٥٢ .

الوظيفة التى يؤديها الاسم فى التركيب حيث اجملوا هذه الوظائف بقولهم « أسماء الاستفهام إذا وقعت على زمان أو مكان فظرف وإذا وقعت على حدث فمفعول مطلق وإذا جاء بعدها فعل لازم فمبتدأ وإذا جاء بعدها فعل متعد مستوف مفعوله فمبتدأ ، وإذا وقع عليها الفعل المتعدى فمفعول به وإذا وقع الفعل المتعدى على ضميرها فاشتغال (أى يرفع على الابتداء أو ينصب على المفعولية بفعل محذوف يفسره الذى بعده)[1] .

واختلفوا فى أسباب بناء أسماء الاستفهام ويجمعهم إرجاعهم البناء لتضمن هذه الأسماء معنى الحرف (حرف الاستفهام) ولشبه هذه الأسماء الحرف شبها لفظيا ومعنويا[2] .

* من ناحية الواقع اللغوى لتراكيب الاستفهام وقعت أسماء الاستفهام فى كل هذه المواقع - الوظائف - ويدل على الوظيفة معنى التركيب كله .

ومن ناحية أسباب بناء أسماء الاستفهام فلا أثر لها فى الواقع اللغوى لتراكيب الاستفهام .

٨ - الحذف والاستفهام :

عند النحاة يجوز حذف الهمزة فهى وحدها التى تقدر ، ويكثر حذف المبتدأ فى جواب الاستفهام ، وكذلك يكثر حذف الفعل فى جواب الاستفهام ، ويجب حذف عامل المصدر التوبيخى المقرون بالاستفهام ويجوز حذف همزة الاستفهام التوبيخى كما تحذف همزة الاستفهام الحقيقى ، ولزم تقدير فعل محذوف إذا فُسرٍ بظاهر « هل زيد خرج ؟ » « هل خرج زيد خرج ؟ » ولايجوز حذف المفعول إن وقع جوابا لسؤال سائل[3] .

* فى الواقع اللغوى الحذف فى تراكيب الاستفهام فى القرن العشرين كثير فالأداة تحذف وهى ليست الهمزة وحدها والأركان الأساسية للتركيب يحذف بعضها أو كلها ولاتبقى إلا الأداة اعتمادًا على السياق وحذف الجواب كله أو بعضه وهذا البعض قد يكون اسما أو فعلاً . ولكن تقدير حذف فعل إذا فُسرٍ بظاهر فذاك قول لا علاقة له بالواقع اللغوى .

---

(١) الهمع ٢/ ٦٢ ، لباب الاعراب ١٩٠ - ١٩١ . (٢) الهمع ١/ ١٦ - ١٧ .

(٢) نتائج الفكر ٣٦٢ ، الهمع ١/ ١٠٣ ، المغنى ٦٩٨ - ٧٠٢ ، الدرر اللوامع ١/ ١٦٥ ، لباب الاعراب ٢٣٢ .

٩ - تقديم المفعول به إن كان اسم استفهام :

قرر النحاة وجوب تقديم المفعول به إن كان اسم استفهاما[١] .

* وفى الواقع اللغوى وقعت أسماء الاستفهام مفعولا به كثيرًا وكانت تتقدم التراكيب الاستفهامية على مدى القرن .

١٠ - نصب الأسماء المأخوذة من الأفعال استفهمت أو لم تستفهم :

يرى سيبويه أن الاسم المشتق من الفعل ينصب محذوفًا استغناء بما يُرى من الحال وصار الاسم بدلا من اللفظ بالفعل فجرى مجرى المصدر فى هذا الموضع وذلك مثل قولك « أقائما وقد قعد الناس ؟ وأقاعدًا وقد سار الركب ؟ » .

وفى الهامش يبين السيرافى الأمر بقوله : .... قدَّر سيبويه أن العامل فيه مثل الفعل الذى يعمل فى المصادر كأنه يقول « أتقوم قائما ؟ » الخ وأنكره بعض الناس لأن لفظ الفعل لايكاد يعمل فى اسم الفاعل الذى من لفظه وما جاء من ذلك يصرف إلى أنه مصدر لا اسم فاعل كذا قال المبرد .... ويرجح السيرافى رأى سيبويه ويبرر ذلك بأن الحال قد تكون توكيدًا كما يكون المصدر توكيدًا وإن كان الفعل قد دلَّ عليه[٢] .

- والنصب فى ذلك قوى حتى كاد يشبه الوجوب .

* فى الواقع اللغوى استفهم بعض الكتاب - نادرًا - مستخدمين اسمًا مشتقًا منصوبا ولكن تبرير النصب بفعل محذوف يحتاج إلى تدقيق لأن المحذوف لايطلق إلا على الذى كان موجودا ثم حذف وهذا الفعل فى ذلك الموقع لايظهر مطلقًا .

١١ - نصب المصدر فى الاخبار والاستفهام :

عند النحاة ينصب المصدر فى الاخبار والاستفهام كان فيه « أل » أم لم يكن على إضمار الفعل المتروك إظهاره لأنه يصير فى الاخبار والاستفهام بدلا من اللفظ بالفعل[٣] .

* وفى الواقع اللغوى استخدم الكتاب فى تراكيبهم الاستفهامية بعض المصادر المنصوبة خصوصا بعد الهمزة .

---

(٤) الخصائص ١/ ٢٩٨ ، الأشمونى ٢/ ١٤٥ .

(٢) سيبويه ١/ ٣٤٠ - ٣٤١ .

(٣) سيبويه ١/ ٣٣٥ - ٣٣٧ .

١٢ - نصب الأسماء غير المأخوذ من الأفعال وليست مصادر :

وهى أسماء تنصب فى الاستفهام وهى غير مأخوذة من الأفعال وليست مصادر ويجوز رفعها والنصب هو الوجه (بلفظ الخليل)[١] .

* وفى الواقع اللغوى جاءت صور قليلة لمثل هذا الاسم المنصوب فى الاستفهام بعد الهمزة ولم يكن مأخوذًا من فعل ولا مصدرًا وذلك فى تراكيب الاستفهام فى هذا القرن .

١٣ - واو المعية والمفعول معه مع « ما » و « كيف » :

درس النحاة بعض التراكيب الاستفهامية بـ « ما » و « كيف » التى جاءت فيها واو المعية وبعدها مفعول به نحو « ما أنت وزيدًا ؟ » و « كيف أنت وقصعة من ثريد ؟ » وقالوا النصب فى ذلك جائز والرفع هو الأكثر[٢] .

* وفى الواقع اللغوى لتراكيب الاستفهام فى هذا القرن ندر استخدام مثل هذا التركيب وقد ورد مرة ضمن تراكيب « ما » وجاء الاسم بعدها معرفا بـ « أل » .

١٤ - موقع جملة الاستفهام :

أشار النحاة إلى جواز وقوع جملة الاستفهام بدلا[٣] وإلى وقوعها جواب شرط[٤] كما أشاروا إلى وقوع جملة الاستفهام خبرًا[٥] وإلى وقوعها صفة[٦] .

* وفى واقع تراكيب الاستفهام عند كتاب العصر استخدموا جملة الاستفهام خبرًا وجواب شرط .

١٥ - الاشتغال والاستفهام :

عند النحاة الاشتغال أن يتقدم اسم وينصب ضميره أو ملابسه بعامل جائز العمل فيما قبله لو لم يشتغل بما بعده . ويتضح دور الاستفهام فى الاشتغال فى أنه إذا تلا الاسم المشتغل عنه استفهام بغير الهمزة يحتوى على اسم وفعل يجب نصب الاسم المشتغل عنه ، وإذا جاء بعد الاسم المشتغل عنه استفهام بالهمزة أو احتوت جملة

(١) سيبويه ١/ ٣٣٣ - ٣٤٧ .
(٢) الأشمونى ٢/ ٣٧٦ - ٣٨٠ .
(٣) الدرر اللوامع ٢/ ١٩٠ .
(٤) الفرائد ٢/ ٢٣٧ - ٢٣٨ .
(٥) الدرر اللوامع ١/ ٧٣ .
(٦) نتائج الفكر ٤٠١ ، الدرر اللوامع ٢/ ١٤٨ ، المفصل ١١٥ ، المغنى ٦٤٧ .

الاستفهام على جملة ذات وجه واحد (جملة اسمية لايشتمل خبرها على فعل) فلا يتعين النصب[1] .

* وفى الواقع اللغوى لم يشتغل عن اسم بعده الهمزة أو غير الهمزة من أدوات الاستفهام على مدى القرن عند كتاب البحث .

١٦ - التعليق والاستفهام :

التعليق عند النحاة اصطلاحًا ترك العمل فى اللفظ لا فى التقدير لمانع وإنما أثبتوا العمل بحسب المحل والتقدير مع التعليق لأن النصب يظهر فى التابع[2] . والمعلق قد يكون حرف الاستفهام الهمزة أصلاً اتفاقًا و « هل » على خلاف فيها أو اسمًا متضمنًا لمعنى الاستفهام وكذا الاسم المضاف إلى كلمة الاستفهام[3] وفى الواقع اللغوى لم يعلَّق فعل قلبى عن العمل لوجود الاستفهام وذلك فى تراكيب الاستفهام لدى كتاب القرن .

١٧ - أحوال المضارع فى جواب الاستفهام :

بحث النحاة فى أحوال الفعل المضارع فى جواب الاستفهام ووجدوا أنه قد ينصب وقد يرفع أو ينصب وقد يجزم[4] .

* وفى الواقع اللغوى لم يأت الفعل المضارع منصوبا ولا مجزوما فى جواب الاستفهام وأتى مرفوعا فى تراكيب قليلة .

١٨ - أحرف الجواب عند النحاة :

أ - « نعم » إذا وقع الكلامان المنفى والمثبت بعد حرف الاستفهام قلت « نعم » فقد حققت ما بعد الهمزة[5] .

ب - « بلى » إيجاب لما بعد النفى ، وبعض النحاة جوزوا إجابة الاستفهام المنفى المراد به التقرير بـ « نعم »[6] وقد تقع « بلى » بعد الاستفهام المثبت[7] .

---

(١) الفرائد / ٢٧٥٤ .

(٢) الفرائد ٤/ ١٧١ ، الكافية ٢/ ٢٨١ ، الهمع ١/ ١٥٤ .

(٣) الكافية ٢/ ٢٨١ ، الهمع ١/ ١٥٤ .

(٤) المفصل ٢٤٦ ، الفرائد ١/ ١٦٦ ، رصف المبانى ٣٧٩ - ٣٨٦ ، الهمع ٢/ ٩ ، الدرر اللوامع ٢/ ٩٦ .

(٥) المفصل ٣١١ والمغنى ١٢٠ ، ٣٨٣ .

(٦) الإغراب ٦٦ ، الهمع ٢/ ٧٢ - ٧٧ ، المغنى ١٢١ .

(٧) الهمع ٢ / ٧٢ - ٧٧ .

وقالوا تقع « بلى » فى مواضع « نعم » وتقع « نعم » فى مواضع « بلى» وقالوا « بلى تقع فى مواضع « نعم » » و « نعم » لاتقع فى مواضع «بلى»[1] .

جـ - « جير » و « إن » جعلهما البعض مثل « أجل » وجعل بعضهم « جير » بمعنى « نعم » وكذلك اختلفوا فى « إن » .

د - « أجل » مثل « نعم » حرف جواب مثل « نعم » عند البعض[2] .

هـ - « إى » بالكسر و « أى » بالفتح حرف جواب مثل « نعم » عند بعض النحاة[3] .

و - « بجل » و « جلل » حرفان للجواب بمعنى « نعم »[4] .

ز - « لا » حرف للجواب نقيض « نعم »[5] .

ح - « ألا » تكون جوابا عند بعض النحاة ، وهو شاذ بمعنى « بلى »[6] .

ط - « قد » قد تكون جوابا لـ « هل »[7] .

ويلاحظ ابن جنى أن من مواقع مجيئ المفرد موقع الجملة « نعم » و « لا » «نعم» فى موضع « قد كان ذاك » و « لا » فى موضع « لم يكن ذاك »[8] .

وفى الواقع اللغوى لأحرف الجواب عن تراكيب الاستفهام فى هذا القرن استخدم الكتاب بصورة نادرة « نعم » و « لا » و « بلى » و « أجل » ولم يستخدموا غيرها من أحرف الجواب وكانت معظم الإجابات المباشرة عن تراكيب الاستفهام المقصود بها المعنى الأصلى للاستفهام تأتى بدون أحرف الجواب ، واستخدمت فى هذه الإجابات « نعم » بدلا من « بلى » فى إثبات الاستفهام المنفى ، أى لم يستخدم من أحرف الجواب التى ذكرها النحاة « جير » ولا « إنْ » ولا « أجل » ولا « أى » بالفتح أو الكسر ولا « بجل » ولا « جلل » و « ألا » ولا « قد » .

---

(١) رصف المبانى ٣٦٥ . (٢) المفصل ٣١٠ ، الهمع ٢/ ٧٢ ، الكافية ٢/ ٢٤١ .

(٣) رصف المبانى ١٣٦ ، المفصل ٣١١ ، الاغراب ٧٢ .

(٤) الهمع ٢/ ٧١ ، المغنى ١١٩ - ١٢٨ . (٥) الهمع ٢/ ٧٦ ، المغنى ٢٧٦ .

(٦) رصف المبانى ٧٩ . (٧) المفصل ٣١٦ . (٨) الخصائص ٣/ ١٧٨ .

القضايا الدلالية للاستفهام بين النحاة والواقع اللغوى :

أ - تناول النحاة بعض القضايا الدلالية المرتبطة بتركيب الاستفهام فقد تكلموا عن الانتقال الدلالى من الاستفهام إلى التعجب إلى الخبر ، لأن أصل الاستفهام الخبر ولما طرأ التعجب إلى الاستفهام أعاده إلى الخبرية[1] وكذلك انتقال الخبر إلى نفى عن طريق همزة الاستفهام وعودته إلى الخبرية إذا لحقه نفى « إذا لحقته نفى عاد إيجابًا »[2] ويكرر السهيلى محاولة ابن جنى فى شرح خطوات الانتقال الدلالى من الاستفهام إلى الصفة[3] .

* وفى الواقع اللغوى يبدو انتقال دلالة تركيب الاستفهام لأداء معان أخرى متخذًا طريقًا آخر ، فالاستفهام - المجازى - البلاغى - الذى لم يقصد به المعنى الأصلى للاستفهام لاينقل تمامًا من الاستفهامية إلى الخبرية ، بل يبقى فيه درجة - ما - من درجات الاستفهام هى التى تدفع المتكلم - المبدع - ليتخذه وسيلة للتعبير عن فكرة يمكن أن يعبر عنها بالأسلوب الذى خصصته اللغة لها إذا فى نفس الوقت يعبر عن المعنى الجديد متخذا ما فى أسلوب الاستفهام من عناصر خاصة ولو قلنا بالانتقال التام لانهدم صرح اللغة من ناحية ولأصبحت بعض الأساليب زائدة عن الحاجة وهذا ما لايوافق عليه أحد .

ب - وتكلم النحاة أيضًا عن الميل للإيجاز لاستيعاب لانهائية المعانى حيث استخدموا أسماء الاستفهام للتعبير بمفردات قليلة عن معانى كثيرة ويضرب - ابن جنى - مثلا بإغناء « كم » عن كلام كثير وكذلك باقى أسماء الاستفهام[4] .

* وينطبق ما صرح به ابن جنى على معظم أدوات المعانى ومنها الاستفهام .

جـ - مستويات الإجابة : تكلم بعض النحاة عن مستويات الإجابة فقالوا إن الواجب أن تكون الإجابة على قدر السؤال وأن هناك مستويات متعددة للإجابة أو زائدة عن المسئول عنه[5] .

* وفى الواقع اللغوى لتراكيب الاستفهام - فى هذا القرن - لاترد إجابات على قدر السؤال حتى لو كان السؤال على المعنى الأصلى للاستفهام بل دائمًا هناك زيادات كثيرة إذ يستخدم السؤال غالبا لغير المعنى الأصلى للاستفهام .

(١) الخصائص ٣/ ٢٦٩ . (٢) الخصائص ٣/ ٢٦٩

(٣) نتائج الفكر . (٤) الخصائص ١/ ٨٢ . (٥) الخصائص ٢/ ٢٦٦ .

د - أسباب خروج السائل عن المعنى الحقيقى للاستفهام : تناول ابن جنى هذا الموضوع فبين أن من هـذه الأغراض أن يُرى المسئول أنه خفى عـليه ليسمع جـوابه عنه وأن يتعرف حال المسئول هـل هـو عـارف بما السائل عارف به ؟ ومن هذه الأغراض أن يعلم الحـاضر غيرهما أنه بـصورة السائل المسترشد ومنه أن يعد ذلك لمـا بعده مما يتوقعه حتى يكون صادقًا إذا حلف أنه سأل عنه . . . »[1] .

* وقد تحقق ذلـك فى الواقع اللغوى إذ الـسؤال إن كان موجها مـن طرف لطرف آخر فهو وسيـلة لغوية لينقـل بها الطرفان أفكارًا لايـحاط بها وتتسع الدائـرة كلما كان الطرف الآخر أكـبر عددًا والكتاب عـلى مدى القرن نادرًا ما اسـتخدموا الاستفـهام على المعنى الحقيقى . وعلـى غير المعنى الحقيقى فيه نقل معان لا متناهية هى جوهر السياق مصاغا على هـيئة استفهام يتلقاه كـل واحد ليفهم الاستفهام كـيف أراد ولكن أيضًا فى حدود اللغة التى لاتسـمح بتجاوزها - الحد المقصود هنا الفهم - والـصحة اللغوية شرط للفهم ولعدم الغموض .

هـ - وتكلم النحـاة أيضًا عن مشاكله الجواب للسؤال أى أن يأتـى الجواب حاملاً لنفس الصورة الإعرابية الوظيفية للسؤال وفى الواقع اللغوى لم يشاكل جواب سؤالا .

و - وتكلم النحاة عن الصفات الدلالية لحروف وأسماء الاستفهام فكرروا استخدام الهمزة لمعانى كثيرة[2] (التقـرير والإنكار والتهـكم والتوبيخ والـتسوية والأمر والـتعجب والاستبطاء والعرض)[3] وتكلموا عن المـعانى التى تخرج إليها « هـل » فهى تأتى بمعنى « قد » وللنفى ولـلتسوية وللتقرير وللتمنى وتخـصص المضارع بالاستقبال[4] وكذلك أسماء الاستفهام قرر النحاة استخدامها لأداء معان أخرى .

* وفى الواقـع اللغوى لتـراكيب الاستفـهام وأدواته عند كـتاب القرن العـشرين استخدم الكتاب أدوات الاستفهام ليكسبـوا التركيب الاستفهام أما خروج الاستفهام لأداء معانى أخرى فهو خـروج التركيب كله لأداء المعانى الأخرى وليـس الأداة وحدها فنفس الأداة التى يذكرهـا النحاة للنفى هى المذكـورة للتقرير هى المذكورة للإنـكار هى المذكورة

---

(١) الخصائص ٢/ ٢٦٤ .
(٢) الفرائد ٤/ ٢٤٧ - ٢٤٨ ، ٢٨٥ .
(٣) سيبويه ٣/ ١٧٢ ، المغنى ١٠ - ١٣ ، حروف المعانى ٣٣ ، معانى الحروف ١٤ .
(٤) الدرر اللوامع ١/ ١٢٨ ، الهمع ٢/ ٦٩ .

للتوبيخ إذن الفارق هنا ليس الأداة ولكنه بينة التركيب بعدها بما فى البنية من علاقات وبما فى السياق كله من علاقات .

وهذه الأمثلة التى أعطاها النحاة والبلاغيون فى كتبهم لأداء حروف الاستفهام واسمائه لمعان متنوعة - زادت عند بعضهم على الثلاثين - لو ابدلت الألفاظ بألفاظ أخرى ما كانت لها هذه المعانى المدعاة ويدل ذلك على أن المعانى لنظم المفردات فى سياق (معانى الوظيفة) مضافا إليه معانى المفردات نفسها (المعنى المعجمى) مضافا إليها المعانى المقامية (سياق المقام) أى العلاقة بين القول وصاحبه ومتلقيه فى زمان ومكان معينين .

خاتمة

مقدمة :

اتضح من خلال فصول الباب الرابع وجود اختلافات فردية - داخل نطاق ما تسمح به اللغة - بين الكتاب وهذه الاختلافات الفردية هى التى تقود حركة اللغة فى اتجاه التغير فكما تظهر وتقوى وتستمر أنماط استفهامية كذلك تضعف وتختفى تراكيب أخرى واللغة قادرة على كل هذا من خلال أبنائها المبدعين الذين يقودون والجمهور الذى يتلقى ويوافق فيستمر التغير أو يرفض فيتوقف هذا التغير وهذه الحركة كلها فى إطار سماح اللغة الذى يكتشف أفاقه المبدعون .

أولاً : يبين الأحمال التالى صورة التغير فى استخدام الأدوات مجمعة لكل جيل (الرواد والمؤسسون والمحدثون) .

(١) سيبويه ٣/ ١٧٦ ، الكافية ١/ ١٧٣ ، الدرر اللوامع ٢/ ٩٢ ، المغنى ٣٨٦ - ٣٨٧ .

نظرة عامة مقارنة لاستخدام أدوات الاستفهام عبر الأجيال :

الأداة / الكاتب	كيف	هل	الهمزة	ما	غير مباشر	من	أين	أى	محذوف	ماذا	متى	لماذا	أنى	كم
الرواد	٢٧,٦	٩٦,٦	١٠٣,٩	٦١,٦	٢٩,٥	١٩,٦	٢١,٤	٣٠,٦	٤٤,٦	٣١,٥	٤,٥	١٨,١	٣,١	,٤
المؤسسون	٤٤,٢	٥٤,١	١٢٢,٦	٦٨,٢	٢٤,٥	٢٢,٧	١٩,١	١٨,٦	٤٤,٤	٥٥,٨	٩,٧	١٩,٨	١,٤	٣,٢
المحدثون	٣٢,٣	٩٣,٩	٥٢,٧	٣٨,٣	٢٨,٣	٣٢,٧	٢٤,١	١٤,٣	٦٢,٤	٤١,٥	٧,٢	٧٤,٨	,٥	٣,٥

يلاحظ من الإجمال السابق ما يلى :

١ - الهمزة أكثر الأدوات استخدامًا لدى الرواد والمؤسسين وإن كان المؤسسون أكثر استخداما لها من الرواد . وإن هذا الاستخدام الكثيف للهمزة انخفض كثيرًا لدى المحدثين حتى وصل إلى ما يقارب النصف .

٢ - عند المحدثين احتلت « هل » المركز الأول فى الاستخدام بدلاً من الهمزة عند الرواد والمؤسسين .

٣ - « لماذا » احتلت المركز الثانى لدى المحدثين فى الوقت الذى كانت فيه لدى الرواد والمؤسسين ضعيفة الاستخدام .

٤ - استخدم الرواد والمؤسسون اسم الاستفهام « ما » بصورة متقاربة فى الوقت الذى ضعف فيه استخدام المحدثين لها .

٥ - ظل الاستفهام محذوف الأداة محافظًا على نفس النسبة لدى الرواد والمؤسسين ورفع المحدثون نسبة الاستخدام بزيادة تقرب من ٥٠ ٪ .

٦ - لدى الأجيال الثلاثة حافظ الاستفهام غير المباشر على نفس نسبة الاستخدام « تقريبًا » .

٧ - الأدوات « كم » و « أنى » و « متى » تتذيل قائمة الاستخدام عند الأجيال الثلاثة « رواد ومؤسسون ومحدثون » .

٨ - ينخفض استخدام « أى » بصورة منتظمة عند المؤسسين والمحدثين وكذلك مثل الانخفاض المستمر المنتظم اسم الاستفهام « أنى » .

٩ - استخدم الكتاب خلال أجيالهم الثلاثة نفس الأدوات وإن تفاوتت نسبة الاستخدام. أى لم يستخدم كتاب جيل أداة استفهامية ولم يستخدمها كتاب الجيلين الآخرين .

ثانيًا : الثوابت والمتغيرات فى أنماط الاستفهام :

أ - الثوابت :

١ - حافظت بنية التركيب الاستفهامى على صورتها المجردة قائمة إلى حد بعيد فلا تزال البنية الرئيسية « أداة استفهام + مستفهم عنه » .

٢ - حافظ نمط الاستفهام على كونه واقعا بين طرفين أحدهما يسأل ليعرف والآخر يطلب منه نقل ما يعرف إلى الطرف الأول .

٣ - يضاف إلى ثوابت البنية بقاء الحروف والأسماء المبنية محافظة على بنائها ومحافظة اسم الاستفهام المعرب - أى - على إعرابه مع عدم عمل ما قبله فيه إلا إذا كان حرف جر أو مضافاً .

٤ - تظل العناصر المكونة للتركيب الاستفهامى تتحرك فى التركيب حسب القواعد التى قررت لها من ناحية التقديم والتأخير ومن ناحية وجودها وحذفها . ومثل ذلك يقال فى تصدر بعض أحرف الجواب لتركيب الإجابة - وإن كان قليلاً - .

ب - المتغيرات :

١ - من ناحية البنية حدثت عدة تغيرات منها : كثرة حذف الأداة وإيصال معنى الاستفهام بالاعتماد على السياق . ومنها كثرة حذف المستفهم عنه والاكتفاء بالأداة ومنها قلب مكان الأداة من صدارة التركيب إلى ذيله ، وفيها اعتماد البنية على أداتى استفهام فى صورة الاستفهام المركب - وهى نادرة فى مادة الدراسة - . ومنها عدم استخدام عدد كبير من أدوات عدها النحاة أدوات استفهام ومنها ظهور أداة كانت فرعًا « لماذا » واستقلالها بل تفوقها فى نسبة الاستخدام على أصليها البعيد « ما » والقريب « ماذا » خاصة عند المحدثين من الكتاب فى نهاية القرن ، ومنها كثرة إدخال أدوات الاستفهام على أسماء بل إن بعض الأدوات « ما » و « متى » و « أين » - كاد دخولها على الأسماء يفوق دخولها على الأفعال. ومنها كثرة استخدام الجمل الخبرية للتعبير عن الاستفهام وهو ما أطلق عليه فى الدراسة الاستفهام غير المباشر .

٢ - من ناحية الدلالة : لم يعد الهدف الرئيس من تركيب الاستفهام طلب المعرفة بل أصبح الخروج على هذا الأصل هو الغالب فى استخدام كتاب القرن للتركيب . وأخذ سؤال النفس يزداد وسؤال الآخرين الذين لايعلمون يزداد ، وسؤال من لايريد أو يتوقع إجابة يزداد . ونتيجة لذلك فالغالب على تراكيب الاستفهام عدم ورود إجابة بعدها أكان من وجه إليه السؤال موجودًا أم غير موجود . كما أصبح فهم هدف الاستفهام يعتمد أكثر على السياق فى وجود الأداة وفى عدم وجودها بل فى وجود المستفهم عنه وفى عدم وجوده ، كما يبدو من المتغيرات التى صارت أوضح أن المعانى الأخرى التى يخرج إليها تركيب الاستفهام لا تحددها الأداة بل المحدد لها التركيب كله .

٣ - النموذج المجرد لبنية الاستفهام يكتب كالتالى :

أ - نمط الاستفهام ← أداة + مسئول عنه .

ب - تراكيب الاستفهام :

١ - أداة (حرف) (اسم) + فعل أو اسم .

٢ - ∅ + فعل أو اسم .

٣ - اسم استفهام + ∅ .

٤ - فعل أو اسم + اسم استفهام .

٥ - سأل + جمل خبرية + أجاب + جمل خبرية .

يلاحظ ∅ تعنى مقولة فارغة تساوى هنا اسم استفهام أو حرف استفهام أو المسئول عنه .

نتائج الدراسة :

١ - تناولت الدراسة سبعة وتسعين وخمسمائة وثلاثة آلاف تركيب استفهامى بالتحليل لخمسة عشر كاتبا مصريا على مدى القرن كله .

٢ - خلصت الدراسة إلى السمات المشتركة فى تراكيب هؤلاء الكتاب وإلى السمات الخاصة لكل كاتب منهم .

٣ - استطاعت الدراسة بيان حركة « تغير » تراكيب الاستفهام وأن تحدد اتجاهها ودرجتها بالنسبة لكل أنماط الاستفهام المستخدمة .

٤ - لاحظت الدراسة أن النحاة القدماء وقد درسوا تراكيب الاستفهام فى أبواب متفرقة من كتبهم قد وفقوا فى كثير من الآراء وأن بعضا آخر من أرائهم غير مؤيد بالواقع اللغوى وأن بعضا ثالثًا لايرتبط باللغة قدر ارتباطه بالنظرية النحوية التى أقاموها . وأن هناك بعض الظواهر اللغوية المرتبطة بالاستفهام ولم تعالج .

٥ - وجدت الدراسة أن أدوات الاستفهام ليست فى حالة سكون واستقرار بل بعضها يقوى لكثرة استخدامه وبعضها يضعف لقلة استخدامه والبعض الآخر منها فى تنقل بين القوة والضعف والبعض الرابع لم يستخدم مطلقًا على مدى القرن.

٦ - أثبتت الدراسة دور الفرد المبدع فى قيادة وتوجيه اللغة بشرط القبول من الجمهور المتلقى وانتشار ما قدم من استخدام يتمثل فيه نوع من الخرق أو الانحراف لما قد استقر فى الأذهان.

٧ - اكتشفت الدراسة أنواعا من الاستفهام لم تدرس من قبل مثل الاستفهام غير المباشر والاستفهام المقلوب والاستفهام المركب والاستفهام الذى حذف منه المستفهم عنه ولم يبق فيه إلا الأداة ، والاستفهام الذى حذفت منه الأداة وبعض التركيب ، أى لم يتوقف الحذف عند الأداة وحدها وفى مثل هذا الحذف الواسع لا تقدر الأداة المحذوفة - غالبًا - بالهمزة .

٨ - وجدت الدراسة بعضًا من أدوات الاستفهام قد اختفى تمامًا أى لم يعد مستخدمًا وهو كثير نحو « أيان » و « كأىٍّ » و « كيمه » و « يكأن » و « لولا » و « لعل » و « مهما » .

٩ - وجد البحث أن الأداة المركبة « لماذا » قد تفوقت فى الاستخدام أصلها القريب « ماذا » وعلى أصلها البعيد « ما » وأن هذه الأداة « لماذا » أمكنها الاستقلال

لاختلاف البنية واختلاف ما تسأل عنه وكثرة استخدامها خاصة فى نهاية القرن .

١٠ - وجد البحث أن تراكيب الاستفهام فى نثر القرن العشرين يستخدمها الكتاب بكثافة فى تجاورات قريبة وأن هذه التراكيب تقوم دلاليًا بتحقيق أكبر قدر من التأثير على المتلقى عند اجتماعها إذ أنها تحيط بفكرة الكاتب من كل جانب وأن بعضها يؤكد بعضا أو يفسر بعضا .

١١ - وجد البحث أن بعض الكتاب يستخدم تراكيب الاستفهام عنوانا للمقال وأحيانا اسم الاستفهام عنوانا رئيسيًا أو فرعيًا .

١٢ - وجد البحث أن الكتاب يستخدمون تراكيب الاستفهام للوصول إلى أغراضهم الفنية من الأسلوب أكثر من استخدامهم لها على المعنى الأصلى وأن هذه الأغراض التى يخرج لها التركيب ليست مرتبطة بالأداة قدر ارتباطها بالسياق العام - بيئة التركيب - والسياق الخاص - المفردات المكونه للتركيب ووظائفها والعلاقات القائمة بينها .

١٣ - لاحظ البحث الجهد الكبير المبذول من الباحثين لدراسة الاستفهام وأن هذا الجهد سيؤتى أكله إذا نقلنا العمل إلى اللغة نفسها وتوقف استخراج القواعد من الأمثلة وتحويل النظريات اللغوية إلى مجرد قوانين يبحث لها عن أمثلة مصنوعة أو حتى طبيعية .

١٤ - لاحظ البحث استخدام كثير من الكتاب لضمير الغائب المفرد والغائبة المفردة (هو / هى) بعد اسم الاستفهام « ما » وبعد الضمير يأتى اسم معرف بـ « أل » « ما هو الـ » و « ما هى الـ » كما لاحظ البحث انتقال هذا الاستخدام للضمير لاسم الاستفهام الظرفى « أين » ليصبح « أين هو الـ » و « أين هى الـ » .

١٥ - لاحظ البحث أن اسم الاستفهام « أنى » أصبح يستخدم مع نهاية القرن بصورة تصل إلى الندرة وربما يكون فى طريقه للاختفاء ويحتمل أن يكون المساعد على ذلك وجود أدوات أكثر رسوخا تحمل معناه .

١٦ - لاحظ البحث الضعف الشديد لاستخدام « كم » عند الكتاب وربما يرجع ذلك إلى طبيعتها « سؤال عن عدد » المباشرة وإلى أن النثر عند الأدباء وسيلة فنية تضعفها المباشرة .

١٧ - يتوقع البحث استمرار تنازل الهمزة عن صدارتها كما يتوقع احتلال « هل » لهذه الصدارة.

١٨ - الهمزة وهل حرفا الاستفهام لايحذف معهما المستفهم عنه ويبقيان وحدهما في التركيب .

١٩ - « ما » اسم الاستفهام الوحيد الذى يكثر دخوله على اسم ويليه « أين » ثم «من».

٢٠ - أداتا الاستفهام « هل » و « لماذا » تتجهان إلى أخذ الصدارة بدلاً من الهمزة و « ماذا » ؟.

والله ولى التوفيق والقادر عليه والحمد لله رب العالمين
وسلام على المرسلين أجمعين سلامًا دائمًا مباركًا
إلى يوم الدين ،

التثنية
فى اللغة العربية

د. احمد مطر العطية
جامعة الملك سعود

التثنية ظاهرة بارزة فى اللغة العربيـة ، وتعدُّ من خصائصها وميزاتها ، غير أنه وعبر تطـور اللغة ، اعترى هذه الظـاهرة اضطراب فى علامتهـا ودلالتها ، ويبدو أن أحكامها وقوانينها لم تستقر وتطرد إلاّ بعد نزول القرآن الكريم الذى صهر لهجات العرب فى لغة واحدة خالدة .

ويرمـى هذ البـحث إلى دراسـة هذا الاضطـراب وتحلـيله اعـتمادا عـلى الموروث اللغوى وأقوال العلماء وآرائهم ، وانتهى إلى الدعوة إلى عدم تدريس الطلبـة فى مستوياتهـم الأولى ، تلك الظواهر المـضطربة التى تخـالف العرف اللغـوى الشائع وفـق ما قرره النـحاة وأصَّلوه ، وإنّما تُدَرَّس تـلكم الظـواهر للطـلبة فى مستـوياتهم العـليا ، بغية دراسـة التطـور الـلغوى عبر عـصوره المختلفة .

ظاهرة التثنية فى العربية

تعريفها : التثنية صيغة مبنية للدلالة على اثنين أو اثتين [١] واشتقاقها من ثنى يثنى إذا عطف ، يقال : ثنى العود ، إذا عطفه عليه ، فكأن الثانى معطوف [٢] .

وأصل التنيشة العطف ، تقول : قام الزيدان ، وذهب العَمْران ، والأصل : قام زيد وزيدٌ ، وذهب عمرو وعمرو ، إلا أنهم حذفوا أحدهما ، وزادوا على الآخر لاحقة دالة على التثنية للإيجاز والاختصار [٣] .

والذى يدل على أن الأصل هو العطف ، أنهم يفكون التثنية فى حال الاضطرار ، ويعدلون عنها إلى التكرار ، كقول الراجز [٤] :

كأن بين فكِّها والفَكِّ

فارةَ مِسْكٍ ذُبِحَتْ فى سَكِّ

أراد : بين فكّيها ، فلما اضطره الوزن والقافية عاد إلى العطف .

وقول الآخر [٥] :

لَيْثٌ وليث فى مَحَلٍّ ضَنْكِ

---

(١) أبو البركات ، عبد الرحمن بن محمد ، الأنبارى ، أسرار العربية ، تحقيق محمد بهجة البيطار (دمشق ، مطبعة الترقى ، مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق ١٩٥٧م) : ص٤٧ .

(٢) موفق الدين ، يعيش بن على بن يعيش ، شرح المفصل ، (بيروت ، عالم الكتب) ٤/ ١٣٧ .

(٣) أسرار العربية ٤٧ ، وجلال الدين السيوطى ، همع الهوامع ، تحقيق عبد ا لسلام هارون ، وعبد العال سالم مكرم (الكويت ، دار البحوث العلمية) ١/ ٤٥ .

(٤) انظر ابن الشجرى ، أمالى ابن الشجرى ، تحقيق د. محمود محمد الطناحى (القاهرة مكتبة الخانجى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) ١/ ١٤ وأسرار العربية ٤٧ ، وشرح المفصل ٤/ ١٣٧ .

(٥) انظر ابن الشجرى ١/ ١٤ ، وأسرار العربية : ٤٨ ، والهمع ١/ ٤٥ .

أراد : «ليثان» . إلاّ أنه لما اضطر لإقامة الوزن أفرد وعطف .

كما أجازوا الإفراد والعطف فى سعة الكلام من غير ما اضطرار إلى وزن أو قافية ، وذلك إذا قصد التفخيم ، يقول ابن الشجرى : «فإذا استعملت هذا فى السعة ، فإنما تستعمله لتفخيم الشىء الذى تقصد تعظيمه ، كقولك لمن تعنفه بقبيح تكرَّر منه ، وتُنَبِّهه على تكرير عفوك عنه : قد صفحت لك عن جرم وجرم . . . وكقولك لمن يحقر أيادى أسديتها إليه ، أو ينكر ما أنعمت به عليه ، قد أعطيتك ألفًا وألفًا . . . فهذا أفخم فى اللفظ وأوقع فى النفس . . .» [١] .

التثنية من خصائص العربية :

والتثنية ظاهرة أصيلة فى اللغة العربية ، ورثتها من اللغة السامية الأم [٢] ، يقول كارل بروكلمان : «قام المثنى فى اللغات السامية أصلاً للدلالة على الأزواج الطبيعية ، كالأعضاء المزدوجة ، غير أنه أصبح فيما بعد يعبر كذلك عن التثنية مطلقًا» [٣] .

والباحث فى اللغات السامية ، يجد أن التثنية ظاهرة سامية واضحة ، فكلمتا (اثنان) و (اثنتان) كلمتان ساميتان قديمتان ، وتوجدان فى العبرية [٤] والسريانية [٥] .

---

(١) أمالى ابن الشجرى ١/ ١٤ .

(٢) انظر محمد خير حلوانى ، الواضح فى علم الصرف (دمشق ، دار المأمون للتراث) ط٤ ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ، ٢٣٠ .

(٣) كارل بروكلمان ، فقه اللغات السامية ، ترجمة د. رمضان عبد التواب (الرياض - مطبوعات جامعة الرياض ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ٩٩ .

(٤) انظر ربحى كمال ، دروس اللغة العبرية (بيروت دار النهضة العربية ، ١٩٧٨م) ص ١٠٣ .

(٥) انظر زاكية محمد رشدى ، السريانية ، نحوها وصرفها (القاهرة دار الثقافة للطباعة والنشر) ص٦٠ .

وعلامة التثنية تكاد تكون متقاربة فى اللغات السامية ، فهى فى السريانية ياء ونون [١] ، وفى العبرية ياء وميم [٢] .

غير أنه فى حين أن هذه الظاهرة تطورت فى اللغة العربية ، فأصبحت واضحة المعالم ، لها قواعدها وأصولها وأحكامها ، وضمائرها الخاصة بها ، فإنها فى اللغات السامية الأخرى ، انحسرت ، فليس فى السريانية مثلاً أكثر من خمس صيغ للتثنية [٣] ، أما فى العبرية فقد اقتصرت على الأزواج الطبيعية ، كأسماء أعضاء الجسم المزدوجة ، وأدوات الصناعة المثناة ، وأسماء الملابس المزدوجة وكذلك أسماء الزمان المزدوجة [٤] .

وعدّ بعض الباحثين الغربيين التثنية من خصائص اللغات غير المنقحة [٥] . غير أنّ الأستاذ عز الدين التنوخى - رحمه الله - فنّد هذا الزعم ، فقال : «إن ما ذكر فى هذا المعجم الفرنسى من أن اللغات المثقفة لا تشتمل على المثنى ، أو أن المثنى من خصائص اللغات غير المثقفة ، كاللغة العربية ، هو من المزاعم الخاطئة ، لأن التعبير بالمثنى إنما هو تعبير عن حالة طبيعية ، تبعث انتباه الإنسان إلى التثنية ؛ ذلك أن له عينين وأذنين ويدين ، ورجلين ومثناة الطباق من حوله لا تحصى كالقمرين : الشمس والقمر ، والسماء والأرض ، والليل والنهار إلخ . . .» [٦] .

---

(١) السابق نفسه .

(٢) انظر ربحى كمال ، دروس اللغة العبرية ١٠٣ .

(٣) انظر محمد حسين آل ياسين «مقدمة فى الأصول اللغوية المشتركة بين العربية والعبرية» مجلة البلاغ ، الكاظمية ، العراق ، العدد الثامن (رمضان ١٣٩١هـ) ص٦٠ .

(٤) انظر ربحى كمال ، دروس اللغة العبرية ١٠٣ .

(٥) هذا ما ذكره الأستاذ عز الدين التنوخى استناداً إلى دائرة معارف لاروس القرن العشرين . انظر عز الدين التنوخى «كتاب المثنى» مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ، مجلد ٣٥ ، جـ٣ (١٩٦٠م) ص ٤٢٦

(٦) السابق نفسه .

ثم يتابع قائلاً : «وقد يدعو إلى التثنية حاجة الإنسان الاجتماعية إلى التعبير عن التثنية أو الزوجية ، لأنه يقضى جل حياته مع رفيقة عمره ، وهما زوجان أو مثنى ، فقد كان كل من الرجل والمرأة فردًا ، فأصبح زوجًا ، ومن ذلك جاء اسم الزواج فى العربية ، والإنسان مع صديقه اثنان ، وهو أكثر اجتماعًا به من اجتماعه بالجمع فى المحافل والمجامع والجامعات والجوامع وغيرها ، لذلك كان العربى المدنى بطبعه فى حاجة ماسة إلى التعبير عن الشخص الثانى الذى لا يكاد يفارقه بعد وهو المثنى» (١) .

وفى الحق أن فى التثنية اختصارًا واقتصادًا لغويًا فبينما نعبر عن المثنى فى العربية بلفظ واحد ، مثل : (رجلان) (امرأتان) ، فكان الإنكليز مثلاً يعبرون عنه بلفظين ، مثل : (Two men) (Two women) ، ومثل ذلك فى كثير من لغات العالم ، ولهذا يعدّ المثنى من لطائف العربية ، وحسن بيانها .

أقسام التثنية :

يمكن أن تقسم التثنية إلى عدة أضرب ، حسب نظرة النحاة وتقسيمهم لها ، فأبو على الفارسى (ت٣٧٧هـ) يجعلها ضربين: ما يفرد . وما لا يفرد ، يقول أبو على : «اعلم أن التثنية على ضربين : أحدهما أن يلحق الاسم فيها حرف التثنية ، ويكون فى تقدير الانفصال . والآخر أن يصاغ الاسم على التثنية ، ولا يقدر فيها انفصال الواحد ، كما قدّر فى الوجه الأول ، ولكن بنى على التثنية» (٢) .

---

(١) السابق ص ٤٢٧ .

(٢) أبو على الفارسى ، كتاب الشعر ، تحقيق د. محمود محمد الطناحى (القاهرة ، مكتبة الخانجى ، ط١ ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ١ / ١١٨ .

ولتوضيح هذا الكلام وبيانه ، نمثل للضرب الأول بقولنا : كتاب و (كتابان) ، فلفظ (كتابان) دل على اثنين بزيادة لاحقة فى آخره هى (ان) ، ويمكن أن يجرد من هذه اللاحقة ، فيغدو (كتاب) ، فأصل (كتابان) : كتاب وكتاب ، وقد تشابها لفظًا ومعنى ، ووجه الشبه بينهما هو اشتمال كلٍّ منهما على أوراق مضمومة مؤلفة فى موضوع ما [1] .

ويُعرَّف هذا الضرب بـ (أنه ما دل على اثنين أو اثنتين اتفقا لفظًا ومعنى بزيادة ألف ونون أو ياء ونون ، وكان صالحًا لتجرده منها» [2] .

وهذا النوع من التثنية هو ـ الأكثر شيوعًا فى العربية وعليه معظم الكلام .

أما الضرب الثانى ، فهو الذى يجىء على صورة المثنى ، وليس له مفرد ، ولا يمكن أن يجرد من لاحقة المثنى ، ويوضحه أبو على بقوله : «والثانى كقولهم : مِذْروان [3] وعقلته بثنايين [4] ، فهذين بنيا على التثنية ، كما بنى نحو الإدواة على التأنيث ، ولولا ذاك لانقلبت الواو والياء كما انقلبتا فى ردائين ومغزيان ، فلا مفرد لكلّ واحد من مِذْروين وثنايين ، كما أنَّه لا مذكر للإداوة والنهاية» [5] .

---

(١) عز الدين التنوخى ، (كتاب المثنى) مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ، جـ٣ ، ص٤٢٧ .

(٢) انظر شرح المفصل ٤/١٣٧ ، وهمع الهوامع ١/ ١٣٣ .

(٣) المذروان : أطراف الألية ، بلا واحد ، تقول العرب : جاء ينفض مذرويه : أى جاء باغيًا متهددًا القاموس (ذرو) .

(٤) عقلته بثنايين : إذا عقلت يد البعير بحبل واحد . اللسان (ثنى) .

(٥) أبو على الفارسى ، كتاب الشعر ١/ ١١٩ .

ومثل ذلك ما حكى من قول العرب : جاء فلان يضرب أصْدَرَيْه[1] ، وكذلك كلبتا الحداد[2] ، و مثل ذلك أيضًا كلا وكلتا .

وهناك ضرب آخر ، يطلق عليه المثنى التغليبى ، وهو أن يكون لدينا اسمان مختلفان لفظًا ومعنى فيغلب أحدهما على الآخر ، ثم يثنى . ويوضح ابن الشجرى هذا الضرب من التثنية ، بقوله : «وذلك أنَّهم أجروا المختلفين مجرى المتفقين ، بتغليب أحدهما على الآخر لخفته أو شهرته ، جاء ذلك مسموعًا فى أسماء صالحة ، كقولهم للأب والأم : الأبوان ، وللشمس والقمر : القمران ، ولأبى بكر وعمر - رضي الله عنهما - العمران .

غلبوا : القمر على الشمس لخفة التذكير ، وغلبوا عمر على أبى بكر لأن أيام عمره امتدت فاشتهرت» [3] .

فقوله : غلَّبوا القمر على الشمس لخفة التذكير ، أى أن لفظ القمر أخف عليهم من لفظ الشمس ؛ لأن المذكر عندهم أخف من المؤنث ؛ لأن المذكر أول والتأنيث ثان [4] .

أما قوله : غلّبوا عمر على أبى بكر ؛ لأن أيام عمر امتدت واشتهرت . ففيه نظر ، وذلك أننى أرى أن تغليب عمر على أبى بكر ، لم يخرج عن

---

(١) انظر جمال الدين محمد بن مالك ، شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ ، تحقيق عدنان عبد الرحمن الدورى (بغداد ، مطبعة ا لعانى ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) ١٢٦ . وجاء يضرب أصدريه : أى جاء فارغًا . القاموس (صدر) .

(٢) انظر محمد بدر ا لدين الدمامينى ، تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد تحقيق د. محمد بن عبد الرحمن المفدى ، (ط١ ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ١/ ٢٠٤ ، وكلبتا الحداد : ما يأخذ به الحداد الحديد المحمى . القاموس (كلب) .

(٣) ابن الشجرى ، أمالى ابن الشجرى ١/ ١٩ .

(٤) انظر : الأصول فى النحو ، لابن السراج ، تحقيق د. عبد الحسين الفتلى (بيروت ، مؤسسة الرسالة ط١ ١٩٨٥م) . ٢/ ٨٥ .

الخفة ، وذلك أن لفظ عمر مفرد ، بينما لفظ (أبو بكر) مركب من كلمتين ، والمفرد أخف من المركب [1] .

وقد جعل الأستاذ عز الدين

ا لتنوخى هذا الضرب نوعين : هما التلقيبى ، والتغليبى ، ووضح كلاً منهما بقوله : «فالمثنى التلقيبى هو ما إذا أفرد لم يفد المعنى الموضوع له فى التثنية ؛ ولذا لا يصح إطلاقه على أحد المسميين ، مثل : «الرافدان» لدجلة والفرات ، فلو أفردناه ، بحذف لاحقه التثنية لأصبح (رافد) فلا يصح إطلاقه على واحد منهما ، ومثل ذلك (الأسودان) للماء والتمر» [2] .

ثم وضح الثانى قائلا : «والمثنى التغليبى هو الذى إذا أفرد صح إطلاقه على المتغلب من الاثنين ، مثاله ، (العمران) لأبى بكر وعمر ، مفردهما (عمر) ، وعمر يصح إطلاقه على ابن الخطاب ، وهو المُتَغَلِّب من الاثنين ، ومثله (القمران) وما أشبهها» [3] .

اضطراب ظاهرة التثنية :

مع أن التثنية ظاهرة أصيلة فى العربية ، وخصيصة من خصائصها ، إلاّ أنها ظاهرة مضطربة قلقة ، فالباحث فى النصوص اللغوية والموثقة ، وفيما أصله النحاة واللغويون وقرروه ، يجد أن هذه الظاهرة ليست مستقرة ولا مطّردة فى كافة أحوالها ، وأحكامها ، فهى لا تسير على سنن واحد فى علامتها ودلالتها ، يقول الدكتور الحلوانى - رحمه الله - : «لقد جمع اللغويون من ظواهر التثنية وأعراضها ما يلفت النظر ، وهى فى جملتها تدل

(١) ابن الأنبارى ، الأسرار العربية ٣٠٨ .

(٢) عز الدين التنوخى (كتاب المثنى) مجلة المجمع العلمى بدمشق ، جـ٣ ، ص٤٢٩ .

(٣) السابق نفسه .

على اضطراب وعدم استقرار على نظام تكوُّنى وتعبيرى خاص ، إذا كنا نعد الظواهر الجزئية بعضًا من نظام اللغة العام» [1] .

ويتمثل هذا الاضطراب فى جملة أمور ، سأحاول دراستها فى النقاط الآتية :

أولاً - اضطراب علامة التثنية :

من الثابت فى قواعد النحو أن الألف علامة الرفع فى المثنى ، والياء علامة النصب والجر ، يقول سيبويه (ت ١٨٠هـ) : «اعلم أن التثنية تكون فى الرفع بالألف والنون ، وفى النصب والجر بالياء والنون» [2] . ويقول ابن السراج (ت٣١٦هـ) فى أصوله : «فإذا ثنيت الاسم المرفوع لحقته ألف ونون ، فقلت : المسلمان والصالحان ، وتلحقه فى النصب والخفض ياء ونون» [3] .

والنحاة إذا قرروا هذا ، إنَّما قرروه استنادًا إلى لغة القرآن الكريم ، ولغة الشعر العربى القديم ، غير أنَّهم ذكروا فى مؤلفاتهم أن كثيرًا من العرب لا يتقيدون بهذا القانون العام ولا يحافظون عليه ، بل يلتزمون الألف فى الأحوال الثلاث (الرفع والنصب والجر) يقول أبو الفتح عثمان بن جنى (ت٣٩٢هـ) «على أن من العرب من لا يخاف اللبس ، ويجرى الباب على أصل قياسه ، فيدع الألف ثابتة فى الأحوال ، فيقول : قام الزيدان ، وضربت الزيدان ، ومررت بالزيدان ، وهم بنو الحارث وبطون من ربيعة» [4] .

---

(١) محمد خير الحلوانى ، الواضح فى علم الصرف ٢٧١ .

(٢) سيبويه ، الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون (بيروت عالم الكتب) ٣/ ٣٨٥ .

(٣) ابن السراج ، الأصول فى النحو ١/ ٤٦ ، وانظر أيضًا المبرد ، المقتضب ، تحقيق د. محمد عبد الخالق عضيمة (بيروت عالم الكتب) ١/ ٦ .

(٤) ابن جنى ، سر الصناعة ، تحقيق د. حسن هنداوى (دمشق ، دار القلم ، ١٩٨٥م) ٢/ ٧٠٤ .

ومن كلام ابن جنى هذا نستشف أن القياس هو أن يكون المثنى بالألف فى كافة الأحوال ، وإنما جُنح إلى الياء فى النصب والجر لمنع اللبس .

وقبل ابن جنى عدَّ الفراء (٢٠٧هـ) لزوم الألف أقيس من التحول إلى الياء فى النصب والجر ، قال بعد أن ذكر هذه اللغة : «وذلك - وإن كان قليلاً - أقيس ؛ لأن العرب قالوا : مسلمُون ، فجعلوا الواو تابعة للضمة (لأن الواو لا تعرب) ، ثم قالوا : رأيت المسلمين ، فجعلوا الياء تابعة لكسرة الميم . فلما رأوا أن الياء من الاثنين لا يمكنهم كسر ما قبلها ، وثبت مفتوحًا ، تركوا الألف تتبعه ، فقالوا : رجلان فى كل الأحوال» (١) .

لم تكن هذه اللغة مقتصرة على بنى الحارث ، وبطون من ربيعة ، بل هناك قبائل أخرى تلتزم الألف ، وهم كنانة ، وبنو العنبر ، وبنو الهجيم ، وبكر بن وائل ، وزبيد ، وخثعم ، وهمدان ، وفزارة ، وعذرة (٢) .

ومن يتدبر أسماء القبائل آنفة الذكر ، ويحدد مواطنها فى الجزيرة العربية ، يجد أن لزوم الألف فى التثنية ليست ظاهرة لغوية شاذة ، أو لهجة خاصة ببطن من بطون قبيلة عربية ، أو بصقع من أصقاع الجزيرة العربية ، بل هى ظاهرة فاشية فى عدد من القبائل العربية ، وفى أجزاء متفرقة من بلاد العرب ، ولهذا قال ابن يعيش (ت٦٤٣هـ) عنها : «وهى لغة فاشية» (٣) . ويصفها السيوطى (ت٩١١هـ) بقوله : «ولزوم الألف فى الأحوال الثلاثة لغة معروفة» (٤) ويقول عنها المالقى (ت٧٠٢هـ) : «ثبوت تلك اللغة فاشٍ» (٥) .

---

(١) معانى القرآن للفراء ٢/ ١٨٤ .

(٢) انظر أبا حيان ، البحر المحيط (بيروت ، دار إحياء التراث العربى ، ط٢ ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م) ٦/ ٢٥٥ ، والسيوطى همع الهوامع ١/ ١٣٣ .

(٣) ابن يعيش : شرح المفصل : ٢/ ١٢٩ .

(٤) السيوطى ، همع الهوامع ١/ ١٣٣ .

(٥) المالقى ، رصف المبانى فى شرح حروف المعانى ، تحقيق أحمد محمد الخراط (دمشق ، مطبعة زيد بن ثابت ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م) ٣١١ .

وقد وصلتنا جملة من الشواهد الشعرية الموثقة على هذه اللغة ، من ذلك قول المتلمس [1] :

فأطْرَقَ إطْراقَ الشُّجاع ولو رأى مَساغًا لنـاباه الشُّجـاعُ لَصَمَّما

وقول الآخر [2] :

تزوَّدَ منّا بين أذْناه ضـربةً دعتْهُ إلى هابى التُّرابِ عَقِيمِ

ومنها أيضًا :

إنَّ أباهـا وأبا أباهـا

قد بلغا فى المجْدِ غايتاها [3]

وكذلك قول الراجز [4] :

أعرفُ منها الجيدَ والعَيْنانا ومَنْخَـرِين أشبَهـا ظَبْيَانا

(1) من قصيدة لـه رواها الأصمعى فى الأصمعيـات ، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة ، دار المعارف بمصر ، 1979م) ص 246 ، والرواية هناك «النابيه» ولا شاهد حينئذ ومثل ذلك رواه ابن دريد فى جمهرة اللغة (حيدر آباد ، طبعة مجلس دائرة المعارف ، 1334هـ) 2/ 372 .

(2) البيت رواه ابن دريد فى جمرة اللغة 2/ 323 . منسوبًا إلى هوبر الحارثى ، وهو بلا نسبة فى سر صناعة الإعراب لابن جنى 2/ 704 . وشرح المفصل لابن يعيش 3/ 128 ، وهمع الهوامع للسيوطى 1/ 134 . ورواه ابن منظور فى لسان العرب ، تحقيق عبد الله على الكبير ورفيقه (القاهرة ، دار المعارف ، شطى ، صرع) والرواية فى كلتا المادتين : (بين أذنيه) وعليها لا شاهد فيه .

(3) البيتـان لرؤبة بن العجاج فى ملحقات ديوانه (مجموع أشعار العرب) تصحيح وترتيب وليم بن الورد البروسى (بيروت ، دار الآفاق الجديدة 1979م) ، 168 ، وهما فى سر الصناعة لابن جنى 2/ 705 . وشرح المفصل لابن يعيش 1/ 53 ، 3/ 129 ، ورصف المبانى للمالقى 24 ، 236 ، وهمع الهوامع 1/ 134 .

(4) البيتان من أرجوزة لرجل من ضبة رواها أبو زيد الأنصارى فى نوادره ، تحقيق سعيد الخورى الشرتونى (بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، 1894م) ، 15 وهما فى كتاب الشعر لأبى على الفارسى 1/ 123 ، وسر صناعة الإعراب 2/ 705 وشرح المفصل لابن يعيش 3/ 129 ، ورصف المبانى للمالقى 24 .

وقول الآخر [1] :

هَيَّاك أن تمنى بَشعْشَعان

خَبٍّ الفؤادِ مائلِ اليدان

ومنها كذلك :

واشدُدْ بمُثْنَى حَقَبٍ حَقْواها [2]

ولم تكن هذه اللغة وقفًا على لغة الشعر فحسب ، بل نجدها فى اللغة النثرية العالية ، من ذلك قراءة «إنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ» [3] وقد أوّلت هذه القراءة على هذه اللغة ، يقول ابن جنى فى سرّ الصناعة بعدما أورد الشواهد الشعرية السابقة : «وعلى هذا تتوجه عندنا قراءة من من قرأ : «إنَّ هَذانِ لَسَاحِرانِ» [4] . ويقول ابن يعيش : «وأما قراءة الجماعة «إن هذان لساحران» فأمثل الأقوال فيها : أن تكون على لغة بنى الحارث فى جعلهم المثنى بالألف على كلّ حال» [5] .

ويوجه الدكتور الحلوانى هذه القراءة بقوله : «وربما كان أصح تفسير أن القرآن نزل بلغة الحجاز ، وجاءت هذه القراءة على لغة الآخرين ، كما جاء فيه من لغات القبائل غير الحجازية أشياء كثيرة من ظواهر الإدغام والهمز» [6] .

---

(١) رواهما أبو الفتح فى سر صناعة الإعراب ٢/ ٥٥٣ ، ٧٠٥ بلا نسبة .

(٢) البيت من أرجوزة لرؤية فى ملحقات ديوانه ١٦٨ ، وهو فى نوادر أبى زيد ٥٨ منسوبًا إلى رجل من أهل ا ليمن وهو بلا نسبة فى سر الصناعة ٢/ ٧٠٥ .

(٣) طه : ٦٣ ، وهذه قراءة العشرة ما عدا أبا عمرو وابن كثير وحفص . أنظر ابن الجزرى ، النشر فى القراءات العشر (بيروت ، دار الكتب) ٢/ ٣٣١ .

(٤) ابن جنى ، سر الصناعة ٢/ ٧٠٦ .

(٥) ابن يعيش ، شرح المفصل ٢/ ١٣٠ .

(٦) محمد خير الحلوانى ، الواضح فى علم الصرف ٢٣٣ .

وكذلك وردت هذه اللغة فى حديث للرسول ﷺ وهو «لا وتران فى ليلة» [1] .

وروى الأخفش (ت٢١٥هـ) أنه سمع فصيحًا من بنى الحارث يقول : ضربت يداه [2] .

وروى الفراء عن رجل فصيح من أسد ما حكاه عن بنى الحارث : هذا خط يَدا أخى بعينه [3] .

والأمر الذى يتوقف عنده الباحث اللغوى ، ويثير تساؤله، هو أنه ما دامت هذه اللغة كانت لغة عدد من القبائل المختلفة والمنتشرة فى أنحاء الجزيرة ، حتى إنها وصفت بأنها لغة فاشية ، ولغة معروفة ، كما مر معنا قبل قليل ، أقول فما دام كذلك ، فَلِمَ لَمْ يصلنا منها إلاّ شواهد معدودة لا تتجاوز عدد أصابع اليدين ، بينما الجمهور الأكبر من الشواهد جاء على اللغة الشائعة وفق ما قرره النحاة وأصّلوه ؟! .

ويمكن الإجابة عن هذا التسا ؤل بأمرين :

أولهما : أن هذه اللغة وإن كانت لغة تلك القبائل المذكورة إلاّ أنها لم تكن اللغة الأدبية ؛ ولذا كان الشعراء والأدباء يتحاشونها فى

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه ، شرح السيوطى (القاهرة ، دار إحياء السنة النبوية) ٢/ ٦٧ . والنسائى فى سننه ، شرح السيوطى (مصورة عن الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م) ٣/ ٢٣٠ والترمذى فى سننه ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف (بيروت ، دار الفكر) ١/ ٢٩٢ .

(٢) ابن عقيل ، المساعد على تسهيل الفوائد ، تحقيق د. محمد كامل بركات (دمشق ، دار الفكر ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) ١/ ٤١ .

(٣) الفراء ، معانى القرآن ٢/ ١٨٤ ووصف الفراء هذا الرجل بقوله : «ما رأيت أفصح من هذا الأسدى)

نظمهم وخطبهم ، وما وصل إلينا من تلك اللغة تسرب من لغاتهم الدارجة [1] .

والثانى : أن رواة اللغة والشعر كانوا يغيرون فى مروياتهم لتتسق مع اللغة الأدبية العالية ، يقول الدكتور الحلوانى : «أليس فى هذا ما يدل على تدخل الرواة ، وتوجيه الظواهر إلى ما يقتضى العرف النحوى العام» [2] . ويقول أيضًا : «وأرجح أيضًا أن كثيرًا من هذه الظواهر قد أتت عليه الرواية ، فلم يجد اللغويون بين أيديهم منها إلاّ النزر القليل» [3] .

والذى يؤيد هذا الرأى أن بعض الشواهد الشعرية التى ذكرناها على هذه اللغة ، قد غير فى روايتها فى بعض المصادر لتتفق مع اللغة الشائعة وما قرره النحاة [4] .

ولعل ما يرجح صحة ما ذهبنا إليه ، أن اللغة الدارجة فى أيامنا هذه ، تلتزم الياء فى المثنى فى كافة الأحوال ، ونسمع هذا حتى من الأدباء والمثقفين واللغويين عندما يتحدثون بلهجاتهم المحلية وذلك مثل ، عندى كتابين ، وجاءنى ضيفين ، إلاّ أنهم عندما يَنْظمون أو يكتبون ، أو يتحدثون فى محفل علمى أو أدبى ، فإنهم يلتزمون اللغة الأدبية العالية ، من المحافظة على الألف رفعًا ، والياء نصبًا وجرًا .

وكذلك عندما تُجرى مقابلة شفوية مع بعض الأشخاص ، فإنه غالبًا ما يتحدث على سجيته ، ويعفى نفسه من الالتزام بقواعد النحو ، ومنها قواعد

(١) انظر الحلوانى ، الواضح فى علم الصرف ٢٣٣ .

(٢) السابق : ٢٣٢ .

(٣) السابق : ٢٣٣ .

(٤) انظر الحاشيتين : ٣٤ ، ٣٥ .

المثنى ، فيلتزم الياء فى الأحيان كلها ، غير أن معدّ المقابلة عندما يخرجها ، فإنه يجرى عليها تعديلاً ليقدم نصًا وفق قواعد النحو المعروفة .

الاختلاف فى حرف الإعراب فى التثنية :

وكما اضطربت علامة التثنية ، فقد اضطربت آراء العلماء واختلفت آراؤهم فى تحديد حرف الإعراب فى التثنية . وعقد لها النحاة فصولاً فى مؤلفاتهم أوردوا فيها أقوال العلماء وناقشوها . فذهب سيبويه إلى أن الألف والياء هما حرفا الإعراب ولا تقدير إعراب فيها [1] ، ووافقه أبو إسحاق الزجاجى [2] (ت٣٣٧هـ) وابن كيسان [3] (ت٢٩٩هـ) وابن السراج [4] وأبو على الفارسى [5] (ت٣٧٧هـ) . أما الأخفش فذهب إلى أن ألف التثنية ليست حرف إعراب ، ولا هى أيضًا بإعراب ، ولكنها دليل إعراب ، فرؤية الألف تدل على أن الاسم مرفوع ، أما رؤية الياء فتدل على أن الاسم منصوب أو مجرور [6] . وإلى ذلك ذهب المبرد [7] (ت٢٨٦هـ) .

أما أبو عمر الجرمى (ت٢٢٥هـ) فقال : إن الألف حرف إعراب كما قال سيبويه ، إلاّ أنه كان يزعم أن انقلابها هو الإعراب [8] .

---

(١) انظر سيبويه ، الكتاب ١/ ١٧

(٢) انظر أبو القاسم الزجاجي ، الإيضاح فى علل النحو ، تحقيق د. مازن المبارك ط(بيروت ، دار النفائس ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ص ١٣١ .

(٣) انظر سر الصناعة : ٣/ ٦٩٥ .

(٤) السابق ٢/ ٦٩٥ .

(٥) انظر أبو على الفارسى ، التعليقة على كتاب سيبويه ، تحقيق د. عوض بن حمد القوزى ، (القاهرة ، مطبعة الأمانة ط١ ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ١/ ٢٤ - ٢٨ .

(٦) انظر سر الصناعة ٢/ ٦٩٥ .

(٧) انظر المبرد ، المقتضب ٢/ ١٥٤ .

(٨) السابق ٢/ ١٥٣ . وسر الصناعة ٢/ ٦٩٥ .

وذهب الفراء وجمهور الكوفيين إلى أن الألف هى الإعراب وكذلك الياء [١] ، ووافقهم من البصريين أبو إسحق الزيادى [٢] (ت٢٤٩هـ) وقطرب [٣] (ت٢٠٦هـ) .

وقد ناقش أبو الفتح عثمان بن جنى هذه الآراء والأقوال فأورد لكل مذهب منها ، عليه [٤] . ثم انتصر لمذهب سيبويه ، فقال : «واعلم أنَّا بلونا هذه الأقوال على تباينها وتنافرها واختلاف ذات بينها وترجيح مذاهب أهلها القائلين بها ، فلم نر فيها أصلب مكسرًا ولا أحمد مخبرًا من مذهب سيبويه» [٥] . وإلى ذلك ذهب الأنبارى (ت٥٧٧هـ) فى أسرار العربية [٦] .

وحاول النحاة كذلك أن يعللوا كون الألف علامة الرفع فى المثنى ، والياء علامة النصب والجر ، يقول سيبويه : «واعلم أنك إذا ثنيت الواحد لحقته زيادتان : الأولى منهما حرف المد واللين ، وهى حرف الإعراب غير متحرك ولا منون ، يكون فى الرفع ألفًا ، ولم يكن واوًا ليفصل بين التثنية والجمع الذى على حد التثنية» [٧] . ويعلل عدم جعل الألف علامة النصب بقوله : «ولم يجعلوا النصب ألفًا ليكون مثله فى الجمع ، وكان مع ذا أن يكون تابعًا

(١) انظر سر الصناعة ٢/ ٦٩٥ . وقال الفراء فى معانيه ١/ ١٤ «وجعل رفع الاثنين بالألف» .

(٢) انظر الأنبارى ، أسرار العربية ٥٢ .

(٣) انظر أبا البركات الأنبارى ، الإنصاف فى مسائل الخلاف ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد (بيروت ، دار الفكر) ١/ ٣٣ .

(٤) انظر سر الصناعة ٢/ ٦٩٦ - ٧١٧ .

(٥) السابق ٢/ ٢٩٦ .

(٦) انظر أسرار العربية ٥٢ وما بعدها .

(٧) سيبويه ١/ ١٧ .

لما الجر فيه أولى ، لأن الجر للاسم لا يجاوزه ، والرفع قد ينتقل إلى الفعل ، فكان هذا أغلب وأقوى» [١] ، وتوضيح هذا القول ، أن الجر خاص بالأسماء ، فهو لا يدخل على الأفعال ، بينما الرفع يدخل على الأسماء والأفعال ، فلما وجب حمل النصب على أحدهما ، كان حمله على الجر أولى من حمله على الرفع ، لأن الجر ألزم للأسماء من الرفع .

أما المبرد فيعلل حمل النصب على الجر فى المثنى بقوله : «وإنما استوى الجر والنصب فى التثنية والجمع لاستوائهما فى الكناية ، تقول مررت بكَ ، ورأيتك ، واستواؤهما أنهما مفعولان ؛ لأن معنى قولك مررت بزيد ، أى فعلت هذا به ، فعلى هذا تجرى التثنية والجمع فى المذكر والمؤنث فى الأسماء» [٢] .

ويعلل ابن الأنبارى ذلك بستة أوجه ، لعل أمثلها الوجه السادس ، فهو يعتمد فى ذلك على مخارج الأصوات العربية ، يقول : «ويحتمل عندى وجه سادس ، وهو أى النصب من أقصى الحلق والجر من وسط الفم ، والرفع من الشفتين ، وكان النصب إلى الجر أقرب من الرفع ؛ لأن أقصى الحلق أقرب إلى وسط الفم من الشفتين ، فلما أرادوا حمل النصب على أحدهما كان حمله على الأقرب أولى من حمله على الأبعد ، والجار أحق بصقبه» [٣] .

نون التثنية :

من المعلوم أنّه إذا ثنى الاسم لحقته زيادتان : الأولى حرف المد واللين (الألف أو الياء) وهو حرف الإعراب - كما رأينا - والثانية هو (النون) .

---

(١) السابق نفسه .

(٢) المبرد ، المقتضب ١/٧ . وانظر ١/١٤٨ .

(٣) أسرار العربية ٥١ .

وقد اختلف العلماء في هذه النون وتشعبت آراؤهم فيها على خمسة مذاهب :

١- مذهب سيبويه أنها عوض من الحركة والتنوين يقول : «وتكون الزيادة الثانية نونًا ، كأنها عوض لما منع من الحركة والتنوين» [١] . وإلى ذلك ذهب المبرد ، فقال : «أما النون فهي بدل من الحركة والتنوين اللذين كانا في الواحد» [٢] . وهذا هو مذهب جمهور البصريين [٣] .

وقد احتج أبو علي الفارسي لمذهب سيبويه ، فقال : «إن قال قائل : كيف قال : إن النون تكون عوضا من الحركة والتنوين ، وقد قلتم إن الألف عنده حرف إعراب ، وإن فيه إعرابًا . فكيف لزم أن يكون فيه عوضًا ، وفيه الشيء المعوض منه ؟ قيل له : لا يمتنع على مذهبه عندنا ذلك ، وذلك أن الإعراب لما كان تزاد له حركة في غير هذا الموضع ولم تزد له هنا ، بل صار في انقلاب نفس الحرف لزم أن يكون منه عوض للنقصان اللاحق له عما عليه المعربات ألا ترى أنه قد نقص من اللفظ حركة كانت تجب للإعراب ، ولم يستنكر أن يعوض من هذا الناقص الذي هو الحركة ، وهو العوض إنما هو من الحركة لها من الإعراب ، ألا تراه قال : كأنه عوض من الحركة والتنوين ، ولم يقل : عوض من الإعراب والتنوين فهذا على قوله صحيح [٤] .

---

(١) سيبويه ١/ ١٧ .

(٢) المقتضب ١/ ٥ .

(٣) أبو البقاء عبد الله ن الحسين العكبري ، اللباب في علل ا لبناء والإعراب ، تحقيق غازي مختار طليمات (بيروت ، دار الفكر المعاصر) ص ١٠ .

(٤) أبو علي الفارسي ، التعليقة ١/ ٣٤ - ٣٥ .

٢- وذهب بعض الكوفيين إلى أنها تنوين ، حُركت للساكنين ، قويت بالحركة ، واختار هذا الرضى [(١)] .

٣- وذهب الفراء إلى أنها للفرق بين المفرد المنصوب الموقوف عليه بالألف ، والمثنى المرفوع [(٢)] .

٤- وذهب بعضهم إلى أنها بدل من الحركة وحدها [(٣)] .

٥- وأخيرًا قال بعضهم : إنها بدل من تنوينين ، لأن المثنى كان فى الأصل مفردًا مكررًا مرتين [(٤)] .

وكلٌّ هذه الأقوال فيها نظر ، ولا يمكن أن نسلم بأىّ منها تسليمًا تامًا ، حتى مذهب سيبويه وجمهور البصريين فإنه قول مجمل ، وهو بحاجة إلى تفصيل ، وهذا ما سنراه بعد قليل .

وقد استبعد الرضى قول سيبويه ، فقال بعد أن أورد كلامه : «وفيما قال بعد ؛ لأن حروف العلة الدالة على ما دلت عليه الحركة مغنية عن التعويض من الحركة» [(٥)] وقد رأينا قبل قليل كيف احتج أبو على لمذهب سيبويه . ففيه تفنيد لقول الرضى هذا .

---

(١) الرضى ، شرح الرضى على الكافية ، عمل يوسف حسن عمر ، (بنغازى ، منشورات جامعة بنغازى) ٨٩/١ .

(٢) السابق نفسه ، وانظر أسرار العربية ٥٤ .

(٣) شرح الرضى ٨٩/١ ، وابن أبى الربيع ، البسيط فى شرح جمل الزجاجى ، تحقيق عيّاد بن عيد الثبيتى (بيروت ، دار الغرب الإسلامى ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م) ٢٥٦/١ .

(٤) شرح الرضى ٨٩/١ .

(٥) السابق نفسه .

(٦) انظر الحاشية : ٧٠ .

أما قول من قال : إنها تنويـن ، فقد أبطله ابن أبى الربيع (ت٦٨٨هـ) فى شرحه لجمل الزجاجى ، إذ قال : «وهذا القول يـبطل بأن التنوين لا يثبت مع الألف واللام ، ولا يثبت فى الوقف» [١] .

وأما قول الفراء ، فقد أبطلـه العكبرى (ت٦١٦هـ) فـقال : «وأما مذهب الفراء فيـبطل من أوجه : أحدها أن الألف تـثبت فى الرفع خاصـة ، والعامل يميّز ، والثانى أنّه لو كـان كما قال ، لم تثبت النون مع اليـاء ، والثالث ، أنها تثبت فى الجـمع ولا لبس هناك ؛ والرابع أن الألف واللام تمـنع من الألف فى نصب الواحد ، وتثبت فى التثنية» [٢] .

أما قـول من قال : «إنـها عوض مـن الحركة . فإنـه يُردُّ بسقـطوها عـند الإضافة ، وذلك أن الحركة لا تسقط عند الإضافة [٣] .

أما كونهـا بدلاً من تنوين ، فإنّ الـرضى دحضه بقوله : «ودون تـصحيح ذلك خرط القتـاد ، ومع تسليمه نقول : إنـهما مصوغان صيغـة اسم مفرد لـ (كلا) ورجـال وعشرة . فـلا يستحقـان إلا تنويـنًا واحدًا ، لأنـه أهْدِر ذلك التكرير اللفظى» [٤] .

ولعل مذهـب سيبويه هو الأصـوب ، والأكثر قبولاً من بـين تلك الأقوال السابقة ، إلاّ أنه قول مـجمل يحتاج إلى تفصيل - كما أسلـفنا - وذلك أننا لو ثنينا كلمة (رجلٌ) مثلاً ، لقلنا : «رجلان» . فواضح أن النون بدل من الحركة

---

(١) ابن أبى الربيع ، شرح جمل الزجاجى ٢٥٦/١ .

(٢) العكبـرى ، اللباب فى علل البناء والإعراب ١٠٩ وانظر سر الصناعة ٧١٦/٢ فقد ردّ ابـن جنى قول الفراء ، وبين ضعفه وفساده .

(٣) انظر ابن أبى الربيع ، شرح جمل الزجاجى ٢٥٦/١ .

(٤) شرح الرضى ٨٩/١ .

والتنويـن ، اللذين كانا فـى «رجلٍ» . أمّا إذا ثنينا كلـمة «الرجل» فليـس فيها تنوين ، فتكون النون عوضًا منه .

ولذلك قلـنا لابد من تفصـيل فى هذه المسألـة ، وهذا ما فعله أبـو الفتح عثمان بن جنى ، إذ جعل النون فى التـثنية على ثلاثة أضرب . قال : «واعلم أن للنون فى التثنية والجمع الذى على حد التثنية ثلاث أحوال :

١- حالاً تكون فيها عوضًا من الحركة والتنوين جميعًا .

٢- وحالاً تكون فيها عوضًا من الحركة وحدها .

٣- وحالاً تكون فيها عوضًا من التنوين وحده» [١]

ثم شرع يوضح كلَّ حـال من الأحـوال الثـلاث ، ويمكـن إجمـال ذلك بما يلى :

١- تكون الـنون عوضًا من الحركة والـتنوين عنـدما لا يكون الاسم المتـمكن مضافًا ولا معرفًا بـ (أل) ، نحو (رجلان ، فرسان ، غلامان ، جاريتان) ويبسط أبو الفتح ذلك بـقوله : «ألا ترى أنّك إذا أردت الواحد على هذا الحد ؛ وجدت فـيه الحركة والـتنوين جـميعًا . وذلك قـولك : رجل ، وغلام وجارية وفرس ، فالنون فى (رجـلان) إنما هى عوض مما يجب فى ألف (رجلان) الـتى هى حرف الإعراب مـنزلة لام رجل ، فـكما أن لام رجل وسين فـرس ونحوهمـا مما ليس مضـافًا ولا معرفًا بالـلام ، يلزم أن يتبعهما الحركة والتنوين ، فكذلك كان يجب فى حرف التثنية» [٢] .

٢- وتكـون النون عـوضًا مـن الحركة وحدها عندما يكـون الاسم معرفًا بـ

---

(١) ابن جنى ، سر الصناعة ٢/ ٤٤٩ .

(٢) السابق نفسه .

(أل) ، نحو (الرجلان) و (الفرسان) ، فإن مفرد كلٍّ منهما : الرجل ، والفرس ليس فيه تنوين ، ولذلك فالنون عوض من الحركة وحدها ، وكذلك تكون فى النداء فى مثل قولنا : يا رجلان ويا غلامان ، وذلك لأن الواحد منها لا تنوين فيه [1] .

٣- وتكون عوضًا من التنوين وحده عندما يكون الاسم مضافًا ، ويوضح أبو الفتح ذلك بقوله : «وذلك نحو قولك : قام غلاما زيد ، ومررت بصاحبى عمرو ، ألا تراك حذفبتهما كما تحذف التنوين للإضافة ، ولو كانت هنا عوضًا من الحركة وحدها لتثبتت ، فقلت : هذان غلامان زيدٍ ، كما تقول هذا غلامُ زيد ، فتضم الميم من غلام» [2] .

ومن يدقق فيما سطره أبو الفتح يجده ما هو إلا تفصيل وتوضيح لما أجمله سيبويه وسار على نهجه جمهور البصريين ، ولعل فيما فَصّله أبو الفتح القول الحق فى هذه المسألة التى تفرقت عندها كلمة النحويين، وتشعبت فيها آراؤهم .

حركة نون التثنية :

نون المثنى مكسورة دائمًا ، وهذا هو المسموع من كلام العرب ، وهو ما قرره النحاة ، يقول ابن السراج :.«ونون الاثنين مكسورة أبدًا» [3] ، ويقول ابن جنى : «وحركة نون التثنية كسرة» [4] . ويعلل المبرد كسرها بقوله : «والزائدة الثانية النون وحركتها الكسر ، وكان حقها أن تكون ساكنة ولكنها

---

(١) السابق نفسه .

(٢) السابق ٢/ ٤٦٣ .

(٣) ابن السراج ، الأصول فى النحو ١/ ٤٦ ، وانظر سيبويه ١/ ١٧ .

(٤) ابن جنى ، سر الصناعة ٢/ ٤٨٧ .

حركت لالتقاء الساكنين ، وكسرت على حقيقة ما يقع في الساكنين إذا التقيا ، وذلك قولك هما المسلمانِ ورأيت المسلمينِ» [1] .

وعلى هذا السنن جاء كلام العرب في نثرها ونظمها ، إلاّ أنّه جاء في شواهد شعرية موثقة فتح هذه النون ، وقد عدَّ العكبرى ذلك شذوذًا ، وجعل بابه الشعر فقط ، قال في اللباب : «وقد شذّ في التثنية شيئان . . . والثاني فتح النون فيها . . . وهو قليل أيضًا ، وبابه الشعر» [2]

أما جمهور النحاة فعدّوا ذلك لغة ، قال ابن جنى في سر الصناعة : «على أن من العرب من يفتحها في حال الجر والنصب تشبيهًا بـ (أين وكيف) ، ويجرى الياء - وإن كانت غير ملازمة - مجرى الياء الملازمة ، فيقول مررت بالزيدينَ وضربتُ العمرينَ ، وأنشدوا في ذلك :

على أحْوَذِيّيْنَ استقلت عَشِيّةً فما هي إلا لمحَةٌ فتغيبُ [3]

ونسب الفراء هذه اللغة إلى بنى أسد[4] ، ونسبها الكسائى (ت١٨٩هـ) إلى بنى زياد بن فقعس[5] .

وأنشد قطرب لامرأة من فقعس :

---

(١) المبرد ، المقتضب ٢/ ١٥٣ .

(٢) العكبرى اللباب فى علل الإعراب والبناء ١١٠ - ١١١ .

(٣) ابن جنى ، سر الصناعة ٢/ ٤٨٨ والبيت لحميد بن ثور فى ديوانه ٥٥ ، ومعانى القرآن ٢/ ٤٢٣ ، وشرح المفصل ٤/ ١٤١ .

(٤) الفراء ، معانى القرآن .

(٥) الدمامينى ، تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد ١/ ١٩٥ .

يازُبَّ خال لك من عُرَيْنَهْ

حجَّ على قُلَيِّصٍ جُوَيْنَهْ

فَسْوَتُهُ لا تَنْقَضِي شَهْرَيْنَهْ

شَهْرَىْ رَبِيعٍ وجُمادَيْنَهْ (١)

ومع أن أبا الفتح صرح بأن فتح النون خاص بحالتى الجر والنصب ، أى مع الياء . وهذا هو أيضًا مذهب الكسائى والفراء (٢) ، إلاّ أنه قال : «وفتحها بعضهم في موضع الرفع» (٣) . وأنشد على ذلك ما رواه أبو زيد في نوادره :

أعرفُ منها الأنْفَ والعينانا

ومنخرين أشبها ظَبْيانا (٤)

وأنكر ابن عصفور (ت٦٦٩هـ) فتح النون مع الألف ، وقال عن البيت السابق إنه مصنوع (٥) .

وادعاء أن هذا البيت مصنوع مردود ؛ لأن أبا زيد ثقة فيما ينقل ، حتى إن أبا على الفارسى كان يكاد يصلى بنوادره ، على حدّ قول ابن جنى (٦) .

(١) الأبيات في جمهرة اللغة لابن دريد ٣/ ٤٨٨ ، وسر الصناعة لابن جنى وشرح المفصل لابن يعيش ٤/ ١٤٢ .

(٢) السابق نفسه ، وانظر أبا على الفارسى ، كتاب الشعر ١/ ١٢٤ .

(٣) ابن جنى ، سر الصناعة ٢/ ٤٨٩ .

(٤) انظر الحاشية ٣٧ .

(٥) انظر ابن عصفور ، المقرب ٢/ ٤٧ .

(٦) انظر ابن جنى ، سر الصناعة ١/ ٣٣١ .

وقد وجه أبو علي الفارسى فتح نون التثنية على أكثر من وجه ، يمكن إجمالها بما يلى :

١- حملها على حركة التقاء الساكنين ، قال : فتحريك النون بالفتح يحتمل غير وجه ، منها أنّ حركتها لما كانت لالتقاء الساكنين : ورأى التحريك التثنية مثل ذلك ، ألا ترى أنهم قالوا : رُدَّ ، وردُّ ، وردِّ . وقالوا : عَوْضَ ، وعَوضُ ، ونحو ذلك فلم يلزموا فى المتصل ضربًا واحدًا من التحريك ، فكذلك جعل نون التثنية بمنزلته» (١) .

٢- حملها على نون الجمع ، قال : «ويجوز أن يكون شبه التثنية بالجمع ، لمّا رآهم يقولون : مَضَتْ سنونَ ويقولون مضت سنينٌ ، فجعلوا النون فى الجمع حرف الإعراب ، جعلها فى التثنية كذلك» (٢) .

٣- حَمْلُ العلم على غير العلم ، قال : «ويجوز أن يكون شبه غير العلم بالعلم ، ألا ترى أن النحويين قد أجازوا فى رجل يسمى بتثنية أن يجعلوا النون حرف الإعراب ، فيقولوا : هذا زيدانُ وعمرانُ» (٣) .

وكما فتحت نون المثنى فى الشعر ، فقد سمع فتحها فى النثر وذلك فى فتح نون الفعل المتصل بألف الاثنين ، فقد قرىء فى الشواذ «أتعدانَنى» (٤) .

وهناك لغة أخرى ، وهى ضم النون ، إلاّ أنها لغة شاذة لايقاس عليها ، يقول ابن جنى : «وقد حُكى أن منهم من ضم النون فى نحو (الزيدانُ) و (العمرانُ) وهذا من الشذوذ بحيث لا يقاس غيرها عليه» (٥) .

---

(١) أبو على الفارسى ، كتاب الشعر ١/ ١٢٣ .

(٢) السابق نفسه .

(٣) السابق نفسه .

(٤) الأحقاف : ١٧ ، وهذه القراءة ذكرها أبو حيان فى البحر المحيط ٨/ ٦٢ .

(٥) ابن جنى ، سر الصناعة : ٢/ ٤٨٩ .

وقال الأشمونى (ت٩٢٩هـ) : «وحكى الشيبانى ضمها مع الألف ، كقول العرب «هما خليلانُ» وقوله :

يا أَبَتَا أَرَّقَنِـــى القِذّانُ

فالنَّوْمُ لا تَأْلفُهُ العَيْنانُ (١)

لعـل فى فتح نـون المثنى وضـمها إشارة عـلى أن هناك مـن يعرب المثـنى بالحركات الظاهرة ، والذى يقوى هذا الزعم أن الكلمات التى جاءت فيها النون مفتوحة ، وقعت فى محل نصب كمـا فى (والعينانا) و «شهرينَه» و «جمادينَه» أمـا الكلمة التـــى جـاءت فيها النون مضمومة (العينانُ) فـقد وقعت فـى محل رفع .

حذف النون :

من المـعروف أن نون التـثنية تحـذف فى الإضافة ، هـذا هو المسمـوع عن العرب ، والمقرر فى كتب النحو ، إلاّ أن الكـوفيين رووا حذف نون التثنية من غيـر ما إضافة ، قـال أبو علـى الفارسى : «وقـد حذفوا هـذه النون فى غـير الإضافة ، كما حكى عن الكسائى أنه أنشد :

يا حِبِّ قد أَمْسَيْنا

ولـم تنامِ العَيْنا

قال : أراد العينان ، فحذف النون» (٢) .

---

(١) الأشمونى ، شرح الأشمونى ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد (القاهرة ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، ط٢ ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م) ١/ ٦٤ .

(٢) أبو على الفارسى ، كتاب الشعر ١/ ١٢٥ .

كما رووا على ذلك قول الراجز :

قد سالمَ الحيَّاتِ منه القَدَمَا

الأفْعُوانَ والشُّجاعَ الشَّجْعما [1]

فكانوا يقولون : أراد (القدمان) بحذف النون ، وقد أنكر ابن جنى هذه الرواية ، قال : «وأما ما ذهب إليه البغداديون من أنّه يجوز حذف نون التثنية ، وإنشادهم فى ذلك : (البيتان . .) فهذه رواية لا يعرفها أصحابنا ، والصحيح عندنا هو ما رواه سيبويه :

قد سالم الحياتُ منه القدما

يرفع الحيات ونصب القدم [2]

وذهب الفراء فى قول امرىء القيس [3] :

لها مَتْنَتَان خَظَاتا كما ... أكَبَّ على ساعديه النّمِر

إلى أنه أراد (خَظَاتان) فحذف النون [4] .

وأنكر أبو الفتح قول الفراء ، وقال : « . . لأن حذف نون التثنية شىء غير معروف» [5] .

وأنشد الفراء أيضًا :

---

(١) البيتان فى سيبويه ١/ ٢١٠ ، ومعانى القرآن ٣/ ١١ وسر الصناعة ٢/ ٤٨٣ والمقتضب ٣/ ٢٨٣ .

(٢) ابن جنى ،سر الصناعة ٢/ ٤٨٣ .

(٣) ديوان امرىء القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، (القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٤م) ١٦٤ ، وسر الصناعة ٢/ ٤٨٤ وابن يعيش ٩/ ٢٨ .

(٤) انظر ابن جنى ، سر الصناعة ٢/ ٤٨٤ .

(٥) السابق ٢/ ٤٨٥

يا حبذا عينا سُلَيْمى والفما [1]

وقال : أراد (الفمان) بمعنى الفم والأنف ، فثناهما بلفظ الفم للتجاور الذى بينهما [2]

وعلي هذا التوجيه تكون النون حذفت من غير ما إضافة ، إلاّ أن الفراء أجاز نصب (الفما) على أنه مفعول معه [3] .

لكن أبا الفتح خرَّج كلمة (الفما) على وجهين : أحدهما أنها منصوبة بفعل مضمر ، والآخر أنها فى موضع رفع ، فهو اسم مقصور بمنزلة (العصا) . فالضمة مقدرة على الألف [4] .

ومع أن أبا الفتح أنكر حذف النون فى هذه الشواهد إلاّ أنّه أجاز حذف النون تخفيفًا ، قال : « . . . ويشبه هذا مما حذف من اللفظ تخفيفًا - لا لإضافة ولا لالتقاء الساكنين ، لأنه ليس بساكن - نون التثنية ونون الجمع ، وذلك قول الأخطل :

أبَنِى كُلَيْبٍ إن عَمَىَّ اللّذا قَتَلا الملوكَ وفكّكا الأغْلالا

أراد (اللذان) فحذف النون تخفيفًا لطول الاسم [5] .

وقال الفارسى : وقوله «إن عمّى اللذا» أشبه شيئًا لأن الاسم طال بالصلة [6] .

---

(١) البيت فى جمهرة اللغة ٣/ ٤٨٤ ، وسر الصناعة ٢/ ٤٨٤ .

(٢) انظر ابن جنى ، سر الصناعة ٢/ ٤٩٥ .

(٣) السابق نفسه .

(٤) السابق نفسه .

(٥) السابق ٢/ ٥٣٦ . والبيت فى شعر الأخطل ، تحقيق د. فخر الدين قباوة (بيروت . دار الآفاق الجديدة . ١٩٧٩م) ١٠٨ وكتاب سيبويه ١/ ١٨٦ والمقتضب ٤/ ١٤٦ .

(٦) أبو على الفارسى ، كتاب الشعر ١/ ١٢٥ .

ومعنى هذا أن صلة الموصول كأنها والاسم الموصول اسم واحد ، فلطوله حذفت النون تخفيفًا .

الاضطراب في الدلالة :

الأصل أن يعبر عن المفرد بالمفرد ، وعن المثنى بالمثنى ، هذا هو قياس الكلام ، غير أن دلالة التثنية على المثنى لم تكن تجرى دائمًا على هذا القياس ، بل نجد كثيرًا من نصوص اللغة ، قد اضطربت فيها دلالة التثنية ، إذ يعبر فيها عن المثنى بالمفرد ، وأحيانًا أخرى يعبر عن المفرد بالمثنى ، وتطالعنا نصوص أخرى يقع فيها المثنى موقع الجمع وبالعكس ، وسأتناول هذا الاضطراب في الدلالة وفق النقاط الآتية :

١- وقوع المفرد موقع المثنى :

يعبر العرب أحيانًا عن المثنى بالمفرد ، كقولهم : عينى لا تنام ، أى (عيناى) ، ويكثر هذا فى أعضاء الجسم المزدوجة ، كالعينين ، والرجلين ، واليدين . . . كما يُخبر عن المثنى بفعل الواحد ، فيقال مثلاً : عيناى تنظر ، بدل (عيناى تنظران) ، ويعلل ابن الشجرى هذا بقوله : « . . . لأن العضوين المشتركين فى فعل واحد ، مع اتفاقهما فى التسمية ، يجرى عليهما ما يجرى على أحدهما ، ألا ترى أن كلَّ واحدةٍ لا تكاد تنفرد بالرؤية دون الأخرى ، فاشتراكهما فى النظر كاشتراك الأذنين فى السمع ، والقدمين فى السعى ، ويجوز أن يعبِّر عنهما بواحدة ، فيقال : رأيته بعينى ، وسمعته بأذنى ، وما سعت فى ذاك قدمى . . . كما قال :

خَدَلَّجُ السَّاقَيْنِ خَفَّاق القَدَمْ [1]

فإن قلت : بعينىَّ وبأذنىّ وقدمىَّ ، فثنيت فهو حق الكلام . والأول أخف وأكثر استعمالاً [2] .

فواضح أنَّ ما اتبعته العرب فى ذلـك ، إنّما هو طلب للخفة ، وهذا أصل من أصولها فى الكلام . فمن البدهى أن التعبير بالمفرد هنا أخف من المثنى .

وفى هذا الباب أربعة أوجه من الاستعمال ، يمكن إجمالها بما يلى :

١- استعمال الكلام عـلى أصله وحقيقته ، فيُعَبَّر عن المثنى بـالمثنى ، فيقال : عيناى رأتاه ، وأذناى سمعتاه .

٢- التعـبير عن العـضوين بواحد ، ويـكن الخبر مفـردًا حملاً على الـلفظ ، فيقال :[1] عينى رأته ، وأذنى سمعته ، على معنى (عيناى) و (أذناى) . يقول ابن الشجرى :

«وإنما استعملوا الإفراد فى هذا تخفيفًا ، وللعلم بما يريدون ، فاللفظ على الإفراد ، والمعنى على التثنية» [4] .

٣- تثنية العضو ، وإفراد الخبر ، مثـل : أذناى سمعته ، وقدماى سعت فيه ، ويعلل ابن الشجرى ذلك قائلاً :

«لأن حكـم العينـين . . أو القـدمين حكـم واحدة ، لاشتـراكهما فـى

---

(١) البيت رواه أبو الفرج فى الأغانى (القاهرة الـهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م) ١٥/ ٢٥٤ . وانظر اللسان (حطم) .

(٢) ابن الشجرى ، أمالى ابن الشجرى ١/ ١٨١ - ١٨٢ .

(٣) السابق ١/ ١٨٢ .

(٤) السابق نفسه .

الفعل» [١] . وقد جاء على ذلك قول الشاعر [٢] :

فَكَأَنَّ فِى العَيْنَيْنِ حَبَّ قَرَنْفُلٍ ... أو سُنْبُلاً كُحِلَتْ به فانهَلَّتِ

فأسند الفعل (كحلت) إلى المفرد ، وهو يريد (كحلتا) ، وكذلك ، قال فانهلت ، وهو يريد فانهلتا .

٤- التعبير عن العضوين بواحد ، وتثنية الخبر ، حملاً على المعنى ، وذلك كقولهم : أذنى سمعتاه ، وعينى رأتاه ، وهذا قليل [٣] . ومن ذلك قول امرىء القيس [٤] :

وَعَينٌ لهـا حَدْرَةٌ بَدْرَةٌ ... شُقَّت مَآقِيهما من أُخُرْ

ويُعبر بالمفرد عن المثنى أيضًا ، عندما يضاف المثنى إلى متضمنه ، يقول لفراء فى معانيه : «ويجوز فى الكلام أن تقول : آتِنىَ برأس شاتين ، ورأس شاةٍ ، فإذا قلت : برأس شاة فإنما أردت رأس هذا الجنس ، وإذا قلت برأس شاتين فإنّك تريد به الرأس من كل شاة» [٥] .

ويقول الرضى فى شرح الكافية : «واعلم أنّه إذا أضيف - لفظًا أو معنى - الجزءان إلى متضمنهما ،» فإن ان المتضمنان بلفظ واحد ، فلفظ الإفراد فى المضاف أولى من لفظ التثنية» [٦] .

---

(١) السابق نفسه .

(٢) البيت فى أمالى ابن الشجرى ١/ ١٨٣ وانظر البغدادى ، خزانة الأدب ، تحقيق عبد ا لسلام هارون (القاهرة ، مكتبة الخانجى ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) ١١/ ٤٢٦ .

(٣) انظر أمالى ابن الشجرى ١/ ١٨٣ .

(٤) ديوان امرىء القيس ١٦٦ ، وأمالى ابن الشجرى ١/ ١٨٣ .

(٥) الفراء ، معانى القرآن ١/ ٣٠٨ .

(٦) شرح الرضى ٣/ ٣٦٠ .

فمثال الإضافة اللفظية قول الشاعر [1] :

كأنّهُ وجْهُ تُرْكِيَّيْنِ قـد غضِبا ... مُسْتَهْدَفٍ لطعانٍ غير مُنْحَجِرِ

فمن الواضح أنه يريد : كأنه وجهًا تركيين .

ومثل ذلك أيضًا لما أنشدوه :

حَمَامَةَ بَطْنِ الوادِيَيْنِ [2]

أما الإضافة المعنوية ، فمثالها : «حيًّا الله وجهًا للزيدين» [3] .

ويعلل الرضى ذلك باستكراههم اجتماع مثنيين مع اتصالهما لفظًا ومعنى [4] .

وظاهرٌ أن الرضى يرى الإفراد فى مثل هذه المسألة أولى من لفظ المثنى ، وتابعه على ذلك ابن مالك [5] (ت٦٧٢هـ) ، إلاّ أنَّ أبا حيان (ت٧٥٤هـ) جعل هذا خاصًا فى الشعر ، وخطأ ابن مالك فيما ذهب إليه ، فقال : «والإفراد لا يجوز عند أصحابنا إلاّ فى الشعر . . . وغلط ابن مالك ، فقال فى كتاب التسهيل : ونختار لفظ الإفراد على لفظ التثنية» [6] .

ولعل الصواب فيما ذهب إليه الرضى وابن مالك : لأن فى الإفراد خفة ، ومذهب العرب الجنوح إلى الخفة وترك الثقل ، إن لم يكن ثمة لبس فى

---

(١) البيت للفرزدق فى ديوانه ، شرح عبد الله الصاوى (القاهرة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م) ٣٧١ .

(٢) انظر همع الهوامع ١/ ١٧٣ .

(٣) انظر شرح الرضى ٣/ ٣٦٠ .

(٤) السابق نفسه .

(٥) انظر البحر المحيط ٨/ ٩١ ، وتعليق الفرائد ١/ ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(٦) البحر المحيط ٨/ ٢٩١

الكلام ، فاجتماع مثنيين متصلين ، فيه ثقل واضح ، ؛ وإن في إفراد أولهما مخرجًا من ذلك الثقل .

وكذلك يختار إذا أضيف الجزءان إلى متضمنيهما ، وكان المتضمنان قد فرق بينهما بالعطف ، نحو ، نفس زيد وعمرو ، وذلك ليكون ظاهر المضاف موافقًا لظاهر المضاف إليه [(١)] .

وعلى ذلك جاء قوله عز وجل : «على لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابن مَرْيَمَ» [(٢)] . وفي قصة جمع أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - القرآن الكريم ، ورد قول زيد بن ثابت - رضي الله عنه - « . . . لما شرح الله صدر أبي بكر وعمر» .

٢- وقوع المثنى موقع المفرد :

مثلما يعبر العرب عن المثنى بالمفرد أحيانًا ، فإنهم يعبرون عن المفرد بالمثنى في بعض الأحايين ، كقولهم : حنانيك ، فإن المراد حنان بعد حنان ، دونما انقطاع .

وكثيرًا ما يستخدم المثنى ، والمقصود واحد فرد ، قال أبو بكر بن الأنباري : «لأنَّ العرب تخاطب الواحد بخطاب الاثنين ، فيقولون للرجل : قُومَا واركبا» [(٣)] .

وفي القرآن الكريم يخاطب الله عز وجل مالكًا خازن النار «أَلْقِيَا فى جَهَنَّمَ

---

(١) انظر شرح الرضي ٣/ ٣٦١ .

(٢) المائدة ٧٨ .

(٣) انظر البخاري ، محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري ، تحقيق الشيخ قاسم الشمّاعي الرفاعي (بيروت ، دار القلم ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ٦/ ٨٥١ .

كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ» [1] قال أبو حيان فى البحر المحيط : «وقال مجاهد وجماعة هو قول إما للسائق وإما للذى هو من الزبانية ، على أنه خطاب للواحد» [2] .

وذهب الفراء إلى أنه من خطاب الواحد بخطاب الاثنين [3] ، وفى مشكل إعراب القرآن الكريم ، قال مكى بن أبى طالب : «هذا مخاطبة للقرين ، وإنما ثنّى لأنه أراد التكرير بمعنى ألق ألق . . . وقيل إنما أتى مثنى لأن العرب تخاطب الواحد بلفظ الاثنين . . . وقيل إنما ثنى لأن أقل أعوان من له حال وشرف اثنان فأكثر ، فثنّى على ذلك» [4] .

ومما جاء على هذا فى الشعر قول سويد بن كراع يخاطب سعيد بن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - :

فإنْ تَزْجُرَانِى يا بنَ عَفَّانَ أَنْزَجِرْ ... وإنْ تَدَعانى أُحَمِ عِرْضًا مُمنَّعا [5]

فـ (تزجرانى) واقع موقع (تزجرنى) و (تدعانى) واقع موقع (تدعنى) [6] .

ومثل ذلك قول جرير [7] :

فَجَعَلْنَ مَدْفَعَ عَاقَلَيْن أيَامِنا ... وجَعَلْنَ أَمْعَزَ رامَتَيْنَ شمِالاً

فإنه أراد ((عاقلاً) وهو جبل ، و (رامة) وهو موضع ، فثناهما مجازًا [8] .

---

(1) سورة ق : ٢٤ .	(2) البحر المحيط ٨/ ١٢٦ .

(3) انظر الفراء . معانى القرآن ٣/ ٧٨ .

(4) مكى بن أبى طالب القيسى ، مشكل إعراب القرآن ، تحقيق ياسين محمد السواس (دمشق ، دار المأمون للتراث ط٢) ٢/ ٣٢١ .

(5) البيت رواه ابن الأنبارى فى شرح القصائد السبع ص ١٦ ، والفراء فى معانيه ٣/ ٧٨ .

(6) انظر تعليق الفرائد ٢٩٧ .

(7) ديوان جرير ، تحقيق د. نعمان محمد أمين طه (القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٩م) ١/ ٤٩ .

(8) انظر تعليق الفرائد ٢٩٧ .

ومن ذلك أيضًا قول الراجز [1] :

قد جَعَلَ الأَرْطَاةَ جُنَّتَيْنِ

فهو يصف ثورًا يتّقي الكلاب بشجرة أرطاة فعبر عن الواحدة بلفظ المثنى [2] .

٣- وقوع المثنى موقع الجمع :

وكما عبرت العرب عن المفرد بالمثنى ، فإنها كثيرًا ما تعبر عن الجمع بالمثنى ، وقد حمل على ذلك ، قول الله عز وجل : ﴿ **ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ** ﴾ [3] فالمقصود بـ (كرتين) هو (كرات) إذ لا ينقلب البصر خاسئًا وهو حسير من نظرتين ، بل لابد من كرات متعددة .

جاء في البحر المحيط : « . . . ثم ارْجِعِ الْبَصَرَ ، أي ردده كرتين هو تثنية لا شفع الواحد ، بل يراد بها التكرار ، كأنه قال: كرة بعد كرة ، أي كرات كثيرة كقولك : لبيك يريد إجابات كثيرة بعضها في إثر بعض ، وأريد بالتثنية التكثير» [4] ثم قال : « . . . وهو كال من كثرة النظر وكلاله يدل عن أن المراد بالكرتين ليس شفع الواحد لأنه لا يكل البصر بالنظر مرتين اثنتين ، و الحسير الكال» [5] .

من ذلك أيضًا قول الله عز وجل : ﴿ **فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ** ﴾ [6] ، والمراد إخوتكم .

---

(١) السابق نفسه .

(٢) السابق نفسه .

(٣) الملك : ٤ .

(٤) البحر المحيط ٨/٢٩٨ .

(٥) السابق نفسه .

(٦) الحجرات : ١٠ .

٤- وقوع الجمع موقع المثنى :

وهذا مظهر آخر من مظاهر اضطراب التثنية ، وذلك أن العرب قد تجعل الجمع مكان المثنى ، وذلك إذا كان هناك شيئان تابعان لشيء وهو كثير شائع فى لغة العرب ، بل هو أكثر من التعبير بالمثنى عن المثنى فى أسماء أعضاء الجسد ، يقول أبو حيان :

«... والجمع فى مثل هذا أكثر استعمالاً من المثنى» (١) .

وعللوا ذلك بأن التثنية جمع ؛ ومعنى قولهم : التثنية جمع ، أنها ضم شىء إلى شىء (٢) .

وقد وردت جملة من الشواهد على هذه الظاهرة من ذلك ما نقله سيبويه فى كتابه : من مثل قول العرب : ما أحسن وجوههما .

وما أحسن رؤوسهما ، وما أحسن عواليهما (٣) .

ونقل الفراء عن العرب قولها : قد هشمت رؤوسهما ، وملأت ظهورهما وبطونهما ضربًا . وتقول للرجلين : خليتما نساءكما ، وهم يريدون امرأتين ، وتقول : خرّقتُما قمصكما (٤) .

وجاء فى أمالى ابن الشجرى : «تقول : ضربت رؤوس الرجلين . وشققت بطون الحملين ، ورأيت ظهوركما ، وحيًا الله وجوهكما ، فتجمع وأنت تريد : رأسين ، وبطنين ، وظهرين ، ووجهين» (٥) .

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٢٩١ .

(٢) انظر المقتضب ٢/ ١٥٦ .

(٣) سيبويه ٢/ ٤٨ ، ٤٩ .

(٤) انظر الفراء ، معانى القرآن ١/ ٣٠٧ .

(٥) أمالى ابن الشجرى ١/ ١٥ .

ومما جاء على هذا قوله سبحانه وتعالى مخاطبًا زوجى الرسول - ﷺ - ﴿إن تَتُوبا إلى اللّه فقدْ صغتْ قُلوبُكُما﴾ [1] . والمراد قلباكما .

وقال الراجز [2] :

ظَهْرَاهُما مِثْلُ ظُهورِ التُّرْسَيْنِ

والمراد : (ظهرى الترسين) ، لكنه عدل إلى الجمع كراهية اجتماع تثنيتين .

ولذا قال النحاة إن كلَّ شيء موحد من خلق الإنسان ، إذا ذكر مضافًا إلى اثنين فصاعدًا جمع [3] .

ويعلل الفراء ذلك بقوله : «وإنما اختير الجمع على التثنية لأن أكثر ما يكون عليه الجوارح اثنين فى الإنسان : اليدين ، والرجلين ، والعينين ، فلما جرى أكثره على هذا ذهب بالواحد منه إذا أضيف إلى اثنين مذهب التثنية» [4] .

وتعليل الفراء هذا ليس مقنعًا ، لأننا رأينا قبل قليل أن العرب تستعمل أعضاء الجسم المثناة استعمال المفرد .

ولعل التعليل الذى تقبله النفس وتطمئن إليه هو كراهية اجتماع تثنيتين ، لأنه ثقيل فى اللفظ ولذلك عدلوا إلى الجمع ، وبذلك لم يخرجوا عن الأصول فإن التثنية جمع وهذا ما ذهب إليه الخليل وسيبويه ، جاء فى كتاب سيبويه : «وسألت الخليل رحمه الله عن ما أحسن وجوههما ؟ فقال : لأن

---

(١) التحريم : ٤ .

(٢) البيت لخطام المجاشعى كما فى سيبويه ٢/ ٤٨ ، وانظر شرح الرضى على الكافية ٣/ ٣٦١ .

(٣) انظر معانى القرآن ١/ ٣٠٦ .

(٤) السابق نفسه .

الاثنين جمع وهذا بمنزلة قول الاثنين : نحن فعلنا ذاك ، ولكنهم أرادوا أن يفرقوا بين ما يكون منفردًا وبين ما يكون شيئًا من شيء»[1] .

وبسط ابن الشجرى القول فى تفسير قول سيبويه وتوضيحه ، فقال بعد أن نقل كلام سيبويه السابق : «والقول فى تفسير هذه الحكاية : أنهم قالوا : ما أحسن وجوه الرجلين ، فاستعملوا الجمع موضع الاثنين ، كما قال الاثنان : نحن فعلنا . ونحن إنما هو ضمير موضوع للجماعة ، وإنما استحسنوا ذلك لما بين التثنية والجمع من التقارب من حيث كانت التثنية عددًا تركب من ضم واحد إلى واحد . وأول الجمع وهو الثلاثة تركب من ضم واحد إلى اثنين ، فلذلك قال : «لأن الاثنين جميع» وقوله : «ولكنّم أرادوا أن يفرقوا بين ما يكون مفردًا وبين ما يكون شيئًا من شيء» معناه أنهم أعطوا المفرد حقه من لفظ التثنية . فقالوا فى رجل : رجلان ، وفى وجه وجهان ، ولم يفعل ذلك أهل اللغة العليا فى قولهم : ما أحسن وجوه الرجلين ، وذلك أن الوجه المضاف إلى صاحبه ، إنما هو شيء من شيء فإذا ثنيت الثانى منهما علم السامع ضرورة أن الأول لابدَّ من أن يكون وَفْقَه فى العِدَّة ، فجمعوا الأول كراهة أن يأتوا بتثنيتين متلاصقتين فى مضاف ومضاف إليه . والمتضايفان يجريان مجرى الاسم الواحد فلما كرهوا أن يقولوا : ما أحسن وجهى الرجلين ، فيكونوا كأنهم قد جمعوا فى اسم واحد بين تثنيتين . غيروا لفظ التثنية الأولى بلفظ الجمع ، إذ العلم محيط بأنه لا يكون للاثنين أكثر من وجهين ، فلما أمنوا اللبس فى وضع الوجوه موضع الوجهين ، استعملوا أسهل اللفظين»[2] .

وواضح من كلام ابن الشجرى أن اللغة العالية هى أن يعبر عن المثنى

---

(١) سيبويه ٢/ ٤٨ .

(٢) أمالى ابن الشجرى ١/ ١٧ - ١٨ .

بالجمع إن كان من أعضاء الجسم الموحدة فى حال الإضافة فالجمع فى هذا هو الوجه ، كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا ﴾ (١) .

ومما جاء على التثنية قول أبى ذؤيب (٢) :

فَتَخَالَسَا نَفْسَيْهِما بنَوافِـذٍ　　　كَنَوافِذِ العُبُطِ التى لا تُرْقَعُ

أما ما كان فى الجسد منه اثنان ، فإنه يعبر عنه بالمثنى إذا ثنى المضاف ، وجعل ابن الشجرى ذلك واجبًا فلا يجوز جمعه (٣) ، وذلك أن التعبير عنه بالجمع يوقع فى لبس وإبهام ، يقول أبو حيان : «وأما إن كان فى كلِّ شىء منهما اثنان كاليدين والأذنين والفخذين ، فإن وضع الجمع موضع التثنية لا يطرد ، وإنما يحفظ ولا يقاس عليه ، لأن الذهن إنما يتبادر إذا أطلق الجمع لما يدل عليه لفظه ، فلو قيل قطعت آذان الزيدين ، فظاهره قطع أربع الآذان ، وهو استعمال اللفظ فى مدلوله» (٤) .

وأما قول الله عز وجل : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ (٥) . فقد جمع اليد ، وفى الجسد يدان ، وهذا يوهم أن جمع ما فى الجسد منه اثنان ، فى التثنية جائز وإلى هذا ذهب الزمخشرى (٦) (ت٥٣٨هـ) إذ جعله كقوله تعالى : «فقد صغت قلوبكما» ، وهذا يوهم أيضًا أن القطع واقع على

(١) الأعراف : ٢٣ .

(٢) البيت لأبى ذؤيب الهذلى ، فى شرح أشعار الهذليين ، تحقيق عبد الستار فراج (القاهرة ، دار العروبة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م) ص٤٠ وأمالى ابن الشجرى ١/ ١٦ .

(٣) انظر ابن الشجرى ١/ ١٦ .

(٤) البحر المحيط ٣/ ٤٨٣ .

(٥) المائدة ٣٨ .

(٦) انظر محمود بن عمر الزمخشرى ، الكشاف (القاهرة ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م) ١/ ٤٥٩ .

الأربع . ولكن المفسرين والنحويين ، وجهوا ذلك توجيهًا يخرجه من هذا الوهم . قال ابن الشجرى جوابًا عن ذلك : «الجواب : أن المراد فاقطعوا أيمانهما» وكذلك هى فى مصحف عبد الله (يعنى ابن مسعود) . فلما علم بالدليل الشرعى أن القطع محله اليمين ، وليس فى الجسد إلاّ يمين واحدة ، جرت مجرى آحاد الجسد ، فجمعت كما جمع الوجه والظهر والقلب» (١) .

وإلى ذلك ذهب ابن عطيه ، فقال : «جمع الأيدى من حيث كان لكل سارق يمين واحدة ، وهى المعرضة للقطع فى السرقة ، وللسراق أيد وللسارقات أيدٍ كأنه قال : اقطعوا أيمان النوعين ، فالتثنية للضمير إنما هى للنوعين» (٢) .

أما ما ليس من خلق الإنسان ، فوقف النحاة منه موقفين : ففريق يمنع جمعه ، وفريق يجيز ذلك ، ويلخص ذلك الفراء بقوله : «وقد يجوز هذا فيما ليس من خلق الإنسان ، وذلك أن تقول للرجلين : خليتما نساءكما ، وأنت تريد امرأتين ، وخرقتما قُمُصكما . وإنما ذكرت ذلك لأن من النحويين من كان لا يجيزه إلاّ فى خلق الإنسان ، وكلٌ سواء» (٣) .

وقد نقل سيبويه عن العرب إجازة ذلك ، فقال : «وقد قالت العرب فى الشيئين اللذين كل واحد منها اسم على حده ، وليس واحد منهما بعض شىء ، كما لو قالوا فى ذا ؛ لأن التثنية جمع ، فقالوا كما قالوا فعلنا ، وزعم يونس أنَّهم يقولون : ضع رحالهما ، وغلمانهما ، وإنما هما اثنان» (٤) .

---

(١) أمالى ابن الشجرى ١/١٨ .

(٢) البحر المحيط ٣/٤٨٣ .

(٣) الفراء ، معانى القرآن ١/٣٠٧ .

(٤) سيبويه ٣/ ٦٢٢ .

عودة الضمير :

إنَّ نظام اللغة يقضى أن يعود ضمير المثنى على مثنى ، غير أننا نجد أحيانًا أن المثنى يعود عليه ضمير الجمع ، وأحيانًا أن المثنى يعود عليه ضمير الجمع ، وأحيانًا أخرى يعود عليه ضمير المفرد . ففى قوله تعالى : ﴿ **هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا** ﴾ (١) نجد أن ضمير الجماعة عائد على المثنى ، ومثل ذلك نجده فى قوله عز من قائل : ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا** ﴾ (٢) ، ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ **فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ** ﴾ (٣) .

وقد حاول النحاة والمفسرون إيجاد تعليل وتفسير لهذه الظاهرة ؛ فالخليل وسيبويه ذهبا إلى أن التثنية جمع وقاسا ذلك على قول الاثنين : نحن فعلنا ذاك (٤) .

وذهب الأخفش والفراء إلى أن السبب فى ذلك هو معنى الجمع فى (خصمان) و (طائفتان) ، قال الأخفش فى قوله تعالى : «هذا خصمان اختصموا» : «لأنهما كانا حيين ، الخصم يكون واحدًا وجماعة» (٥) .

وقال الفراء : «ولم يقل اختصما : لأنهما جمعان ليسا برجلين ، ولو قيل اختصما كانا صوابًا» (٦) .

ثم قال : «ومثله إن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا» يذهب إلى الجمع ، ولو

---

(١) الحج : ١٩ .

(٢) الحجرات : ٩ .

(٣) الشعراء : ١٥ .

(٤) انظر سيبويه ٢/ ٤٨ ، ٣/ ٦٢٢ .

(٥) الأخفش ، سعيد بن مسعدة ، معانى القرآن ، تحقيق د. فائز فارس (الكويت ، ط٢ ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) ٢/ ٤١٤ .

(٦) الفراء ، معانى القرآن ٢/ ٢٢٠ .

قيل : اقتتلتا لجاز يـذهب إلى الطائفتين» [١] . وإلى ذلك ذهب أبـو حيان في البحر المحيط [٢] .

في الحق أن ما ذهب إليـه الخليل وسيبويه أقيس إذ أنّه يطرد ويـستقيم في جميع الشواهـد التي وردت على ذلك . أما قول الفراء والأخـفش وأبي حيان فإنه لايطـرد ، فإذا صح قولهم في (خصـمان) و (طائفتان) فإنـه لا يصح في قوله تعالى : ﴿ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾ [٣] .

وفي بـعض الأحـايـين يعـود ضمير المفـرد على المثنـى ومثاله قـول الآخـر [٤] :

خَلِيلَيَّ قُوما فـي عُطالة فانْظُرا أَنارًا تَرى من نَحْوِ ما بين أم بَرَقًا

فقد بدأ بخطاب الاثنـين «خليليّ» ثم جعل الضمير العائـد عليهما مفردًا ، فقال : «ترى» ، وكان حقه أن يقول «تريا» .

ولا تعليل لهذا ، إلا أنَّه خطاب الواحد بخطاب الاثنين ، على عادة العرب في ذلك [٥] ، ثم عادة فـخاطبه خـطاب المفرد علـى الأصل . وهذا يقـابل ما أنشده الكسائي [٦] :

أبا واصِلٍ فاكْسُوهُما حُلَّتَيْهِما فإنَّكُمـا إن تَفْعَـــلا فَتَيانِ

---

(١) السابق نفسه .

(٢) انظر البحر المحيط ٨/ ١١٢ .

(٣) الشعراء : ١٥ .

(٤) نسبه ابن الأنباري في شرح السبع الطوال ص١٦ إلى امرىء القيس ، وليس في ديوانه .

(٥) انظر ابن الأنباري ، شرح السبع الطوال ١٦ .

(٦) البيت أورده أبو علي الفارسي في كتاب الشعر ١/ ٢٠٦ ، وهو في السبع الطوال ١٦ .

فبدأ بخطاب الواحد على الأصل ، فقال : «أبا واصل» ، ثم صرف الخطاب إلى الاثنين ، فقال : «فإنكما إن تفعلا» .

إن ظاهرة التثنية من سمات العربية وخصائصها ، إلاّ أنها – وكما وجدنا – ظاهرة مضطربة قلقة ، ولم تستقر إلاّ بعد نزول القرآن الكريم الذى وحدّ لغة العرب على لهجة قريش التى كانت أفصح اللهجات ، ومع هذا التَوَحُّدِ فإن القرآن الكريم أبقى على بعض من الظواهر اللهجية للقبائل الأخرى ، كإشارة ذات دلالة واضحة على أن القرآن يخاطب العرب كلّ العرب .

وذلك مثلما تضمن بعض الألفاظ الأعجمية لأمم مختلفة ، كإشارة – أيضًا – ذات مغزى ، بأنه جاء برسالة إلى الأمم جميعها على مختلف أجناسها وأصقاعها ولغاتها .

ثم نشأ علم النحو فقعد القواعد وصاغ الأحكام استنادًا إلى لغة القرآن الكريم والشائع من لغات العرب فى نظمها ونثرها ، وشذّب اللغة من اللهجات الشاذة ، واللغيات النادرة ، ففرضت القواعد المطردة على المتعلم والمبدعين ليصوغوا كلامهم من نظم ونثر وفق تلك القواعد المطردة .

وحسنًا فعل النحاة إذا وضعوا حدًا للاطراب الذى لمسنا أمثاله فى التثنية ؛ ولذا يجب الالتزام بما أصّله النحاة وقعدوه وذلك منعًا للفوضى والاضطراب فى اللغة المنطوقة والمكتوبة .

أما اللهجات الأخرى واللُغيات التى كانت لدى بعض القبائل وحفظتها كتب النحو واللغة ، فلا يسوغ استعمالها ولا يجوز تداولها مطلقًا – مع أنها من

لغة العرب - وذلك لأن الجمهور الأعظم من اللـغة جاء على اللغة السائدة التى هى لغة الـقرآن الكريم كما يـجب ألاّ تُدَرَّس تلك الظواهر الـلغوية للطـلبة فى مستـوياتهم الأولـى ، وإنما يدرسها المـتخصصون وطـلاب الدراسات العـليا ، ليتمكنوا من فـهم النصوص اللغوية التى وردت على تلك الـلهجات واحتفظت بها كتب اللغـة والأدب . وليدرسوا التطور اللغوى الذى طرأ علـى العربية عبر مراحلها المختلفة .

ثبت المصادر والمراجع

١- الأخطل ،

شعر الأخطل ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة (بيروت ، دار الآفاق الجديدة ، ١٩٧٩م) .

٢- الأخفش ، سعيد بن مسعدة ،

معانى القرآن ، تحقيق الدكتور فائز فارس (الكويت ، ط٢ ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) .

٣- الأشمونى ، على بن محمد ،

شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد (القاهرة ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م) .

٤- الأصفهانى ، أبو الفرج ،

الأغانى (القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م) .

٥- الأصمعى ، عبد الملك بن قريب ،

الأصمعيات ، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة ، دار المعارف بمصر ١٩٧٩م) .

٦- امرؤ القيس ،

ديوان امرىء القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٤م) .

٧- الأنبارى ، أبو البركات عبد الرحمن بن أبى سعيد ،

أسرار العربية ، تحقيق محمد بهجة البيطار (دمشق ، مطبعة الترقى ، مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م) .

٨- ابن الأنبارى ، أبو بكر محمد بن القاسم ،

شرح القصائد السبع الطوال ، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة ، دار المعارف ، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م) .

٩- بروكلمان ، كارل بروكلمان ،

فقه اللغات السامية ، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب (الرياض ، مطبوعات جامعة الرياض ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) .

١٠- البغدادى ، عبد القادر البغدادى ،

خزانة الأدب ، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة ، مطبعة الخانجى ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) .

١١- الترمذى ، محمد بن عيسى ،

سنن الترمذى ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف (بيروت ، دار الفكر) .

١٢- ابن الجزرى ،

النشر فى القراءات العشر ، (بيروت ، دار الكتب) .

١٣- ابن جنى ، أبو الفتح عثمان بن جنى ،

سر صناعة الإعراب ، تحقيق د. حسن هنداوى (دمشق ، دار القلم ، ١٩٨٥م) .

١٤- الحلوانى ، محمد خير الحلوانى ،

الواضح فى علم الصرف (دمشق ، دار المأمون للتراث ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) . لأنبارى

١٥- حميد بن ثور ،

ديوان حميد بن ثور ، صنعة عبد العزيز الميمنى الراجكوتى ، (القاهرة ، دار الكتب ، ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م) .

١٦- أبو حيان ، محمد بن يوسف ،

البحر المحيط (بيروت ، دار إحياء التراث العربى ، ط٢ ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م) .

١٧- أبو داود ، سليمان بن الأشعث ،

سنن أبى داود ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .

١٨- ابن دريد ، محمد بن الحسن ،

جمهرة اللغة (حيدر آباد ، طبعة مجلس دائرة المعار ، ١٣٣٤هـ) .

١٩- الدمامينى ، محمد بدر الدين ،

تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد ، تحقيق د. محمد بن عبد الرحمن بن محمد المفدى (ط١ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) .

٢٠- رؤبة بن العجاج ،

ديوان رؤبة - ضمن مجموع أشعار العرب - تصحيح وترتيب وليم بن الورد البروسى (بيروت ، دار الآفاق الجديدة ، ١٩٧٩م) .

٢١- ابن أبى الربيع ، عبيد الله بن أحمد الأشبيلى ،

البسيط فى شرح جمل الزجاجى ، تحقيق د. عيَّاد بن عيد الثبيتى (بيروت ، دار الغرب الإسلامى ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م) .

٢٢- الرضى الأستراباذى ،

شرح الرضى على الكافية ، تحقيق يوسف حسن عمر (بنغازى ، منشورات جامعة بنغازى) .

٢٣- الزجاجى ،

الإيضاح فى علل النحو ، تحقيق د. مازن المبارك (بيروت ، دار النفائس ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) .

٢٤- الزمخشرى ، جار الله محمود بن عمر الزمخشرى ،

الكشاف (القاهرة ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م) .

٢٥- أبو زيد الأنصارى ،

النوادر فى اللغة ، تحقيق سعيد الخورى الشرتونى (بيروت المطلعة الكاثوليكية ١٨٩٤م) .

٢٦- ابن السراج ، أبو بكر محمد بن السرى ،

الأصول فى النحو ، تحقيق د. عبد الحسين الفتلى (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٥م) .

٢٧- السكرى ، أبو سعيد الحسن بن الحسين ،
شرح أشعار الهذليين ، تحقيق عبد الستار فراج (القاهرة ، دار العروبة ، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م) .

٢٨- سيبويه ، عمرو بن عثمان ،
الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون (بيروت - عالم الكتاب) .

٢٩- السيوطى ، جلال الدين السيوطى ،
همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع ، تحقيق عبد السلام هارون ، د. عبد العال سالم مكرم (الكويت ، دار البحوث العلمية) .

٣٠- الشجرى ، هبة الله على بن محمد الحسنى ،
أمالى ابن الشجرى ، تحقيق محمود محمد الطناحى (القاهرة ، مكتبة الخانجى ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) .

٣١- ابن عصفور ، على بن مؤمن ،
المقرب ، تحقيق أحمد عبد الستار الجوارى ، عبد الله الجبورى ، (بغداد ، مطبعة العانى ، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م) .

٣٢- ابن عقيل ، بهاء الدين عبد الله ،
المساعد على تسهيل الفوائد ، تحقيق د. محمد كامل بركات (دمشق ، دار الفكر ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) .

٣٣- العكبرى ، أبو البقاء ، عبد الله بن الحسين ،

اللباب فى شرح علل البناء والإعراب ، تحقيق غازى مختار طليمات (بيروت ، دار الفكر المعاصر) .

٣٤- الفارسى ، أبو على الحسن بن أحمد .

كتاب الشعر ، تحقيق محمود محمد الطناحى (القاهرة ، مكتبة الخانجى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) .

- التعليقة على كتاب سيبويه ، تحقيق د. عوض بن حمد القوزى ، (القاهرة ، مطبعة الأمانة ، ط١ ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) .

٣٥- الفرزدق ،

ديوان الفرزدق ، شرح عبد الله الصاوى (القاهرة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م) .

٣٦- الفيروز آبادى ، محمد بن يعقوب ،

القاموس المحيط (بيروت ، مؤسسة الرسالة) .

٣٧- كمال ، ربحى كمال ،

دروس اللغة العربية (بيروت ، دار النهضة العربية ١٩٧٨م) .

٣٨- المالقى ، أحمد بن عبد ا لنور ،

رصف المبانى فى شرح حروف المعانى ، تحقيق أحمد محمد الخراط (دمشق ، مطبعة ، زيد بن ثابت ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م) .

٣٩- ابن مالك ، جمال الدين محمد ،

شرح عمدة الحافظ ، وعدة اللافظ ، تحقيق عدنان عبد الرحمن الدوري (بغداد ، مطبعة العاني ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) .

٤٠- المبرد ، محمد بن يزيد ،

المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة (بيروت ، عالم الكتب) .

٤١- مكي بن أبي طالب القيسي ،

مشكل إعراب القرآن ، تحقيق ياسين محمد السواس (دمشق ، دار المأمون ، ط٢) .

٤٢- ابن منظور ،

لسان العرب ، تحقيق عبد الله علي الكبير ورفيقه (القاهرة ، دار المعارف) . لأنباري

٤٣- النسائي ، أحمد بن شعيب ،

سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي ، (ط١ ، ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م) .

٤٤- ابن يعيش ، موفق الدين يعيش ،

شرح المفصل ، (بيروت ، عالم الكتب) .

المجـــلات

- مجلة المجمع العلمى بدمشق ، المجلد ٣٥ ، جـ٣ ، ١٩٦٠م .
- مجلة البـلاغ ، العراق ، العـدد الثامن ، السنة الثـالثة ، رمضان ١٣٩١هـ - تشرين الثانى ١٩٧٤م .

الإدغام فى لغة الأمثال العامية

د. إبراهيم الدسوقى*

مقدمة :

« الإدغام » ظاهرة صوتية تناولها القدماء والمحدثون على حد سواء ، وأفاضوا فيها من ناحية التعريف ، والتقعيد ، والتمثيل . وهذه محاولة لتطبيق هذا التعريف وتلك القواعد على اللهجة العامية المصرية ، من خلال نص مسجل يحمل فلسفة هذا الشعب قديماً وحديثاً ، وهو نص الأمثال العامية . هذا النص الذى لا زال - من ناحية الدرس اللغوى - حقلاً بكراً يعكس كثيراً من القضايا اللغوية التى تتفق والفصحى ، أو تختلف معها . ودراسة هذه القضايا للوقوف على أوجه الاتفاق ، وأوجه الاختلاف تعتبر مطمحاً كبيراً ، للوقوف على مكان الفصحى من العامية ، أو العامية من الفصحى من جهة ، والوقوف كذلك على الشكل الذى تطورت إليه العامية ، ومن ثم الشكل الذى يمكن التنبؤ به لتطورها فى المستقبل ، من جهة أخرى .

وقد جرت دراسات كثيرة حول الأمثال العامية المصرية من قبل علماء الاجتماع ، وعلماء النفس ، وعلماء الأدب الشعبى . فكانت مادة ثرية نفذ الدارسون من خلالها للتعرف على طبيعة الشعب المصرى .

وهذه محاولة لتناول لغة تلك الأمثال ؛ للوقوف على مظاهرها اللغوية ، وعلى الخصوص ظاهرة الإدغام . مقارناً إياها بالفصحى للوقوف على ما تتبع فيه الفصحى ، وما تنفرد به سواء فى لغة الأمثال أو فى اللهجة العامية المصرية .

وقد اعتمد البحث على كتب الأمثال العامية المصرية . مثل : الأمثال العامية لأحمد تيمور باشا وغيرها واعتمد عليه أيضاً فى شرح بعض هذه الأمثال . وسيقوم البحث على النقاط التالية :

---

* أستاذ مساعد بقسم علم اللغة والدراسات السامية والشرقية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة .

* معنى المثل .

* تعريف الإدغام عند القدماء والمحدثين .

* أشكال الإدغام :

– الإدغام الناشىء عن تضعيف حرف من حروف الكلمة .

– الإدغام الناشىء عن المماثلة بين صوتين فى الكلمة .

– الإدغام الناشىء عن المماثلة بين صوتين في كلمتين متجاورتين .

* الخاتمة :

وتجدر الإشارة إلى أن الأمثال التى وردت فى هذا البحث مكتوبة كتابة صوتية . واستخدم البحث الرموز الصوتية التالية :

ق	q	س	s	الهمزة	?
ك	k	ش	S	ب	b
ل	l	ص	ṣ	ت	t
م	m	ض	ḍ	ج	g
ن	n	ط	ṭ	ح	ḥ
هـ	h	ظ	ẓ	خ	x
و	w	ع	ζ	د	d
ى	y	غ	ξ	ر	r
		ف	f	ز	z

(١) لا يوجد من بين قائمة الرموز رموز : الثاء ، والذال ، والظاء الموجودة فى الفصحى ، لأنها لا توجد فى العامية .

الفتحة القصيرة	a	الفتحة الطويلة	ā
الكسرة القصيرة	i	الكسرة الطويلة	ī
الضمة القصيرة	u	الضمة الطويلة	ū
الفتحة الممالة القصيرة	e	الفتحة الممالة الطويلة	é
الضمة الممالة القصيرة	o	الضمة الممالة الطويلة	ō

ورأى البحث أن هذه الطريقة ستظهر طريقة نطق المثل ، من ناحية الأصوات أو الإدغام ، أو الحذف لبعض الأصوات ، أو التقسيم المقطعى للمثل .

وها هو الحديث تفصيلاً :

١ - تعريف المثل :

جمع الميدانى فى كتابه « مجمع الأمثال » تعريفات للمثل وضعها علماء العربية قديماً أمثال : ابن السكيت (ت ٢٤٣ هـ) والمبرد (ت ٢٨٥ هـ) والفارابى (ت ٣٥٠ هـ) والمرزوقى (ت ٤٢١ هـ) .. وغيرهم فالمثل عند ابن السكيت هو : « لفظ يخالف لفظ المضروب له ، ويوافق معنى ذلك اللفظ »[١] .

ويعرفه المبرد بقوله : « هو قول سائر يشبَّه به حال الثانى بالأولى »[٢] ويذكر الفارابى أن المثل هو « ما ترضاه العامة والخاصة ، فى لفظه ومعناه ، حتى ابتذلوه فيما بينهم ، وفاهوا به فى السراء والضراء واستدروا به الممتنع من الدر، ووصلوا به إلى المطالب القصية ، وتفرجوا به عن الكرب المكربة . وهو من أبلغ الحكمة ، لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر فى الجودة ، أو غير مبالغ فى بلوغ المدى من النفاسة »[٣] .

---

(١) مجمع الأمثال . الميدانى . بولاق . ١٢٨٤ هـ ١/٦ .

(٢) السابق ١/٥ .

(٣) المزهر فى علوم اللغة وأنواعها . جلال الدين السيوطى . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين . القاهرة . ١٩٨٥م . ط ١٢. ٤٨٦ .

من التعريفات السابقة يمكننا أن نقف على الخصائص التالية للمثل :

١ - أنه قول سائر ، يتسم بأنه مقتضب ، ويمثل درجة عالية من الحكمة ، ويكتسب الثبات فى اللفظ .

٢ - أنه يتضمن معنى لفظيًا ظاهرًا ، وآخر متضمنًا خفيًا ، يتخذه الناس ويطبقونه على حالات أخرى مشابهة . فينتقل عما ورد فيه إلى ما يصح قصده به .

٣ - أن العامة والخاصة قد **ارتضته** ، فى لفظه ومعناه ، واستخدمته وفاهت بلفظه لمعناه . وإجماع الناس عليه ، واستخدامهم إياه دليل على نجاحه «فالناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر فى الجودة »(١) .

فالمثل - على هذا النحو - يتضمن مجموعة من الخصائص اللغوية والأدبية تكسبه هذه الشرعية فى الاستخدام والبقاء ، من هذه الخصائص : إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى إلى جانب القبول والانتشار المشار إليهما سابقًا ، مما يجعله سهل التمييز عن غيره من كلام الناس العادى .

ويفرق « رودلف زلهايم » بين : « المثل » ، و «التعبير المثلى» ، و « الحكمة » و « العبارة التقليدية » .

فالمثل هو « ما تحقق معناه ومفهومه فى اعتبار إحدى خبرات الحياة التى تحدث كثيراً فى أجيال متكررة ، ممثلة لكل الحالات الأخرى المماثلة . ويجرى على كل لسان ، بعكس الحكمة التصويرية التى نقرأها ونتذوقها فى محيط العمل الأدبى التى ظهرت فيه فحسب »(٢) ويضرب لذلك أمثلة كثيرة منها : « أسمع

---

(١) السابق ٤٨٦/١ .

(٢) الأمثال العربية . رودلف زلهايم . ترجمة دكتور رمضان عبد التواب . مؤسسة الرسالة . بيروت . ط ٣ . ١٩٨٤ م . ص ٢٧ .

جعجعة ولا أرى طحنًا » ، و« عصا الجبان أطول » ، و« لا يجتمع السيفان فى غمد » .

والتعبير المثلى [1] هو« تعبير يمكن أن يكون جزءًا من جملة ، وهو تعبير قائم بذاته ، ويشتمل على اتباع فى بعض الأحيان ، هذا الاتباع يثريه ، ويوضحه بسبب ما فيه من بيان عظيم كما فى« سواسية كأسنان المشط » ، و« أظلم من حية » ، و« أجبن من صافر » .

والحكمة[2] هى : تعبير عن خبرات الحياة ، أو بعضها على الأقل مباشرة فى صيغة تجريدية ، وتنسب إلى الحكماء والفلاسفة الذين وهبوا المقدرة على التعبير التجريدى ، ولا يعرف قائلها بالضبط مثل : « السرُ أمانةٌ » ، و« إياكَ أن يضربَ لسانُك عنقَك » ، و« رُبَّ قولٍ أشدُ من صولٍ » ، و« معاداةُ العاقلِ خيرٌ من مصادقةِ الأحمق » .

أما العبارة التقليدية[3] فتوجد فى الدعاء ، واللعن ، وفى الخطاب ، والتحية ، وفى الصلاة وما أشبه ذلك ، وإن كانت تختلف عن الأمثال والتعبيرات المثلية والحكم ، مما جعل جامعى الأمثال يشيرون إليها بقولهم : « ومن دعائهم » أو « من أمثالهم فى الدعاء » كما فعل أبو عبيد فى كتابه الأمثال ، ويضرب لذلك أمثلة منها : « بلغَ اللهُ بكِ أكلأَ العمرِ » ، و« على بدء الخير واليمن » ، و« بالرفاءِ والبنين » .

والأمثال العامية المصرية غنية بهذه التصنيفات .

فمن الأمثال : « ديل الكلب عُمْره ما ينْعِدل » ، و« حُمَارَتك العَرْجَة تغنيك عن سؤال اللئيم » ، و« فى الوِشّ مِرَاية وفى القفا سِلاَّية » ، و« كلُّه لَحْم ورَمَاه عَضْم » ... إلخ .

---

(١) السابق ص ٣٠ .
(٢) السابق ص ٣٢ .
(٣) السابق ص ٣٥ .

ومن **التعبيرات المثلية** : « ضَلالـى وعَامِل إمَام دا حَرَام » ، و« غـالـى والطَّلَب رِخِيص » ، و« عاشِر عاشِـر مِسِيرَك مفـارق » ، و« زيارة وتجارة » ... إلخ .

ومن **الحكم** : « اعمـل الطيب وارميه البحر » ، و« الخسارة تعلِّم الشَّطارة » و« ادَّاين وازرع ولا تدَّاين وتِبلع » ، و« رِزْق يوم بيوم والأرزاق على الله » .

أما **العبارات التقليدية** فمنها : « عِيش يا حبيبى ولا تبكينى ، حِسك فى الدنيا يكفينى » ، و« الله لا يِرْجِع الغلا ولا كيَّاله » ، و« الله يخليك يا قفايا ، اللى ما حدّ سكَّك » .

ولا يختلف تعريف المثل قديمًا عنه حديثًا[1] فهو يصاحب كلمة « الأعلى » حيث تضيف إلى معناه معنى جديدًا هو « الأسمى والأكثر قربًا من الحق »[2] ويتضمن المثل بذلك معنى القدوة ، أو العبرة ، أو العظمة ، أو المعنى الأخلاقى . فقد لجأت الأمم إلى الأمثال ، « وارتبط كل مثل بقصة ، لأنهم أرادوا أن يجعلوا الأخبار مقرونة بذكر عواقبها »[3] . ويرتبط كذلك بالوجود الحسى الظاهر أى ما ينطبق على المشاهدة والرواية . « ومما لا ريب فيه أن معانى المثل المتنوعة تبرز قيمته الحقيقية ، والوظيفة التى يؤديها ، ولهذا اختاره الناس وسيلة للتعبير »[4] .

بعد تعريف المثل ينتقل البحث إلى الظاهرة موضع الدراسة وهى ظاهرة

---

(١) انظر : أمثالنا العامية . مدخل إلى دراسة الذهنية الشعبية . د. زاهى ناضر . دار الحداثة . بيروت ١٩٩٦ . ص ٢٣ - ٢٤ .

(٢) معانى المثل ومشتقاته . جورج صدقنى . مجلة المعرفة . السنة السابعة عشرة . عدد ٢٠٢ - ١٩٧٨ . ص ١٠ - ١١ .

(٣) الأمثال العربية القديمة . عفيف عبد الرحمن . المجلة العربية للعلوم الإنسانية . العدد العاشر . المجلد الثالث . ١٩٨٣ . ص ١٩ .

(٤) أمثالنا العامية . ص ٢٤ .

الإدغام وقبل أن يعرض لها فى لغة الأمثال العامية يعرض لآراء اللغويين فيها قديمًا وحديثًا .

٢ - تعريف الإدغام Assimilation

الإدغام ظاهرة صوتية(١) ، تقع فى نطاق بحث « علم الأصوات » وعلى وجه الدقة علم الأصوات التشكيلى Phonology(٢) الذى يعنى « بتنظيم المادة الصوتية ، وإخضاعها للتقعيد والتقنين »(٣) وحتى يتسنَّى لهذه المادة أن تنظَّم تظهر هناك قضايا كثيرة مثل : الإعلال ، والإبدال ، والوقف ، والإمالة ، والهمز ، والإدغام . وقد تناول هذه القضايا علماء العربية بالتفصيل فى مؤلفاتهم النحوية ، والصرفية ، وعلم القراءات .

أما الإدغام - وهو موضوع هذه الصفحات - فسنعرض له بشىء من التفصيل . فقد أولى النحاة والصرفيون ، وعلماء القراءات هذه الظاهرة عناية فائقة(٤) ، فيعرفه الزجاجى بقوله : « ومعنى الإدغام هو : أن يلتقى حرفان من جنس واحد ، فتسكِّن الأول منهما ، وتدغمه فى الثانى ، أى تدخله فيه ، فيصير حرفًا مشدّدًا ، ينبو اللسان عنه نبوة واحدة . أو يلتقى حرفان متقاربان فى المخرج فتبدل الأول حرفًا من جنس الثانى وتدغمه فيه ، فيصيرا حرفًا

---

(١) ويختلف الإدغام أو المماثلة بهذا المعنى الصوتى عنه فى المعنى الدلالى النحوى حيث ظهرت نظرية تسمى نظرية المماثلة Assimilation theory ترى أن الكلمات التى لها معان متماثلة تؤثر فى الشكل الصرفى فى بعضها البعض . فمعظم كلمات القرابة Kindship تأخذ لاحقة (ther) كما فى كلمة أب Father . أم mother . أخ brother .

(٢) فى مقابل علم الفوناتيك الذى يدرس الصوت من كونه « أحداثا منطوقة بالفعل actual speech events ولها تأثير سمعى معين audible effect دون نظر إلى قيم هذه الأصوات أو معانيها فى اللغة المعنية .

انظر : الأصوات العربية . د. كمال بشر . مكتبة الشباب . القاهرة. د.ت . ص ٢٨ .

(٣) السابق : ص ٢٩ .

(٤) الجمل فى النحو . الزجاجى . تحقيق على توفيق الحمد . مؤسسة الرسالة . بيروت . ط ٢ - ١٩٨٦ م ص ٣١٣ - ٣١٤ .

واحداً »[1] ، ويذكر ابن جنى تعليلا لذلك وهو « الجنوح إلى المستخف والعدول عن المستثقل »[2] .

ويذكر الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ) أن الإدغام « يحدث عندما يخرج الصوتان من موضع واحد ، فيثقل عليهم أن يرفعوا ألسنتهم من موضع ثم يعيدوها إلى ذلك الموضع للصوت الآخر ، فلما ثقل عليهم ذلك ، أرادوا أن يرفعوا رفعةً واحدةً »[3] .

فالصوتان يخرجان من مخرج واحد ، ويرفع عند النطق بهما اللسان مرة واحدة ، وينزل مرة واحدة . فيكون لفظ الحرف الأول كلفظ الحرف الثانى . واشترط النحاة لوقوع الإدغام أن يكون الحرف الأول ساكنًا ، حتى لا يكون هناك فصل بينهما ، فإذا كان الأول متحركًا لا يجوز الإدغام[3] . وعند إرادة الإدغام تزال هذه الحركة حتى يتم الإدغام كما يقول سيبويه « شرط الإدغام هو أن يكون أول الصوتين ساكنًا ، فإذا كان متحركًا فلابدّ من إزالة الحركة حتى لا تحجز بينهما »[4] .

ولم يختلف المحدثون فى تعريف هذه الظاهرة عن القدماء ، فيذكر برجشتراسر أن الإدغام هو « اتحاد الحرفين فى حرف واحد مشدّد ، تماثلا أو اختلفا »[5] كما فى : آمنَّا ، وادّعى : فالنون فى آمنّا نشأت عن نونين : أولاهما :

---

(١) الخصائص . ابن جنى . تحقيق محمد على النجار . ط ٢ . د.ت . ١/١٦١ – ١٦٢ .

(٢) الكتاب : لسيبويه . تحقيق عبد السلام هارون . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ م . ٣/٥٣٠ .

(٣) انظر : المقتضب . المبرد . تحقيق عبد الخالق عضيمة . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة ١٣٨٥ – ١٣٨٨ هـ . ١/١٩٧ .

– الحجة فى علل القراءات السبع . أبو على الفارسى . تحقيق على النجدى ناصف وآخرين – الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٨٣ م . ص ٢٣٤ .

(٤) الكتاب ٢/١٥٨ .

(٥) التطور النحوى للغة العربية . براجشتراسر . تصحيح : د. رمضان عبد التواب . مكتبة الخانجى . القاهرة . ١٩٨٢ م . ص ٢٨ .

لام الفعل : آمن : فاعل ، والثانية : الضمير « نا » . أما « الدال » فى ادّعى فأصلها دال وتاء ، فالدال : فاء الفعل دعا : فَعَل ، والتاء : تاء الافتعال ، قلبت دالا .

أما هنرى فليش فقد عرض للإدغام فى إطار ما يحكم اللغة من قواعد معينة ، ويذكر فى هذا الإطار مسالك عامة تحكم نظام اللغة العربية منها[1] :

- كراهة أن يتكرر صوت صامت مرتين متواليتين ، مع مصوت قصير يفصل بينهما ، وهذا يكون فى حالة ما إذا بدئ مقطعان متواليان بصامت بعينه ، مع اشتمال الأول على مصوت قصير . مثل مَدَدَ madada ، وفَرَرَ farara ، ووَدِدَ wadida . حيث تقول اللغة مدّ madda ، وفَرّ farra ، وودّ wadda . فقد أدمجت الصامتين فى صوت مضعف بعد حذف المصوت القصير . وكذلك فى المضارع . مدّ : يمدُّ ، وفرّ ، يفرُّ ، وودّ : يودُّ . وكذلك فى صيغة افْعَلَّ : فى : احْمَرَّ ← يحمرُّ ، وكذلك فى أحِبَّاء ، وأزِقَّات بدلاً من : أَحْبِبَاء ، وأَزْقِقَات .

وجاء فى « معجم اللغة وعلم اللغة » لهارتمان وستورك : « أن العملية التى يصبح بمقتضاها صوتان متطابقين أو متماثلين تعود إلى تأثير أحد الصوتين فى الآخر ، فإذا أثر التغير فى الأصوات المتجاورة فإنه يسمى التماثل التجاورى contiguous, or : juxta positional assimilation كما فى حرف (z) الموجود فى كلمة (news : أخبار) عندما تدخل فى كلمة أخرى وهى newspaper .

وإذا كانت الأصوات المتأثرة ببعضها البعض ليست متجاورة، فإنه يسمى التماثل المتباعد : Distant Assimilation أو Non Contiguous Assimilation, أو Dilation,

---

(١) العربية الفصحى . نحو بناء لغوى جديد . هنرى فليش . ترجمة د. عبد الصبور شاهين . دار المشرق . بيروت . ط ٢. ١٩٨٣ م ص ٤٦ - ٤٧ .

فالتغير فـي حرف العلة أو الحركة vowel يعد مثالا للتماثل المتباعد كما في كلمة Fot في الإنجليزية القديمة ، فإن fet (في الإنجليزية الحديثة feet) حيث تغيّر حرف العلة (o) إلى (e) نتيجة لتأثير الحركة (i) في المقطع الثاني في الشكل القديم foti »[١] . ويمكن أن نمثل لهاتين الظاهرتين في العربية باسم المفعول الناقص ، الذى تكون أصل ألفه واواً كما في « دعا » . الذى يكون مدعوو. فهناك تماثل تجاورى ، أى أن تجاور الصوتين قد أدى إلى إدغام أحدهما في الآخر فصارت : « مَدْعُوّ » . وقد يكون هذا التماثل نتيجة لتأثير أحد الصوتين في الآخر كما في : اسم المفعول من الفعل الناقص الذى تكون أصل ألفه ياءً كما في : رمى : حيث يكون اسم المفعول مَرْمُوى التى تصير مرمِيّ rama → marmuy → marmiyy .

ويأخذ هذا المعجم في تصنيف هذه المماثلة من ناحية أى الصوتين يؤثر في الآخر ، وإلى أى مدى يكون تأثير أحد هذين الصوتين في الآخر . ففي الشق الأول – أىُّ الصوتين يؤثر في الآخر – يذكر المعجم الشكلين التاليين :

١ – إذا تغير الصوت بتأثير الصوت التالي له فتكون المماثلة تقدمية Pegressive Assimilation (ويستخدم معها مصطلحات أخرى بديلة مثل Retrogressive Assimilation, Anticipatory Assimilation كما يحدث في صوت (V) في كلمة Five الذى أصبح صوت (F) في كلمة Fivepence .

٢ – وإذا أثر الصوت في الصوت التالي له فإنه يطلق عليه المماثلة الرجعية (والمصطلح البديل هو LAG) . كما في الكلمة اللاتينية Femina التي هي في الفرنسية Femme (أى : mother : أم) فتأثر صوت الـ «n» وتغير إلى صوت «m» التى سبقته .

---

(1) Dictionary of Language and Linguistics. R.R. Hartman, and F.C. Stork. Applied Sciences Publishers LTD. London. 1973 P. 21 .

٣ - وإذا تأثر الصوتان كل بالآخر ، فإنه يطلق عليه : المماثلة المتبادلة Reciprocal Assimilation . أو Coalescent Assimilation كما فى الكلمة الإنجليزية Seven التى تُنْطَق Sebm حيث أصبح الصوت الأسنانى الشفوى (V) شفويا (b) ، وهذا الصوت الشفوى أثر من ناحية أخرى فى الصوت اللثوى الأنفى (n) وغيّره إلى صوت شفوى أنفى (m)[1] .

ويمكن أن نجد أمثلة فى اللغة العربية لهذه الصور التأثيرية بين الأصوات فالمماثلة التقدمية تقع فى صيغة الافتعال من الفعل « طلع » حيث تكون : « اطتلع » فالطاء والتاء صوتان متحدان فى المخرج (أسنانى لثوى) ومتحدان فى طريقة مرور الهواء (انفجاريان) ومتحدان فى وضع الأوتار الصوتية (مهموسان) . ولكنهما مختلفان فى التفخيم والترقيق حيث تكون الطاء مفخمة ، والتاء مرققة . فقد أثر الصوت الأول (الطاء) فى الصوت الثانى (التاء) وحوله من صوت مرقق إلى صوت مفخم ، ونظراً لهذه المماثلة التقدمية تم إدغام الصوتين فصار الفعل : اطَّلع . ittalaʕa .

أما المماثلة الرجعية فتظهر - على سبيل المثال - فى إدغام اللام فى الراء فى « هل رأيت » التى تصير : هرَّأيت : harraʔayta « ويرى ابن عصفور أن إدغام اللام فى الراء فى مثل هذا المثال أحسن من إدغامها فى سائرها (أى الحروف) لأنها أقرب الحروف إليها ، وأشبهها بها ، حتى إن بعض من يصعب عليه إخراج الراء يجعلها لاما »[2] .

وتظهر المماثلة المتبادلة فى صيغة الافتعال من الفعل « ضرب » : التى تكون « اضطرب » فأثر صوت الضاد المفخم فى صوت التاء المرقق ، وجعله مفخما

---

(1) Ibid. p. 21 .

(٢) الممتع فى التصريف . ابن عصفور الأشبيلى . تحقيق فخر الدين قباوة . الدار العربية للكتاب . ١٩٨٣. ٦٩٣/٢ .

مثله. وأثر صوت التاء المهموس فى صوت الضاد المجهور وجعله مهموسًا ، ومن ثم صارت الصيغة : اطَّرب ittaraba?؟ .

وتنقسم المماثلة من جهة أخرى إلى قسمين هما : المماثلة الكلية Total Assimilation ، والمماثلة الجزئية Partial Assimilation . فتقع المماثلة الكلية عندما تصبح الأصوات الموجودة متطابقة تمامًا ، كما فى حالة fimina التى أصبحت femme ، وكذلك فى الأمثلة المذكورة سابقًا ، وهى . اطَّلع ، وهرَّأيت ، واطَّرب . حيث صارت اللام راءً ، والتاء طاءً . وتم الإدغام .

وتقع المماثلة الجزئية عندما تصبح الأصوات الموجودة متشابهة ، وليست متطابقة كما فى حالة صوت الـ (v) الذى أصبح (f) فى كلمة fivepence فقد أخذت صوت الـ (v) صفة الهمس الموجودة فى الصوت (p) ولكنه لم يأخذ صفة الشفوية . ونفس المثال يمكن أن ينطبق على صوت الصاد فى كلمة « مصدر » ، أو « تصدير » حيث يأخذ هذا الصوت صفة الجهر الموجودة فى الدال : فتصير الكلمتان مزدر mazdar ، وتزدير tazdir .

والإدغام أو تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض « ظاهرة صوتية تحدث كثيراً فى البيئات البدائية ، حيث السرعة فى نطق الكلمات ، ومزجها بعضها ببعض ، فلا يعطى الحرف حقه الصوتى من تحقيق أو تجويد فى النطق »(١) وعلى هذا الأساس قسم العلماء اللهجات العربية القديمة إلى قسمين هما : **اللهجات البدوية** ، وأشهرها لهجة تميم ، وطيىء ، وأسد ، وبكر بن وائل ، وتغلب ، وعبد القيس . **واللهجات الحضرية** ، وأشهرها لهجة قريش ، وثقيف ، وكنانة ، والأنصار ، وهذيل . ونسب العلماء الإدغام إلى اللهجات البدوية ، والإظهار إلى اللهجات الحضرية وانعكس هذا على القراء(٢) . فَمِمَّن يؤثر الإدغام

---

(١) فى اللهجات العربية . إبراهيم أنيس . مكتبة الأنجلو المصرية . ط ٦ . ١٩٨٤ م . ص ٧١ .

(٢) رصد أبو سعيد السيرافى صوراً كثيرة للإدغام عند القراء ، ورتبها ترتيبا أبجديا فخرجت فيما يشبه المعجم . وأسماه : إدغام القراء . وقام على تحقيقه محمد على عبد الكريم الرويني . وصدر عن دار أسامة . دمشق ١٩٨٦ م ، فى طبعته الثانية ، ورصد فيه ما استدركه على سيبويه بعد شرحه للكتاب .

أبو عمرو ابن العلاء ، والكسائى وحمزة ، وابن عامر ، وخلف ، وممَّن يؤثر الإظهار : ابن كثير ، ونافع ، وأبو جعفر ، وعاصم ، ويعقوب[1] . وإن كان تحقيق الروايات . يصل إلى « أن القرآن الكريم كان يراود بين اللهجتين الحجازية والتميمية فى الإظهار والإدغام ، حتى يكون القرآن الكريم صفحة لغوية تجد فيها كل قبيلة من ألفاظها الخاصة بها ، فتبرز تلك اللغة الموحدة الرسمية التى نجدها فى القرآن الكريم ، وهى للعرب جميعًا »[2] . وانطلاقًا من هذا الأساس يمكن القول بأن الإدغام كان منتشرًا فى أجزاء من الجزيرة العربية شرقها وغربها ، بل كان هو اللغة الرسمية السائدة التى تلقفها القرآن الكريم من لهجات العرب ، فظهر فى الكثير من الآيات القرآنية « لأنه ظاهرة راقية ، تهدف إلى الوصول بالكلمة إلى أقصى درجات الخفة والسهولة »[3] .

ونظرًا لتوفر هذين الشرطين وهما : السرعة فى الكلام وعدم إعطاء الصوت حقه من الاتقان والتجويد ، من جهة ، والرغبة فى الوصول بالكلمة إلى أقصى درجات الخفة والسهولة من جهة أخرى ، فقد اعتمدت اللهجات العامية هذه الظاهرة ، ومن بين هذه اللهجات « اللهجة المصرية » ، وجاءت الأمثال العامية عاكسة لخصائص تلك اللهجة . ومن بين هذه الخصائص خاصة الإدغام التى سنعرض لها فيما يلى من صفحات . بمتابعة أمثلة الإدغام فى لغة الأمثال العامية ظهر أنه يأخذ شكلاً من الأشكال التالية :

* الإدغام الناشئ عن تضعيف صوت أصلى من أصوات الكلمة .
* الإدغام الناشئ عن التأثير والتأثر بين صوتين من أصوات الكلمة سواء كان هذا التأثير تقدميًا ، أو رجعيًا ، أو تبادليًا .
* الإدغام الناشئ عن التأثير والتأثر بين صوتين فى كلمتين متجاورتين .

---

(١) فى اللهجات العربية . إبراهيم أنيس . ص ٧٢ .

(٢) اللهجات العربية فى التراث . أحمد علم الدين الجندى . الدار العربية للكتاب . ١٩٨٣ م . ١/ ٢٩٨ .

(٣) السابق ١/ ٣١٣ - ٣١٤ .

وفيما يلى عرض لهذه الأنماط ، بشىء من التفصيل بحسب ما تظهره الأمثلة ، مع ربط ذلك بالفصحى ، واللهجة العامية المصرية ، بحسب الحاجة .

أولاً : الإدغام الناشئ عن تضعيف صوت أصلى من أصوات الكلمة :

إن ظاهرة تضعيف صوت أصلى من أصوات الكلمة ظاهرة شائعة فى الفصحى والعامية على السواء ، لتؤدى أغراضها المنوطة بها . وليس المجال هنا مجال إحاطة بالمواضع التى يتم فيها التضعيف ، والتى تكون مشتركة بين الفصحى والعامية مثل عمّى وكُمِّى ، والسقًّا ، والقوَّاس ، والمكّاس ، والكُبَّة ، ويَتَرَبَّى ، وتعلَّم، والدَّار .... إلخ . بل سيكون الاهتمام بالمواضع التى انحرفت فيها العامية المصرية عن الفصحى ، وصارت خاصة بها . وقد ظهرت هذه المواضع فى الأسماء ، والأفعال ، والصفات ، والضمائر ، وحروف الجر . وفيما يلى عرض لتلك الظواهر .

١ - التضعيف فى الأسماء :

ظهر التضعيف فى الأسماء فى الكلمات التالية : الدُّخَّان والدِّبَّان، والحدَّاية ، والرجَّالة، والشِّقَّة، والدَّمّ، والحدّ. والأسماء المصغرة فى العامية على النحو التالى:

أ - التضعيف فى بعض الأسماء كما فى :

الدخّان القريب يعمى

íddoxxān il?urayyib yiʕmi

الدبّان يعرف وش اللبان

íddibbān yiʕraf wiSS illabbān

غراب ضمن حدّاية قال الاتنين طيارين

ʕurāb ḍaman ḥiddāya ?āl litnēn ṭayyarīn

خير الرجّالة يبان ع الشبّة

xēri rriggālay bān ζaSSabba

عرج الجمل من شفّته

ζarag iggamal min Sِiffitu

ما يحمل همّك إلا اللى من دمّك

ma yiḥmil hammakil lalli min dammak

ما حدش يقول طق إلا لما يكون من حق

maḥaddiS yu?ul ta? illa lammay kun min ha??

فكلمة « الدُّخَّان » فى المثال الأول جاءت من كلمة « الدُّخَان ádduxān » الفصحى ، ثم طرأ على الكلمة تضعيف الخاء فيها فصارت الدخّان áddoxxan .

وكذلك كلمة « الدِّبَّان áddibbān » التى جاءت من كلمة : الذباب áððubáb . فتخلت الذال عن مخرجها مما بين الأسنان ، وصارت أسنانية لثوية ، وفقدت حركتها (الضم) ، وصارت مكسورة ، وتم إدغام لام التعريف فيها صارت ádd . وتم كذلك تضعيف « الباء » فصارت الدِّبَّان íddibbān .

وكذلك الدال فى « حدّاية » ، التى جاءت من كلمة « حِدَأة » حيث تم تضعيف الدال hidd ، وقلب الهمزة ياءً ، وزيادة ألف فعّالة فصارت hiddāya ، على وزن فِعّالة fiζζala .

وكذلك أيضاً كلمة « رجّالة » التى أصلها : رجال rigāl . فتم تضعيف الجيم ، وزيادة تاء التأنيث لاحقة .

وجاءت كلمة شِفّة Siffah من كلمة شفة Safah فقد تغير ضبط الشين ، فأصبح بالكسر بدلاً من الفتح ، وتم تضعيف صوت الفاء فصارت : « شِفّة » .

وكلمة « دمَّك » عندما تكون مضافة . فجاءت بتضعيف الميم ، وأصل الكلمة « دم » ، وأصلها « دمو » عند النسب الذى « يرد الكلمات إلى أصولها » فتصير « دموى » .

وكلمة « حَدَّ » hadd فقد جاءت من كلمة « أحد » ، فحذفت الهمزة وصارت الكلمة مقطعًا واحدًا had . فتم تضعيف الدال .

ويدخل فى هذه الظاهرة كلمة « ديَّة » المأخوذة من كلمة « دِيَةَ » فى الفصحى. فآثرت العامية أن يكون المقطع الأول من الكلمة طويلا مغلقًا بدلا من المقطع القصير فصارت « دِيَّه » diyyah فى المثل القائل :

اللى تعرف دِيِّته اقتله

ílli tiʕraf diyyitu ?tilu

ويمكن أن يبرر التضعيف فى الأمثلة السابقة ، بأنه جاء خدمة لغرض **المبالغة** ، فالتكرير للصوت بتضعيفه يحمل معنى يزيد عن المعنى الموجود فى الكلمة قبل التضعيف . فالتضعيف فى كلمة «الدخَّان» للمبالغة فى تصوير شكله من جهة الكثافة والقتامة ، و«الدبَّان» للمبالغة فى صغره وتفاهته ، و«الحدّاية» للمبالغة فى حدتها ، ومن ثم يكون معنى الأمثال الثلاثة :

أن الدخان الكثيف القاتم إذا كان قريبًا منك فإنه يعميك .

أن وجه اللبان لعدم اهتمام صاحبه بنظافته تعرفه كل الهوام .

أن غرابًا ضمن طائرًا حادًا فى الطير ، وكلاهما ماهر فى الطيران .

وجاء التضعيف فى كلمات «شفَّة» ، و«دمّ» تعويضًا عن الواو المحذوفة ، وكلمة «حدّ» التى جاء فيها التضعيف تعويضًا عن الهمزة المحذوفة ، فجاء التضعيف تعويضًا ، ووقفًا (كما فى دم وحدّ) هذه المهمة التى تقوم بها هاء السكت فى بعض الصيغ.

والجدير بالذكر أن هذا التضعيف قد أثر في البنية المقطعية للكلمات المضعفة فصارت على النحو التالي:(١)

دبّان dibbān	طويل مغلق + مديد	ذُبَاب ∂uāb	قصير + مديد
دخّان doxxan	طويل مغلق + مديد	دخَان doxan	قصير + مديد
حدّاية hiddaya	طويل مغلق + طويل مفتوح + قصير	حِدَأة hida?a	قصير + قصير + قصير
رجّالة riggala	طويل مغلق + طويل مفتوح + قصير	رجال rigāl	قصير + مديد
شفّة Siffah	طويل مغلق + طويل مغلق	شفة Safah	قصير + طويل مغلق
دمّ damm	طويل مغلق بصامتين	دم dam	طويل مغلق
حدّ hadd	طويل مغلق بصامتين	أحد iáḥad	قصير + طويل مغلق
ديَّة diyyah	طويل مغلق + طويل مغلق	ديَة diyah	قصير + طويل مغلق

(١) يعرض الجدول للبنية المقطعية للكلمات الفصحى بدون علامة الإعراب في آخر الكلمة لأنها تختلف باختلاف موقع الكلمة في الجملة .

ب - التصغير فى الأسماء كما فى :

شهـر وشهير والتانـى أصـيَّر

Sahri wi Shayyir wittāni ?sayyar

فتصغير كلمة : شهر فى الفصحى تكون على شُهَيْر . أما فى العامية فقد ضعفت ياء التصغير ، وجعلتها : شُهَيِّر . وقس على ذلك أسماء مثل راجل : رجيل rugayyil ، وولد : وليِّد wulayyid ، وكلب : كليِّب kulayyib ... إلخ .

٢ - التضعيف فى الأفعال :

هــو تضعيف تفردت به العامية ولا يوجد فى الفصحى . وظهر ذلك فى الفعل « يكفِّى » فى المثل القائل :

عيش يا حبيبى ولا تبكِّينى ، حسك فى الدنيا يكفِّينى

ʕīS ya habībi wala tbakkīnī hissak fi ddon yakaffīnī

فيظهر الشاهد فى كلمة يكفينى yikaffini التى اختصت بها العامية[1] ، التى جاءت من كلمة يكفينى yakfini فحدثت التغيرات التالية فى بنية الصيغة :

* تغير ضبط حركة ياء المضارعة فصار مكسورًا بعد أن كان مفتوحًا .
* تحول صوت الكاف إلى صوت متحرك بالفتح بعد أن كان ساكنًا .
* تم تضعيف صوت الفاء ، بحيث صار الساكن الأول مغلقًا للمقطع السابق yikaf ، والمتحرك الثانى بادئا للمقطع الطويل المفتوح التالى : yikaffí .

---

(١) رغم وجود الوزن فَعَّل فى الفصحى والعامية ، إلا أن هذا الوزن من هذا الجذر غير موجود فى الفصحى . فبالبحث فى معاجم اللغة كالعين ، والجمهرة ، والصحاح ، ومجمل اللغة ، ولسان العرب لم أعثر على هذه الصيغة . ولكنِّى وجدت فى القاموس المحيط صيغة : تكفَّى takaffa فى : تكفَّى النبات : طال . وهذا يرجع هذا التفرد للعامية المصرية باستخدام هذا الوزن من ذلك الجذر .

* تغير البناء المقطعى للكلمة فصار مكونًا من المقاطع التالية :

قصير + طويل مغلق + طويل مفتوح

يـ	كف	فيـ
yi	kaf	fi

واستناداً إلى مقولة الصرفيين « أن كل زيادة فى المبنى ، تؤدى إلى زيادة فى المعنى » ، كما فى الصيغة علِمَ فهى تتضمن حدثًا وزمنًا ، وصيغة : علَّم تتضمن حدثًا وزمنًا وتكثيراً ، وجاء هذا التكثير من التضعيف فى عين الفعل. فهذا المعنى هو الأنسب لهذه الصيغة من بين المعانى الأخرى التى يؤديها التضعيف، كالدعاء والسلب، والإزالة والصيرورة، ونسبة المفعول أو الفاعل إلى ما اشتق منه الفعل ، أو التوجه إلى الموضع، أو قبول الشئ، أو اختصار الحكاية .

ومن ثم يكون معنى المثل : أن حياتك فى الدنيا لا تكفينى فقط بل تكفينى وزيادة مهما فعلتَ بيّ وأسأت إليَّ .

٣ - التضعيف فى الصفات :

ويظهر ذلك على النحو التالى :

* اسم الفاعل من الفعل الناقص فى شكل المفرد المؤنث .

أما عن **الصيغة الأولى وهى** اسم الفاعل من الفعل الناقص المضعف العين مثل عَزَّى وربّى rabba - ʕazza فإن اسم الفاعل مع المفرد المذكر - فى العامية - مربى . mirabbi ومِعزِّى miʕazzi أما مع المفرد المؤنث فيكون مربيَّة mirabbiyya ومعزِّية miʕazziyya .

وأصل هذه الصيغة فى الفصحى - وفقًا لقواعد اشتقاق اسم الفاعل من الفعل المزيد من : المضارع مع إبدال حرف المضارعة ميمًا مضمومة وكسر ما قبل الآخر - مُعَزٍّ muʕazzin ومُرَبٍ murabbin . بتنوين العوض ، وطرأ على الصيغة التغيرات التالية :

* تغيير حركة الميم التى كانت ضمة إلى كسرة .

* فى حال المفرد المذكر ظلت الياء ساكنة فى آخر الصيغة .

* فى حال المفرد المؤنث تم تضعيف الياء الساكنة مع المذكر .

* اضيفت لاحقة التأنيث فصارت مِعَزِّيَّة miζazziyya ومدليَّة midalliyya فى المثلين التاليين :

شامتة ومعزيَّة

Samta wi mζazziyya

خُبيِّزة ولها ميزة ، ولها عروق مدلية

xobbéza wlahā mīza wlahā ζrū? midalliyya

ويندرج تحت هذا الظاهر اسم الفاعل فى صيغة المؤنث من :

اشتهى ?Staha مشتهية miStihiyya

وقس على ذلك الأفعال : هوّى ، سَوَّى ، وعَلّى ، وودّى ، وورّى ، ووطّىّ ، ووفّى، وولّى التى يكون اسم الفاعل منها مع المفرد المؤنث: مهويّة mihawwiyya ، ومسويَّة misawwiyya ومعليَّة miζalliyya ، ومـوديَّة muwaddiyya ، ومـوطّيَّة muwaṭṭiyya ، ومـوفيَّة muwaffiyya ، ومـوليَّـة muwalliyya ... إلخ من صيغ الأفعال سواء كانت على وزن فَعَّل ، أو افتعل أو اتفعل ، وتكون معتلة لام الفعل .

٤ - التضعيف فى الضمائر :

وظهر التضعيف في الضمائر فى ضمائر الغائب : هو huwa ، وهى hiya ،

وهم hum التى صارت فى المثل: هوّه huwwah ، وهيّه hiyyah ، وهمّه hummah.
فقد حدث فيها ما يلى :

* تخلصت العامية فى حركة آخر الضمير . فصار الضمير مقطعًا واحدًا huw. hiy . فتساوت الضمائر الثلاثة فى هذه الخاصة - أحادية المقطع - ، ونظرًا لأن الكلمات أحادية المقطع تكون معرضة للتآكل . وهذه الضمائر ذات أهمية أساسية في الاستعمال اللغوى ، فحرصًا على وجودها لجأت العامية إلى تضعيف الحرف الساكن المغلق للمقطع ، وأضافت هاء السكت ، فصارت الضمائر : هوّه huwwah ، وهيّه hiyyih ، وهمّه hummah ، فصار الضمير مكونًا من مقطعين من المقطع الطويل المغلق - كما فى الأمثلة التالية:

قضيت العمر فى أمر هوّه العمر كام شهر

ádét ilζomrif ?ahr huwwal ζomri kam Sahr

زى الإبرة تكسى الناس وهيّه عريانة

ziyyil ?ibra tiksinnās wihiyya ζiryānā

زى حمير الفجر ينهّأوا وهمّه نايمين

zayyi ḥmīr ilζagar yinah ha?u whumma naymīn

٥ - التضعيف فى حروف الجر :

وجد التضعيف فى حرفى الجر : من min وعن ζan عند إضافتهما إلى الضمير . فيم عدا ياء المتكلم التى تُستخدم معها نون الوقاية التى تدغم فى النون فتصير منّى minni وعنّى ζanni أو إلى « نا الدالة على الفاعلين » فتصير : منّا minna وعنّا ζanna أما مع بقية الضمائر الأخرى فلا يكون هذا المبرر

موجوداً . فليست هناك نون ، ولكن العامية تلجأ إلى تضعيف النون فى حرف الجر عند إضافته إلى ضمير آخر فتكون على هذا النحو :

المخاطب الذكر	منَّك	minnak	عنَّك	ζannak
المخاطب المؤنث	منِّك	minnik	عنِّك	ζannik
المخاطب الجمع	منُّكو	minnuku	عنُّكو	ζannuku
الغائب المذكر	منُّه	minnuh	عنُّه	ζannuh
الغائب المؤنث	منَّها	minnaha	عنِّها	ζanniha
الغائب للجمع	منُّهم	minnuhum	عنُّهم	ζannuhum

ونظراً لأن هذين الحرفين أحاديا المقطع ، وتسعى العامية للحفاظ عليهما ساكنى الآخر فقد لجأت إلى التضعيف : كما فى الأمثال التالية :

غاب عنَّا فرحنا ، جانا أتَّالنا منُّو(١)

ξāb ζanna friḥnā, gānat ta??alnāminnū

وانسحبت هذه القاعدة العامية على حرفى الجر اللام والباء عندما يضافان إلى ياء المتكلم فتقول : ليَّه liyyah ، وبيَّه biyyah . والذى حدث فى هذين الحرفين ما يلى :

* تحول المقطع لـ li وبـ bi من قصير مفتوح إلى طويل مغلق بياء ضمير المتكلم فصار liy و biy . وجرى تضعيف هذه الياء فأضيف مقطع جديد يبدأ

(١) وينسحب هذا على أمثال كثيرة ورد فيها حرف الجر من ، وعن مثل : المكتوب ما منُّوش مهروب (minnuS) وإن كان بدك تصون العرض وتتمه ، جوِّز البنت للى عينها منُّو (minnu) ، وايش خيرك عنو (ζannu) وانت ابن عمو ، وزى ما تكون لى أكون لك ، مانتش ربّ أخاف منك (minnak) .

بالياء الثانية المتحركة بالفتح ، وأغلق المقطع بهاء السكت فصارت الصيغة : ليّه liyyah ، وبيًّه biyyah .

ويندرج تحت هذه الظاهرة ياء المتكلم عندما يضاف إليها كلمات مثل «رِجْل» فتصير : رجليَّه riglayyah ، و«إيد» فتصير : إيديَّه ídayyah ، و«عين» فتصير : عينيه ζinayyah ، وجاء هذا المثل القائل :

حسدتنى جارتى على طول رجليه

ḥasadadtni gartī ζalā ṯūl riglayya

مما سبق يتضح مسلك العامية الذى خالفت فيه الفصحى مع بعض الأسماء وبعض الأفعال ، وبعض الصفات ، وبعض الضمائر ، وبعض حروف الجر . ننتقل بعد ذلك إلى التأثير والتأثر بين صوتين متجاورين فى كلمة واحدة وأثر ذلك على حدوث الإدغام .

ثانيا : الإدغام الناشىء عن التأثير والتأثر بين صوتين متجاورين فى الكلمة الواحدة :

والمقصود بهذا النمط من الإدغام هو أن يكون الصوتان مختلفين فى المخرج أو فى الصفة ، فيحدث أن يؤثر أحدهما فى الآخر ، فيتنازل عن بعض خصائصه ، ويكتسب خصائص أخرى تجعله مماثلاً للصوت التالى له أو الصوت السابق عليه فهو كما يقول ابن جنى « تقريب صوت من صوت »[1] .

كما فى كلمة « سِت » التى كان أصلها «سدس» وجمعها «أسداس» ، فتخلت الدال عن جهرها وصارت تاءً ، وتخلت السين عن مخرجها « اللثوى » ، وصارت « أسنانية لثوية » ، وتخلت عن صفة « الاحتكاكية » وصارت « انفجارية » . فصار الوصف الجامع بينهما :

(١) الخصائص . ابن جنى . دار الكتب . ١٣٩/٢ .

أسنانى لثوى انفجارى مهموس مرقق

وبتتبع أمثلة الإدغام فى لغة الأمثال العامية وجد أنها تدور فى الأصوات التالية :

الهمزة ، والتاء ، واللام ، والواو

١ - إدغام الهمزة :

ظهر إدغام الهمزة بعد قلبها واواً أو ياءً فى كلمتى : سَوْء ، وضَوْء . فى المثلين التاليين :

الجار السوّ يحسب الداخل ما يحسب الخارج

íggār issaww yiḥsib - iddāxil, ma yiḥsib - i - lxārig

دا وشّك ولاّ ضىّ القمر

da wiSSak walla ḍayy - i - l?amar

فالهمزة : صوت حنجرى، انفجارى، لا بالمهموس ولا بالمجهور أو مهموس(١)

والـــواو : نصف حركة ، من أقصى اللسان ، شفوى مجهور

واليـــاء : نصف حركة ، حنكى ، وسيط مجهور

ففى المثال الأول . تقدم مخرج الهمزة ، فصارت قصية شفوية ، وتخلت عن « الانفجارية » وصار الهواء عند النطق بها منطلقا دون عائق ، واهتزت الأوتار الصوتية فصارت مجهورة . ومن هنا ماثلت صوت الواو السابق عليها فاجتمعت الواوان ، وأولاهما ساكنة ، فأدغمتا معًا ، وصارت الكلمة سَوّ Saww .

وانتقلت من منطقة الحنجرة إلى منطقة « الحنك الوسيط » وانطلق الهواء دون عائق ، واهتزت الأوتار الصوتية عند النطق بها ، فصارت مجهورة ، وانتقل

(١) انظر الأصوات العربية . كمال بشر ص .

- أصوات اللغة . عبد الرحمن أيوب . مطبعة الكيلانى . ط ٢ . ١٩٦٨ م . ص ٢١٧ - ٢١٨ .

مخرج الواو السابقة من « أقصى اللسان » إلى « الحنك الوسيط ، فصار ياءً ، ونظراً لتماثل اليائين أدغمتا فصارت الكلمة ضَيّ dayy ، وقس على ذلك كلمة «جَيَّة» فى المثل القائل :

أدينى حية لما أشوف اللى جية

?adinī ḥayya lamm aŠūf illi gayya

فأصل الكلمة فى الفصحى : الجائية ، تم تقصير حركة الجيم الطويلة ، وصارت فتحة ، وتخلت الهمزة عن مخرجها « وهو الحنجرة » ، وطريقة مرور الهواء ، وهى « الانفجارية » ، ووضعها المتأرجح بين الهمس والجهر ، أو الهمس وصارت ياءً ، ونظراً لهذه المماثلة الرجعية فقد تم الإدغام وصارت الكلمة جيَّة gayyah .

وتقلب الهمزة كذلك ياءً فى كلمة « الريّس » : التى كانت الرئيس فتخلت الهمزة عن مخرجها ، وصفتها الانفجارية ، ووضع الأوتار الصوتية معها وصارت ياءً ، وسكنت الياء ، ونظراً لتجاور اليائين فقد حدث الإدغام وصارت الريّس írrayyis . وذلك فى المثل القائل :

راكب بلاش ويناغش مرات الريس

rākib balāŠ wiynāξiŠ mirāt - i - rrayyis

وكذلك فى كلمة هنيئا . حيث تخلت الهمزة عن خصائصها وصارت ياءً مسبوقة بياء ساكنة، فتم الإدغام فصارت الكلمة هنيا haniyyan فى المثل القائل:

اللى غيطه على باب داره هنيّاله

ílli ξétu ζala bāb daru haniyyālu

وقد تقلب الهمزة تاءً حيث تتخلى عن مخرجها « الحنجرى » وتصبح

« أسنانية لثوية » مع احتفاظها بصفة الجهر ، ولا تهتز الأوتار الصوتية عند النطق بها ، فتصبح « تاءً » مسبوقة بتاء ساكنة ، فيتم الإدغام كما في كلمة « يتَّاكل » التى كان أصلها يتأكل yata?ākalu . فقلبت الهمزة تاءً ، وأدغمت فى التاء وصارت يتَّاكل yittākil فى المثل القائل :

مش كل الطير اللى يتاكل لحمه(١)

miS kul littér illi yittakil laḥmu

٢ - إدغام التاء :

أ - إدغام التاء فى الدال :

ورد فى كتب الصرف أن التاء تدغم فى : الطاء والدال، والظاء والذال والثاء، والضاد والجيم والشين ، والصاد والسين والزاى . والإدغام فيما يتحد معها فى المخرج (كما فى : الطاء والدال) أحسن منه فى غيرها . وقد نص ابن عصفور أن البيان أحسن إذا وقعت حروف الظاء والذال والثاء قبلها . ونص على مراتب الإدغام المختلفة مع الحروف السابقة من ناحية الحسن والقبح . فالبيان مع الضاد أحسن منه مع الصاد والسين والزاى . ومن ثم تكون أمثلة إدغام التاء فى الدال إدغامًا مقبولاً لاتحادهما فى المخرج ، فيقال فى صيغة :

اتْفَعَل : ادّش

اتفعّل : اذّور

اتفعلل : المدّقلج . ادقلج

اتفاعل : ادّارى

(١) وكذلك فى الأمثال القائلة : الحرام يتاكل بايه ، وزى ولاد الحداية لا يتاكلوا ولا يتلعب بينهم .

فأصل هذه الصيغ : اتدش ، اتدور ، المتدقلج واتدقلج ، واتدارى . فالتاء ساكنة ، تخلت عن صفة الهمس، وصارت مجهورة، فاجتمع المثلان فتم الإدغام ، وصارت إدّش íddaSS ، وادّور íddawwar ، والمدّقلج ílimiddaflag ، وادّارى íddara . فى الأمثال التالية :

مالأوش عيش يتعشوا ادشوا

mala ?ūS ζéS yitζaSSu ddaSSū

كبر البصل وادور ونسى حالو الأول

kibr ilbasal widdawwar winisí ḥālul awwal

خرطه الخراط وادّقلج مات(١)

xaratul xarrāṭ widda?lag māt

إن جاك المطر إديلو ضهرك ، وإن جاك المريس(٢) إدّارى منه

ín gakil maṭar iddīlu ḍahrak, win gakil miresi ddāra minnu

وقد تحقق هذا الإدغام حيث كان الأول ساكنًا ، والثانى متحركًا ، فاستوفت شروط الإدغام(٣) .

ب – إدغام التاء فى الجيم :

تختلف الجيم فى العامية المصرية عنها فى الفصحى ، فتأخذ أشكالاً مختلفة فى شمال مصر أو فى صعيدها ، فتنطق صوتًا انفجاريًا : هو "g" فى

---

(١) الدقلجة هى الدحرجة . مات الخراط وتدحرج إلى قبره عقب خرطه له فلا سبيل إلى عمل مثله . والمقصود بالمثل التهكم بالمعجب بنفسه المدل بحسنه .

(٢) المريس : ريح جنوبية مذمومة ، وجاءت فى مثل يقول : المريس يرمى الريس محل ما يكره » . ويقصد به أن العمل قد يأتيه الإنسان مضطرًا بحكم الحوادث .

(٣) انظر الممتع فى التصريف . ابن عصفور ٢/٧٠٢ .

القاهرة ، و "d" فى بعض مناطق الصعيد . « وكذلك فى بعض جهات اليمن شماله وجنوبه »[١] ، وتنطق احتكاكية (S) فى مناطق أخرى من محافظة الشرقية. وهى صوت قصى ، انفجارى ، مجهور .

وحين تجاور التاء جيمًا فى صيغة اتفعَّل فى كلمة مثل « اتجوز »، فإن الجيم تؤثر فى التاء ، وتغير مخرجها من « الأسنانى اللثوى » إلى منطقة أقصى الحنك وتكسبها اهتزاز الأوتار الصوتية، فتصبح «مجهورة» ومن ثم تتم المماثلة الرجعية. حيث أثر الصوت فى الصوت السابق عليه فصارت الصيغة : اجَّوِّز ، ويجَّوِّز ، واتَجَّوِّز . التى كانت اتجوز ítgawwiz ، ويتجوِّز yitgawwiz، وتتجوز titgawwiz ، فحدثت هذه التغيرات فصارت : إجّوز íggawwiz ، ويجّوّز yiggawwiz ، واتجَّوِّز tiggawwiz[٢] . وكذلك كلمة «اجَّنِّن» التى كانت «اتجنن» ، فحدث هذا التغير وصارت اجَّنِّن ígganin فى الأمثال التالية :

راح يخطبها له اتجوزها

rāḥ yuxṭub hālū ggawwizhā

اللى يجّوز اتنين يا قادر يا فاجر

ílli yiggawiz itnén ya?ādir ya fāgir

قالوا راح تجّوّزى فى بيت عيله . قالت : راح يبقى معايا لسانى واغلب[٣]

?ālū rāḥ tiggawwazi f bēt ζēlā ?ālit rāḥ yib?a mζāyal sāni waζlib

---

(١) الأصوات العربية . كمال بشر ص ١٢٨ .

(٢) وقد تقلب حركة الواو المضعفة إلى الفتح فتصير íggawwaz .

(٣) وكذلك فى مثل : اللى يجّوز أمى أقوله يا عمى ، واللى يجّوز ستى أقوله يا سيدى .

قالوا لجحا : مرات أبوك بتبحك ، قال : هيّه اجْننت[1]

?ālul gaḥam rātabūk bit ḥibbak, ?āl hiyya ggan ninit

جـ – إدعام التاء فى الشين :

وتدغم التاء فى الشين أيضًا رغم عدم تقارب المخرج ، إلا أن التاء لحقت الشين لتفش مخرجها كما يقول ابن عصفور حيث ينطبق ما قاله عن الدال على التاء . يقول مبررًا إدغام الدال فى الضاد والشين . « أما الضاد والشين ، فإنهما وإن لم تقارباها فى المخرج فإن التقارب بينهما وبينها من حيث لحقت الضاد باستطالتها ، والشين بتفشّ مخرجها »[2] وقد أدغمت التاء فى الشين فى صيغة اتفعَّل فى كلمتين هما :

اشَّطَّر ، واشَّرَّف . فالشين صوت :

لثوى حنكى   احتكاكى   مهموس

ومن ثم تأثر صوت التاء بالخصائص الصوتية لصوت الشين ، فتأخر مخرجه من منطقة « الأسنان واللثة » ، إلى منطقة « اللثة والحنك » ، وتخلت التاء عن صفة الانفجار التى تتمتع بها ، وأصبحت احتكاكية ، والصوتان يشتركان فى عدم اهتزاز الأوتار الصوتية ، فهما مهموسان ، وكذلك صفة الترقيق . ومن ثم يكون التطور فى هاتين الكلمتين على النحو التالى :

اتشطر	ítSaṭṭar	التى صارت :	اشَّطَّر	íSSaṭṭar
واتشرف	ítSarraf	التى صارت :	اشَّرف	íSSarraf[3]

---

(١) وقس على ذلك أفعالا مثل : اجَّمع íggamaʕ ، اجَّبر íggabar ، اجَّرَّف íggaraf ، واجَّلف íggalaf ، واجَّنب íggaanab ... إلخ .

(٢) الممتع فى التصريف . ابن عصفور ٧٠٢/٢ .

(٣) وقس على ذلك أمثلة أخرى مثل : اشَّتم íSSatam ، واشَّحت íSSahat ، واشَّخَط فيه íSSaaxaṭ fíh ، واشَّرح íSSaaraḥ ... إلخ .

د - إدغام التاء فى الصاد :

والصاد صوت : لثوى احتكاكى مهموس مفخم

ووقعت التاء قبل الصاد فى صيغة اتفعَّل فى : اصَّدَّر ، ويصَّبَّح ويصَّدَّأ . وصيغة تفاعل في : نِصَّالِح .

فقد تأخر مخرج التاء من منطقة « الأسنان واللثة » إلى منطقة « اللثة » ، وتخلى عن خاصة الانفجار وأصبح احتكاكيًا ، وتخلى عن صفة الترقيق وأصبح صوتًا مفخمًا ، واحتفظ بخاصة الهمس التى يشترك فيها مع الصاد ؛ ومن ثم اجتمع مثلان يوصفان بأنهما : لثويان ، احتكاكيان ، مهموسان ، مفخمان ، وتم إدغامهما على النحو التالى :

اتصدَّر	ítsaddar	التى صارت :	اصَّدَّر	íṣṣaddar
يتصبَّح	yitṣabbaḥ	التى صارت :	يصَّبَّح	yiṣṣabbah
يتصدأ	yitṣadda?	التى صارت :	يصَّدَّأ	yiṣṣadda?
نتصالح	nitṣaliḥ	التى صارت :	نِصَّالِح	niṣṣalih

فى الأمثال التالية :

يا با علمنى الهيافة ، قال لو تعالى فى الهايفة واصَّدَّر(١)

yābā ζallam nil hayáfā, ?allū taζáfil hayfa wiṣṣaddar

---

(١) وقس على ذلك :

اللى يصَّبَّح بيه يبيع ولاده

ílli yiṣṣabbah bih yibiζ wilādū

اللى يصَّدَّأ بيه العويل يلحسو

ílli yiṣṣadda? bul ζawīl yilḥasū

تعالى نتقابح وبكره نصَّالح

taζa nit?abiḥ wubokra niṣṣaliḥ

هـ - إدغام التاء فى الضاد :

وتتفق التاء مع الضاد فى **المخرج** فهما من منطقة « الأسنان واللثة » ، وفى طريقة مرور الهواء فهما انفجاريان ، إلا أن التاء مهموسة ، والضاد مجهورة ، والتاء مرققة ، والضاد مفخمة . فإذا اجتمعت التاء والضاد فى صيغة مثل اتفعَّل ، فإن التاء تتخلى عن الهمس وتصبح مجهورةً ، وتتخلى عن الترقيق وتصبح مفخمة . ومن ثم يتم اجتماع مثلين عن طريق المماثلة الخلفية ، ويتم الإدغام بينهما فى كلمة مضَّلَّف التى كانت مِتْضَلَّف ، mitdallaf ، وحدث الإدغام فصارت مِضَّلَّف midḍallaf فى المثل القائل :

المضّلّف(1) يقول الرزق على الله

ílmiddalaF yu?ul irriz?i ʕalal lah

و - إدغام التاء فى الكاف :

لم يرد فى أمثلة الفصحى ذكر لإدغام التاء فى الكاف ، حيث أشارت كتب الصرف إلى إدغامها فى أصوات من مخرجها ، أو أصوات مما بين الأسنان (ظ - ذ - ث) أو أصوات وسط الحنك (ض - ج - ش) أو الأصوات الصفيرية (س - ز - ص) أو صوت اللام[2] . وإن كان المبرد قد علل ذلك بكونها من حروف الفم وطرف اللسان . وصوت الكاف صوت حنكى قصى انفجارى مهموس .

فقد أثر فى صوت التاء ، فنقل مخرجها إلى الخلف ، من منطقة « الأسنان واللثة » إلى منطقة « أقصى الحنك » . واحتفظت بصفة الانفجار والهمس

---

(1) الذى أكل فى الصباح وملأ بطنه فإنه يكسل عن السعى فى طلب الرزق .

(2) انظر الممتع فى التصريف ٢/٧١٥ - ٧١٦ .

والترقيق التى تتفق فيها مع الكاف ، ومن ثم اجتمع المتماثلان اللذان جاءا عن طريق المماثلة الخلفية ، وحدث الإدغام فى صيغة : اتفعَّل : عنــدما تكـون فاؤها « كافا » فى كلمة : اكَّلَّم التى كانت اتكلَّم ítkallam ، وصارت اكَّلم ikkallam فى المثل القائل :

اللى يعملو الضيف يكَّلِّم بيه الحِلِّى

ílli yiζmilu ḍḍéf yik̲k̲allim bīh il ḥillī

بقيت صور أخرى لإدغام تاء اتفعّل فى الباء ، والتاء للمماثلة ، والزاى والسين ، والضاد ، والطاء ، والزاى المفخمة فى أفعال مثل :

* بخّر : ابَّخر[1] : íbbaxxar baxxar

فتقدم مخرج التاء إلى الشفوية ، وتخلت عن الهمس وأصبحت مجهورة ، وتم الإدغام لحدوث المماثلة الرجعية .

* تَلّج : اتَّلّج [2] : tallig : íttallig

فحدث الإدغام لحدوث المماثلة بين الحرفين اللذين أولهما ساكن .

* زعّل : ازَّعّل[3] : zaζζal : ízzaζζal

فتأخر مخرج التاء فصار لثويا ، وتخلت التاء عن صفة الانفجار والهمس وصارت احتكاكية مجهورة .

---

(١) وقس على هذا الفعل : بأعَ ، بدّد ، بدّل ، بسَّط ، بَعّد ... إلخ . التى تصير : ابَّأع وابَّدّد ... إلخ .

(٢) ومثل ذلك : تَبَّل ، تمّم ، وتوج . التى تصير : اتَّبَّل ، واتَّمّم ، واتوَّج .

(٣) ومثل ذلك : زرّر ، زفّت ، زنّب ، زهّأ .. التى تصير : إزَّرّر ، وازَّفّت ، وازَّهّأ .

* سبّت : اسّبّت(١) : sabbat : issabbat

فتأخر مخرج التاء وصار لثويا ، وتخلت عن الانفجار وصارت احتكاكية مهموسة .

* ضيّع : اضّيّع (٢) : ḍayyaζ : iḍḍayyaζ

حيث تخلت التاء عن همسها ، وترقيقها وصارت مجهورة مفخمة .

* طور : اطّور(٣) : ṭawwar : iṭṭawwar

حيث تخلت التاء عن ترقيقها ، وصارت مفخمة .

* ظبّط : اظّبّط(٤) : ẓabbat : iẓẓabbat

حيث تقدم مخرج التاء وصار مما بين الأسنان ، وتخلت عن الانفجار والهمس والترقيق ، وصارت احتكاكية مجهورة مفخمة .

ومن هنا تكون التاء فى صيغة اتْفَعَل ، أو اتفعَّل . مقابلة لتاء الافتعال فى الفصحى ، وأدغمت فى كل ما أدغمت فيه الفصحى ، وزادت عليه إدغامها فى حرف الباء والكاف ولم تدغم فى اللام .

وينطبق هذا على صيغة فعل سواء كانت عينه ولامه من جنس واحد أو لم يكونا من جنس واحد . حيث وقع إدغام تاء : « اتفعل » فى فاء الفعل على نحو ما مضى فى الجدول التالى :

---

(١) ومثل ذلك : سخّر ، وسخّم ، وسخّن ، وسطّر ... التى تصير : اسّخّر ، واسّخّن . واسّطّر .

(٢) ومثل : ضعّف ، وضلّم ، وضهّر ، وضيّف ... التى تصير : اضّعف ، واضّلّم ، واضّهر ، واضّيّف .

(٣) ومثل ذلك : طرّم ، وطفّش ، وطلّع ، وطمّن ... إلخ . التى تصير : اطّرّم ، واطّفّش ، واطّلّع ...

(٤) ومثل ذلك : ظفرّ ، وظهّر . التى تصير : اظّفّر ، واظّهر .

فاء الفعل	جنس العين واللام واحد				جنس العين واللام مختلف			
ب	بلّ	ball	ابّل	íbbal	بلع	balaζ	ابّلع	ibbalaζ
ت	تفّ	taff	اتّف	íttaff	تأب	ta?ab	اتّأب	ítta?ab
ج	جرّ	garr	اجّر	íggarr	جرح	garaḥ	اجّرح	íggaraḥ
د	دشّ	daSS	ادّش	íddaSS	دهن	dahan	ادّهن	íddahan
ز	زفّ	zaff	ازّف	ízzaff	زرع	zaraζ	ازّرع	ízzaraζ
س	سفّ	saff	اسّف	íssaff	سجن	sagan	اسّجن	íssagan
ش	شدّ	Sadd	اشّدّ	íSSadd	شرح	Saraḥ	اشّرح	íSSaraḥ
ص	صبّ	ṣabb	اصّبّ	íṣṣabb	صدم	ṣadam	اصّدم	íṣṣadam
ض	ضرّ	ḍarr	اضّرّ	íḍḍar	ضرب	ḍarab	اضّرب	íḍḍarab
ط	طخّ	ṭaxx	اطّخ	íṭṭaxx	طرد	ṭarad	اطّرد	íṭṭarad
ظ	ظنّ	ẓann	اظّنّ	íẓẓann	ظبط	ẓabaṭ	اظّبط	íẓẓabaṭ
ك	كبّ	kabb	اكّب	íkkabb	كسف	kasaf	اكّسف	íkkasaf

٣ - إدغام الدال :

إدغام الدال فى التاء :

وإدغام الدال فى التاء لا غرابة فيه حيث ينتميان إلى نفس المخرج ، ويتمتعان بنفس الصفات الصوتية فيما عدا الجهر فى الدال والهمس فى التاء . وقد وقع هذا فى كلمة « خَدْ »(١) حينما تسند إلى تاء المتكلم فى « ختّك » فقد كان أصل هذه الكلمة خَدْتَك xadtak ، فتخلت الدال عن خاصية الجهر . وصارت

(١) بمعنى أخذ .

مهموسة فاجتمع المثلان الناشئان عن المماثلة الخلفية وتم الإدغام فصارت الكلمة ختَّك xattak فى المثل القائل :

خَتَّك على كبر شالك باحسبك تنبة . اجرنك زى الكلاب داير من كل دار سندة

xat̲t̲ak ʕalā kobri Šalak bahsibak tambā, ?agrannak zayy ikkilab dāyir min kul dār sanda

وكذلك فى كلمة « ستى » التى كان أصلها : سيدتى sayyidati . فحذفت الياء المشددة ، واقترنت الدال بالتاء ، وفصل بينهما حركة الفتح القصيرة ، فتخلت الدال عن جهرها وصارت مهموسة ، وحذفت الحركة القصيرة الفاصلة ، وهى الضمة ، فاجتمع مثلان أولهما ساكن فتم الإدغام فصارت : sitti كما فى المثل القائل :

ما أسخم من سيدى إلا ستى

masxam min sīdilla sit̲t̲ī

٤ - إدغام الفاء فى الصاد :

والصاد صوت : لثوى ، احتكاكى ، مهموس ، مفخم .

والفاء صوت : أسنانى شفوى ، احتكاكى ، مهموس ، مرقق .

فالصوتان يتفقان فى صفة الاحتكاكية ، والهمس ، ويختلفان فى المخرج ، وحالة التفخيم والترقيق . وقد وردت الفاء بعد الصاد فى كلمة نصف ، فأثرت الصاد فى الفاء ، حيث تأخر مخرج الفاء فصار لثويًا ، واكتسب صفة التفخيم .

ومن ثم اجتمع متماثلان عن طريق المماثلة التقدمية ، وحدث الإدغام وصارت على النحو التالى :

نصف nisf – نُصّ nuss . وجاء هذا فى المثل التالى :

ما يغرّك رُخْصُو ترمى نُصُّو(١)

mayǧorrak ruxsū tirmi nossū

٥ - إدغام اللام :

والمقصود باللام هنا اللام الواقعة فى « أل » التى للتعريف ، وتدغم هذه اللام فى « ثلاثة عشر حرفًا ، لا يجوز إظهارها معها لكثرة ورودها فى الكلام وهى : النون ، والدال ، والذال ، والتاء ، والثاء ، والصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء ، والزاى ، والسين ، والشين ، والراء كقولك: الناصر ، والراحم ، والدّاعى، والثابت ، والصراط ، والصاحب ، وما أشبه ذلك »(٢) ويرتب ابن عصفور هذه الحروف من ناحية الأولوية على النحو التالى(٣) : الراء ، (والطاء ، والتاء ، والدال) ، و (السين ، والصاد ، والزاى) ، و (الظاء ، والذال ، والثاء) ، و (الضاد ، والشين ، والنون) . ويذكر ابن عصفور أن إدغامها فى النون « دون ذلك كله ، البيان أحسن منه »(٤) وبتتبع أمثلة إدغام اللام فى لغة الأمثال موضع الدراسة وجد أن اللام تدغم فى الأصوات التالية :

(الطاء ، والتاء ، والدال) وهى أصوات أسنانية لثوية . وهى نفس مخرج اللام. كما فى كلمات : الطير ، والتفكير ، والدبلاوى ، فتخلت اللام عن صفة

---

(١) ومن ذلك : الجرى نص الشطارة ، وشمسك نص الليل ، وفاته نص عمرو .

(٢) انظر : الجمل فى النحو . الزجاجى ص ٤١٥ – ٤١٦ .

المبدع فى التصريف . لأبى حيان الأندلسى . تحقيق عبد الحميد طلب . ١٩٨٢ م . ص ٢٦٦ – ٢٦٧ .

(٣) الممتع فى التصريف . ابن عصفور . ٢/٦٩٣ – ٦٩٤ .

(٤) السابق ٢/٦٩٤ .

الجانبية والجهر واكتسبت التفخيم مع الطاء . فى المثل القائل :

لو كان فيه خير ما كان رماه الطير[1]

law kān fiĥxér makān ramāhi ṯṯér

وتخلت اللام عن صفة الجهر والجانبية ، وأدغمت فى التاء فى كلمة «التفكير» فى المثل القائل :

العبد فى التفكير والرب فى التدبير[2]

ílζabdi fi ṯtafkír wirrabbi fittadbír

وتخلت اللام عن صفة الجانبية ، وأدغمت فى الدال فى كلمة « الدبلاوى » فى المثل القائل :

آمنوا للبداوى ولا تآمنوا للدُبلاوى[3]

?amnū lil baddāwī walat ?amnū liddiblāwī

---

(١) وقس على ذلك كلمة « الطاحونة » ittahūna فى « الطاحونة الخربانة ولا الرحاية الشغالة » ، والطايبة ittayba فى: «الطايبة لحنكك والنيَّة لصاحبها» . والطبع ittabζ فى : « الطبع والروح فى جسد » ، والطريئة: ittari?a فى : « الطريقة تجيب العاصى » والمقصود بالطريقة : هو طريق التصوف أى سلوك طريق التصوف يكبح جماح العاصى ويقوده ، والطشاش ittaSāS فى : «الطشاش ولا العمى» ، والطلب íttalab فى : الطلب الهين يضيِّع الحق البيِّن . والطمع íttamaζ فى : « الطمع يقل ما جمع »، والطول íttūl فى : « الطول ع النخل والتُّخْن ع الجميز » ، والطينة ittina فى : « الطينة م الطينة واللتَّة م العجينة » ... إلخ .

(٢) وقس على ذلك كلمات مثل : التاجر íttāgir فى : « التاجر لما يفلّس يدوّر فى دفاترو الأديمة » ، والتخن íttoxn فى : و« التخن ع الجميز » . والتَّعبَان ittaζban فى : « التَّعْبَان من رفيقه يُوَسَّع » ، أى الذى تعب وضجر من صاحبه عليه أن يفارقه ، والتؤل itto?l فى : « التؤل صنعة » . والتمر íttamr فى : « التمر ما يجيبوش رسايل » .

(٣) وقس على ذلك كلمات مثل : الدار íddār فى : « الدار دارنا والأمَر جارنا » والدِّبَّان íddibbān فى : « الدبَّان وقعته فى العسل كتير » ، والدُّرَّه íddorrah فى : « الدُّرة تعدل العَصَبَة » ، ومعناه أن وجود الضُّرة يحمل ضرتها على التجمل . والدناوة iddanāwa فى : « الدناوة طبع » ، والدنيا íddinya فى : « الدنيا دولاب داير » .

أما المجموعة الثانية وهى أصوات السين والصاد والزاي ، والزاى المفخمة (المنقلبة عن الظاء فى الفصحى) فهى من منطقة اللثة ، فهى أصوات لثوية ، مما جعل اللام تتأخر من ناحية المخرج ، وتتخلى عن منطقة الأسنان ، وتصبح لثوية فقط . وتخلت كذلك عن صفة الجانبية وصارت احتكاكية ، وتخلت عن الجهر مع السين فى كلمة « السما » فى المثل :

آدى السما وآدى الأرض[١]

?ādi ssamā wādil ?arḍ

وتخلت اللام عن الجهر واكتسبت التفخيم مع الصاد فى كلمة « الصيت » فى المثل :

الصيت ولا الغِنى[٢]

íṣṣīt wala lζinā

وتخلت اللام عن الجانبية واكتسبت الاحتكاك مع الزاى فى كلمة : الزيت فى المثل :

الزيت إن عازه البيت يحرم ع الجامع[٣]

ízzét in ζāzul bēt yiḥram ζaggāmiζ

---

(١) وقس على ذلك : الساعى issāζi فى : « الساعى فى الخير كفاعله » ، والساكن íssākin فى : «الساكن عدو ماكن» ، والسبع issabζ فى : «السبع سبع ولو فى أفص» . والست issitt فى : «الست والجارية على صحن بسارية» . والسجرة íssagarah فى : «السجرة اللى تضِل عليك ما تأطعهاش» .

(٢) ومثل ذلك الصابون íṣṣabūn فى : «الصابون كتير ، بس اللى يغسل» ، والصاحب íṣṣāhib فى : «الصاحب اللى يخسرّ هوّه العدو المبين» . والصبر íṣṣabr فى : «الصبر طيّب ، بس اللى يرضى بيه» ، والصوت iṣṣōt فى : «الصوت عالى والفراش خالى» ، أى : شديد الجلبة ولا يكاد يرى فى فراشة من شدة نحوله .

(٣) ومثل ذلك كلمة : الزبدة izzibda فى : «الزبدة ما تطلعش إلا بالخض» ، والزرع ízzarζ فى : «الزرع أخضر والناس أخبر » أى : أنه حديث النعمة والناس أدرى به . والزعرة izzaζrah فى : «الزعرة ينشّ عنها المولى» ، والزأل ízza?l فى : الزأل بالطوب ولا الهروب » ، والزمّار ízzammār فى : «الزمار ما يخبيش دأنه» .

وتخلت اللام عن الجانبية ، واكتسبت التفخيم مع صوت الزاى المفخمة فى كلمة «الظن» فى المثل القائل :

الظنّ السوّ يودى جهنم(١)

íẕẕann issawwi ywaddi ghannam

أما **الراء** فهى صوت : لثوى مكرر مجهور

فإذا دخلت لام التعريف عليها فإن اللام تتأخر فى مخرجها فبدلا من كونها « أسنانية لثوية » تصبح « لثوية » ، وتتخلى عن صفة «الجانبية» وتصبح «تكرارية» ، وتجاور الراء فيحدث فيها الإدغام كما فى كلمة: «الراجل» فى المثل :

الراجل زى السيفة تنكسر وتنآم(٢)

íṟrāgil zayyissīɛa tinkisir witin?ām

والنون صوت : أسنانى لثوى أنفى مجهور

فإذا دخلت لام التعريف عليها ، فهما من نفس المخرج « أسنانى لثوى » وتتخلى اللام عن صفة «الجانبية» إلى صفة «الأنفية» وتدغم فى النون كما فى كلمة «النهاردة» فى المثل :

احيينى النهاردة ، وموتنى بكرة(٣)

íḥyyīni n̲n̲ahardaw mawwitni bokra

---

(١) ومثل ذلك كلمة: الظاهر iẕẕāhir فى : «الظاهر لنا والخافى على الله» ، والظراط iẕẕurat فى : «الظراط شبع» . أى : إذا صدر عن شخص دل على أنه شبعان ، والظالم iẕẕalim فى : «الظالم عليه الله» .

(٢) ومثل ذلك كلمة : الرايب íṟrāyib فى : «الرايب ما يرجعش حليب» والرَّحَى íṟraha فى : «الرحى ما تدور إلا على ألْب حديد» . والرِّجل íṟrigl فى : «الرجل تدب مطرح ما تحب» ، والرِّدا iṟrida : أى : الثياب وهى من الرداء ، فى : «الرِّدا طويل واللى جواه عويل» . والرزق íṟriz? فى : «الرزق يحب الخفيّة» .

(٣) ومثل ذلك كلمة : النار ínnār فى : «النار تخلِّف رماد» ، والنَّاس ínnās فى : «الناس بالناس والكل على =

والشين صوت : لثوى حنكى - احتكاكى مهموس

فإذا دخلت لام التعريف عليها تأخر مخرجها من « الأسنانية اللثوية » إلى « اللثوية الحنكية » ، وتخلت عن صفة «الجانبية» وأصبحت «احتكاكية» ، وتخلت عن صفة «الجهر» وأصبحت «مهموسة» . ومن ثم يتم الإدغام كما في كلمة «الشياطين» في المثل :

إذا حضرت الملايكة ذهبت الشياطين[1]

íza hadaritil malaykā zahabit iSSayātin

هذه هى الأصوات التى اتفقت فيها لغة الأمثال العامية مع الفصحى ، بقى هناك عدد آخر من الأصوات تفردت بها العامية المصرية ، وظهرت فى لغة الأمثال ، وهى : الكاف ، والجيم ، والقاف ، واللام .

فالكاف صوت : حنكي قصى انفجارى مهموس

فإذا دخلت عليها لام التعريف تأخر مخرجها من منطقة « الأسنانية اللثوية » إلى منطقة « أقصى الحنك » ، وتخلت اللام عن صفة « الجانبية » وصارت « انفجارية » ، وتخلت عن صفة «الجهر» وصارت «مهموسة» ، ومن ثم يتم الإدغام كما فى كلمة «الكُبَّة» فى المثل :

= الله » ، والناءة inna?ah فى : «الناءة العويلة سلبتها طويلة» ، والسلبة هى : الحبل الذى تربط به أى من شعر بالصغار فى نفسه كمّل نفسه بما لا يفيد ، والنجوم ínnugūm فى : «النجوم فى السما أأرب لك»، والنسب ínnasab فى : «النسب أهليَه» ، والنعمة ínniƹmah فى : «النعمة تئيلة» أى : تبطر من تأتيه بعد عوز .

(١) ومثل ذلك كلمة الشاطرة íSSatrah فى : «الشاطرة بتغزل برجل حمار» ، والشبّ íSSabb فى : «الشبّ بسعدو ولا أبوه ولا جده» ، والشحّات íSSahhat فى : «الشحات له نص الدنيا» ، والشرا íSSira فى : «الشرا يعلّم البيع»، والشرط íSSart فى : «الشرط عند الحرت نور» ، والشريك íSSirīk فى : «الشريك المخالف إخْسَر وحَسَّره» .. إلخ .

ابن الكُبَّة طلع الأبة ، وابن اسم الله خده الله[١]

ibn ikkobba tiliζ il?ōbba wibni smalla xadulla

. – **والقاف** صوت : لهوى انفجارى مهموس

فإذا دخلت عليها لام التعريف تأخر مخرجها من منطقة « الأسنانية اللثوية » إلى منطقة « اللهاة » ، وتخلت عن صفة «الجانبية» وصارت «انفجارية» ، وتخلت عن «الجهر» وصارت «مهموسة» ، ومن ثم يتم إدغامها فى القاف كما فى كلمة «القانون» مثل :

القانون ما يعرفش أبوه[٢]

íqqanūn mayiζrafS abuh

والجيم صوت : قصى انفجارى مجهور

فإذا دخلت عليها لام التعريف تأخر مخرجها إلى منطقة « أقصى الحنك » وتخلت عن صفة «الجانبية» إلى صفة «الانفجارية» ، وأدغمت فى الجيم كما فى كلمة « الجرن » فى المثل :

اللى تحبل فى الفرن تولد فى الجرن[٣]

ílli tiḥbal fil forn tiwlid fi ggorn

---

(١) الكبة هى : الورم الحادث من الطاعون . والمقصود بالمثل : لا عبرة إلا بالمكتوب المقدر .

(٢) ومثل ذلك كلمة : الكار ikkar فى : «الكار محنة» ، أى : كل مغرم بصنعته إلى أقصى حد ، والكبر íkkabar فى : «الكِبر كِبرنا والعقل ما عثلنا» ، والكتاب ikkitab فى : «الكتاب انكتب والمهر على الله» ، والكُترة íkkotra فى : «الكترة تغلب الشجاعة» ، والكِدْب íkkidb فى : «الكدب مالوش رجلين» ، والكلام íkkalām فى : «الكلام الطيب ينجى» أى : يخضع ، ويحمل النفس على القبول والرضا .

(٣) ويظهر ذلك فى كلمات احتفظت بالقاف فى اللهجة المصرية مثل : القرآن íqqur?ān ، والقاموس íqqamūs ، والقبايل íqqabāyil ، والقرطاسية íqqirtasyah ... إلخ .

وإذا دخلت لام التعريف على كلمة تبدأ بصوت **اللام** كانت المماثلة التامة ، في المخرج ، وطريقة مرور الهواء ، ووضع الأوتار الصوتية ، والأول منهما ساكن والثاني متحرك فيتم الإدغام بينهما كما في كلمة « اللسان » ، في المثل :

اللسان عدو الأفا(١)

íllisān ζadiwil ?aFa

مما سبق يتضح أن إدغام لام التعريف في لغة الأمثال يطابق إدغامها في اللغة الفصحى في الكلمات التي تبدأ بأصوات : الطاء ، والتاء والدال ، والسين والصاد، والزاي ، والزاي المفخمة المنقلبة عن الظاء الفصيحة ، والضاد، والراء، والنون، والشين . وكذلك صوت اللام . واختلفت عنها في الإدغام مع أصوات: الظاء، والذال، والثاء، وهي أصوات ليست موجودة في العامية المصرية . وظهر الإدغام في لغة الأمثال الشعبية بشكل يخالف الفصحى في مجموعة أخرى من الأصوات هي : الكاف، والقاف، والجيم . وفي هذه الأمثلة : تأخر مخرج اللام من «الأسنانية اللثوية» ، إلى «اللثوية» ، أو « اللثوية الحنكية » ، أو « الحنكية القصية » ، أو « اللهاة » . وتخلت اللام عن صفة الجانبية واكتسبت صفات أخرى كـ «الانفجارية» أو « الاحتكاكية » وتخلت عن « الجهر » واكتسبت « الهمس » . واكتسبت مع بعض الأصوات المفخمة صفة التفخيم .

٦ - إدغام الواو

أ - إدغام الواو في التاء :

تذكر كتب الصرف أن الواو لا تدغم إلا في الياء « لاجتماعها معها في الإعلال واللين ، ولا تدغم في شيء مما يقاربها ، لأنها حرف علة ، والمقارن لها

(١) ومثل ذلك كلمة : اللبس íllibs في : «اللبس ما ينطلي إلا على أصحابو»، واللحم íllaḥm في: «اللحم إن نَتِّن له أهله» ، واللأم íllu?am في : «اللأم تمنع النقم» ، أي : الاحسان واطعام الفقير يرد المصائب ، واللّيل íllél في: «الليل ما هو قصيَّر إلا على اللي ينامو»، واللّيِن íllayyin في: «اللّيِن ما ينكسرش» .

حروف صحيحة وهى : الميم والباء والفاء »[1] . وحروف العلة لا تدغم فى حروف الصحة ، ولا يدغم فيها من غيرها إلا النون .

وتظهر لغة الأمثال حالة من حالات إدغام الواو فى صيغة اتفعل فى الفعل المثال الواوى الفاء وهو : وكل ، وفق . فعند صياغة هذه الصيغة تكون : اتوكل ، واتوفق .

فتتخلى الواو عن مخرجها وهو « أقصى اللسان والشفة » وتتقدم إلى منطقة « الأسنان واللثة » وتتخلى عن صفة « إطلاق الهواء » إلى صفة « الانفجارية » وتتخلى عن صفة « الجهر » إلى صفة « الهمس » فتتفق بذلك مع صوت التاء عن طريق المماثلة التقدمية وتصبح الصيغتان اتّكل ، واتفق فى المثلين :

نغسل غسيل هلس ونِتّكِل ع الشمس

niξsil ξasil halsiw nit__**t**__**ikil ξaSSams**

صاحب ومال ما يِتّفش

ṣāḥib wi māl ma yit__**t**__**ifi?S**

وقد وافقت العامية المصرية بالتالى لغة الأمثال الشعبية الفصحى فى هذه الجهة ، فهناك أفعال مثل : اتجه íttagah واتعظ íttaξaẓ واتصل íttaṣal : إدغمت فيها الواو فى التاء . وإن كان الفرق هو أصل الصيغة حيث هى فى الفصحى : على وزن افتعل : فتكون اوتجه ، واوتعظ ، واوتصل . بينما هى فى اللهجة على وزن اتفعل فتكون : اتوجه ، واتوعظ ، اتوصل ، فتكون فى الفصحى مماثلة رجعية ، بينما هى فى العامية مماثلة تقدمية .

---

(١) الممتع فى التصريف ٢/٧١٠ . وانظر المبدع فى التصريف ٢٧٣ .

ب - إدغام الواو فى الياء :

حيث يتقدم مخرج الواو ، ويصبح من منطقة « وسط الحنك » بدلاً من منطقة « أقصى اللسان والشفة » لتجاور الياء ، ويتم الإدغام بينهما كما فى كلمة «الدىّ» التى كانت «الدّوى» عن طريق المماثلة الرجعية فى المثل :

الدّىّ عل لودان أمر من السحر

íddayyi ʕal widān ?amarri missiḥr

ثالثا : الإدغام الناشىء عن تجاور صوتين فى كلمتين متجاورتين :

يُلْقَى المثل عند الاستعمال ، متصل الكلمات ، وتختص العامية بخاصة الاستغناء عن العلامة الإعرابية فى آخر الكلمة . ونظراً لهذين العاملين فقد أصبح استخدام اللغة العامية وتقسيمها مقطعياً غير قاصر على الكلمة المفردة - المنتهية بالساكن - بل أصبح مشتملاً على المنطوق ككل ، بحيث توصل آخر الكلمة بأول الكلمة التالية ، ويسقط فى الوسط ما لا ضرورة له مثل :

قضيت العمر فى أهر . هوه العمر كام شهر

?aḍētil ʕomri F ?ahr huwwal ʕomri kam Sahr

حيث تم حذف همزة الوصل فى « ال » التعريف : العمر ، وتقصير الحركة الطويلة فى حرف الجر : فى ، والحركة الطويلة فى كلمة : كام .

وقد انعكس هذا على ظاهرة الإدغام عند التقاء الصوت الأخير من الكلمة الأولى مع الصوت الأول من الكلمة الثانية ، ليتم بذلك الإدغام إن توافرت شروطه. وهذان الصوتان قد يكونان من جنس واحد ، وقد يكونان مختلفين على النحو التالى :

١ - الصوتان من جنس واحد :

ويحدث ذلك إن كان الحرف الأخير من الكلمة ، والحرف الأول من الكلمة التالية لها من جنس واحد كأن يكونا :

* **الباء** : كما فى :

اللى تغلب به العب به(١)

ílli tiξlibbu lζabbu

فالتقت « باء » لام الفعل : تغلب ، و« باء » حرف الجر . والأولى ساكنة والثانية متحركة ، فتم الإدغام وكذلك الباء فى « العب » والباء فى حرف الجر «به». وجاءت الباء الأولى مغلقة للمقطع الطويل المغلق lib . وجاءت الباء الثانية بادئة مقطعًا جديدًا وهو المقطع القصير "bu" .

* **التاء** : كما فى :

أم القعود فى البيت تعود

?om mil ?uζūd fil bét tuζūd

فالتاء فى كلمة « البيت » التقت وتاء حرف المضارعة فى الفعل « تعود » وقد أغلقت التاء الأولى المقطع المديد "bét" ، وبدأت التاء الثانية المقطع القصير "tu"(٢) .

---

(١) وقس على ذلك الباء فى « يتعاجب » و« بريشة » فى : «زى الطاووس يتعاجب بريشة» ، الباء فى : « اضرب » و« بلسانى » فى : «قاعدة ع لبرانى واضرب بلسانى» ، والباء فى «يلعب» و« بها » فى : «اللى يقول لمراته يا عورة تلعب بها الناس الكورة » .

(٢) وقس على ذلك التاء فى : « البيت » و« تحرم » فى : «حصيرة البيت تحرم ع الجامع» ، والتاء فى «راحت» و« تأخذ » فى : «راحت تاخد بتار أبوها رجعت حبلة» ، والتاء فى « تبات » و« تشتر » فى : «زى غنم العرب تبات تَشْتَرّ» .

* **الدال** : كما فى :

كل برغوت على أد دمُّه

kulli barξūt ζala ?ad dammu

فأغلقت الدال فى كلمة « أد » المقطع الطويل المغلق "ad?" . وبدأت الدال الثانية المقطع الطويل المغلق التالى "dam" .

* **الشين** : كما فى :

زى الفريك ما يحبِّش شريك

zayyil firiǩ mayḥibbiS Siriǩ

فأغلقت الشين الأولى فى كلمة « ما يحبّش » المقطع الطويل المغلق "biS" وبدأت الشين الثانية المقطع القصير التالى "Si" .

* **الفاء** : كما فى :

خواتم ترصف فى إدين تقرف

xawātim turṣif fi?dén ti?rif

فجاءت الفاء الأولى فى كلمة « ترصف » والتقت بالفاء فى حرف الجر «فى» فأغلقت الأولى المقطع الطويل المغلق "ṣif" وبدأت الثانية المقطع الطويل المغلق : fi? .

* **اللام** : كما فى :

اللى يفتح بابنا ياكل لبابنا

ílli yif taḥ babnā yākul lubabna

فالتقت اللام الأولى فى كلمة « ياكل » واللام الثانية فى كلمة « لبابنا » فحدث

الإدغام ، وأغلقت الأولى المقطع الطويل المغلق "kul" وبدأت الثانية المقطع القصير "lu"[1] .

* **الميم** : كما فى :

جهنم ما فيها مراوح

gihannam ma fihamarāwih

فالتقت الميم الأولى فى كلمة « جهنم » بالميم الثانية فى كلمة « ما » وأغلقت الأولى المقطع الطويل المغلق "nam" وبدأت الأولى المقطع القصير التالى "ma"[2] .

* **النون** : كما فى :

هوّه كل من نَفَخ طبخ

huwwa kull min nafax ṭabax

فأغلقت النون الأولى المقطع الطويل المغلق "min" وبدأت النون الثانية المقطع القصير[3] .

* **الواو** : كما فى :

قالوا لجحا عد غنمك آل واحدة نايمة وواحدة آيمة

?ālul goḥa ʕidd-i- ɣanamak ?āl waḥda naymaw wahda ?ayma

---

(١) وقس على ذلك اللام فى « أقول » و « له » فى : «أأول له أغا يقول ولادو كام»، واللام فى « بيفتل » و «لك» فى: «اللى قيِّدنى بيفتل لك» ، واللام فى « عامل » و « لمونه » فى : «عامل لمونة فى بلد أرفانة» .

(٢) وقس على ذلك الميم فى « عندكم » و « ما » فى : «خالتى عندكم ما جتش» ، والميم فى « الهم » و « موش » فى : «رضينا بالهم والهم موش راضى بينا» ، والميم فى : «عاشم» و «ما» ، والميم فى : «تم» و «ما» فى المثل : «عاشم ماريحونا ، ما تم ما ورّثونا» .

(٣) وقس على ذلك النون فى « تهين » والنون فى « نفسك » فى : «هين إرشك ولا تهين نفسك» وكذلك النون فى « إن » والنون فى « نَتَّن » فى : «اللحم إن نتن له أهله» .

فالتقت « واو » العطف مع الواو الأولى فى كلمة « واحدة » فأغلقت الواو الأولى المقطع الطويل المغلق ، وبدأت الواو الثانية المقطع القصير[1] .

* **الياء** : كما فى :

الحرامى يا آتل يا مأتول

ílharāmīy ya ?ātil ya ma?tūl

مما تقدم يمكن أن نقول أن جميع أصوات اللغة إذا وقع الصوت فى آخر كلمة وأول كلمة مجاورة فإنه يتم الإدغام بينهما .

٢ - الصوتان مختلفان :

يشترط فى هذين الصوتين المتجاورين فى كلمتين مختلفتين أن يكون بينهما قرب فى المخرج حتى تتم عملية الإدغام . وقد ظهرت صور الإدغام بالشكل التالى :

أ - ١ - الباء مع الفاء :

فهناك تقارب فى المخرج بين الباء « الشفوى » والفاء « الأسنانى الشفوى » وجاءت الباء فى نهاية كلمة «التراب» والفاء فى حرف الجر «فى»، فى المثل القائل:

آلو يا جحا : إيه أحسن أيامك . قال : لّما كنت اعبِّى التراب فى الطاقية

?ālū ya gohā : ?éhahsan áyyāmak : ?al : lammā kunt áɛabbi tturāf fitta?iyya

فحدث الإدغام بعد تأخر مخرج الباء من « الشفوية » إلى الأسنانية الشفوية

(١) وقس على ذلك : « الواو » حرف العطف ، و« الواو » فى « ورايا » : أى ورائى ، فى : «قالوا لعنتر انت تضرب ألف . قال اضرب ألف وورايا ألف» .

وتخلت عن الانفجار ، وصارت فاءً ، وأدغمت فى الفاء التالية لها . بعد أن أغلقت الفاء الأولى المنقلبة عن الباء المقطع الطويل المغلق "raf" وبدأت الفاء الثانية المقطع الطويل المغلق التالى[١] .

أ - ٢ - الباء مع الميم فى :

شمعة الكدّاب متنورش

Samçiti k kaddam matnawwarS

فتخلت الباء عن الشفوية وصارت شفوية أنفية ، وتخلت عن الانفجار وصار مخرجها من الشفة والأنف ، وأدغمت فى الميم التالية لها بعد أن أغلقت الميم المنقلبة عن الباء المقطع المديد ، وبدأت الميم الثانية المقطع الطويل المغلق التالى لها[٢] .

ب - ١ - التاء مع الدال فى :

كرامة الميت دفنو

karamtil mayyid da fnū

حيث تخلت التاء فى كلمة « الميت » عن همسها ، واكتسبت الجهر لالتقائها بالدال التالية على سبيل المماثلة الرجعية ، وأدغمت التاء فى الدال[٣] .

---

(١) وقس على ذلك الباء فى « المكسب » والفاء فى حرف الجر « فى » فى : « المكسب فى الجلة ولا الخسارة فى المسك» (maksaf fig) .

(٢) ومثل ذلك الباء فى كلمة « طلب » والميم فى كلمة « موت » فى : « حى طلب موت حى ، مجنون ويستاهل الكىّ » . (talam mot) .

وكذلك الباء فى كلمة « العيب » والميم فى كلمة « من » فى: «إن طلع العيب من أهل العيب» (çem min).

(٣) ومثل ذلك التاء فى كلمة « نوارة » والدال فى كلمة « ديلى » فى : «مين يشهد لك يا أبو الحسين قال نوارة ديلى » (niwwārid dēli) .

ب - ٢ - التاء مع الضاد فى :

ما نابنا من غربتنا إلا عوجة ضبتنا

mā nabnā min ξorbitnāl lā ζōgid dabbitnā

فتخلت التاء عن همسها وصارت مجهورة ، وعن ترقيقها وصارت مفخمة فاجتمع المثلان عن طريق المماثلة الرجعية وتم الإدغام .

جـ - ١ - الدال مع التاء فى :

إيد على إيد تساعد

ídζalā ?it tisāζid

فقد تخلت الدال فى كلمة « إيد » عن جهرها ، وصارت مهموسة ، وأدغمت فى تاء المضارعة فى الفعل « تساعد » عن طريق المماثلة الرجعية[1] .

جـ - ٢ - الدال مع الباء فى :

جحا طلع النخلة خد بلفته

goḥa tiliζi nnaxla xabbulξitu

فالدال فى الفعل « خد » والباء فى كلمة « بُلِغتُه » . حدث التقاء بينهما فتقدم مخرج الدال « الأسنانى اللثوى » وصار شفويا . فحدثت المماثلة وتم الإدغام عن طريق المماثلة الرجعية ، حيث أثر صوت الباء فى صوت الدال .

---

(١) ومثل ذلك : الدال فى « الحسود » والتاء فى كلمة « تعبان » فى : «الحسود تعبان» ilḥasūt taζbān
وكذلك: « إيد على إيد ترمى » íd ζala it tirmi .

د - الطاء مع التاء فى :

أجرة الخياط تحت إيديه

?ogrit - i - lxayyat̄_tah ti ?déh

فقد اكتسب التاء الأولى فى كلمة « تحت » التفخيم بتأثير الطاء فى كلمة «الخياط» عن طريق المماثلة التقدمية . وحدث الإدغام .

هـ - اللام والراء فى :

ساعة لقلبك وساعة لربك

sāζal ?albak wi saζa r_rabbak

فتخلت اللام فى حرف الجر عن مخرجها وهو « الأسنانية اللثوية » وانتقلت إلى الخلف فصارت « لثوية » وتخلت عن خاصتها الجانبية وصارت تكرارية فحدثت المماثلة الرجعية وتم الإدغام (الراء فى الراء) .

و - ١ - النون واللام فى :

اتمسكن لما تتمكن

ítmaskil_lamma titmakkin

فالصوتان متفقان فى المخرج « أسنانى لثوى » ، ومتفقان فى الجهر ، إلا أن النون أنفية ، واللام جانبية ، فتخلت النون عن صفة الأنفية فيها وصارت جانبية ، فحدث التقاء اللام المنقلبة عن النون فى « اتمسكن » واللام فى كلمة « لما » وحدث الإدغام عن طريق المماثلة الرجعية[١] .

---

(١) وقس على ذلك النون فى « يفتن » واللام فى « لك » فى : « اللى يفتن لك يفتن عليك »

= ílli yiftil_lak yifitin ζalék

و - ٢ - النون والميم فى :

الزرع إن ما غنى ستر

ízzarζi m ma ξanā satar

فتخلت النون فى « إن » عن مخرجها « الأسنانى اللثوى » وصارت « شفوية أنفية» . وبالتقاء الصوتين المتماثلين من خلال المماثلة الرجعية تم الإدغام(١) .

و - ٣. النون مع الراء فى :

آلو للمشنوء غطّى رجليك . قال إن رجعت عاتبونى

?ālū lilmaSnū? ξatti riglek. ?alirrigiζt - i - ζatbūnī

وكذلك الأمثال التى تبدأ بـ « إن » الشرطية و « ما » مثل : إن ما كانش لك أهل ناسب . وإن ما شكا العيّان حالو يبان .

فتخلت النون فى حرف الشرط « إن » عن مخرجها « الأسنانى اللثوى » وتأخر وصار لثويًا ، وتخلى عن الأنفية وصار مكررًا . فالتقت الراءان ، الأولى

= والنون فى الفعل « صبنّ » واللام فى كلمة « لحيتك » فى : « إن شفت المزين بيحلق لحية جارك صبنّن لحيتك » . ín Safti mizayyin biyiḥla? liḥyit garak sabbal liḥyitak

ومثل ذلك : « طمعنجى بنى له بيت فلسنجى سكن له فيه » .

وكذلك : الحجر الداير لابد من لَطُّه : والأمثال التى تبدأ بأن « الشرطية » ويعدها كلمة تبدأ باللام مثل : « إن لقاك المليح تَمَّنُه » . و« إن لبستْ خيشة برضة عيشة » .

(١) ومثل ذلك النون فى كلمة « التين » والميم فى « ما » النافية فى : « عمر العدو ما يبأى حبيب ، وعمر شجرة التين ما تطرح زبيب » .

ζomril ζadu mayib?a ḥabīb, wiζomri Sagarītittim matitraḥ zibīb

والنون فى كلمة « اللين » والميم فى ما النافية فى : « اللِّين ما ينكسرش» "īllayyim ma yinkisirS"

وكذلك : « ما جود إلا من موجود » "ma gūdil lāmim mawgūd"

المنقلبة عن ميم ، والثانية فاء الفعل « رجع » فتم الإدغام من خلال المماثلة الرجعية[1] .

خامساً : الخاتمة :

هذه هى صورة الإدغام فى لغة الأمثال العامية المصرية بمستوياتها الثلاثة :

* الإدغام الناشىء عن تضعيف صوت أصلى من أصوات الكلمة .
* الإدغام الناشىء عن التأثير والتأثر بين صوتين من أصوات الكلمة .
* الإدغام الناشىء عن تجاور صوتين فى كلمتين متجاورتين .

وقد رصد البحث ما وقع عليه من صور كل مستوى من هذه المستويات :

ففى المستوى الأول رصد البحث للتضعيف فى بعض الأسماء ، والأفعال والصفات والضمائر وحروف الجر . وفى المستوى الثانى رصد للأصوات التى أثر كل منها فى الآخر كالهمزة ، والتاء ، والدال ، والطاء ، واللام ، والواو ، والياء . أما فى المستوى الثالث فقد عرض البحث للإدغام الذى تم بين صوتين متماثلين أو صوتين مختلفين فى كلمتين متجاورتين .

وعرض البحث كذلك للمماثلة التقدمية ، والرجعية ، والتبادلية التى تمت بين الحروف ، فظهرت المماثلة التقدمية فى :

---

(١) ومثل ذلك الأمثال التى تبدأ « بإن » الشرطية وكلمة تبدأ بعدها بالراء مثل :

إن رحت للمشنّه خد عصاك وياك

i̱rruḥtlil miSannā xod ζāṣāk wayyāk

إن رخصت اللحمة رخصت الكروش

íṟrixṣiti llaḥma r ixṣitikkurūS

إن ردْت يظهر غشك ما تغلسش وشك

íṟ ri t ti yiẓhar ξiSSak ma tiξsilSi wiSSak

* إبدال الهمزة واوًا	في : سوّ	saww
* إبدال الهمزة ياءً	في : ضيّ	ḍayy
* إبدال الهمزة تاءً	في : يتّاكل	yittākil
* إبدال الفاء صادًا	في : نصّ	noṣṣ
* إبدال الواو تاءً	في : اتّكل	ittakal

وظهرت المماثلة الرجعية في :

* إبدال التاء دالاً	في : ادّوّر	íddawwar
* إبدال التاء جيمًا	في : اجّوّز	íggawwiz
* إبدال التاء شينًا	في : اشّطّر	íSSaṭṭar
* إبدال التاء صادًا	في : اصّدّر	íṣṣaddar
* إبدال التاء كافًا	في : اكّلّم	íkkallim
* إبدال الدال تاءً	في : خَتُّم	xattum
* إبدال اللام طاءً	في : الطيّر	íṭṭēr
* إبدال اللام تاءً	في : التفكير	íttafkir
* إبدال اللام دالاً	في : الدبلاوى	íddiblāwī
* إبدال اللام سينًا	في : السما	íssama
* إبدال اللام زايًا	في : الزيت	ízzét
* إبدال اللام صادًا	في : الصنعة	íṣṣanʕa

* إبدال اللام زايًا مفخمة	في : الظالم	íẕẕalim
* إبـــدال الـــلام راءً	في : الرّيّس	írrayyis
* إبـــدال الـــلام نـــونًا	في : النهاردة	ínnaharda
* إبـــدال الــلام شـيــنًا	في : الشياطين	íSSayaṭin
* إبـــدال الـــلام كـــافًا	في : الكُبَّة	íkkobba
* إبـــدال الـــلام قـــافًا	في : القانون	íqqnōn
* إبـــدال الـــلام جـيـمًا	في : الجرن	íggorn
* إبـــدال الـــواو يـــاءً	في : الدىّ	íddayy

ولم تسر قاعدة مطردة يمكن على أساسها الحكم بأن مخارج الأصوات عند الإبدال تتقدم أو تتأخر على مدرج جهاز النطق . فقد تقدمت المخارج مع الهمزة عندما صارت من أقصى الحنك (و) أو من وسط الحنك (ى) أو منطقة الأسنان واللثة (ت) أو منطقة الأسنان والشفة (ف) . ولكنها تأخرت مع التاء التى صارت من منطقة اللثة (ص) أو من اللثة والحنك (ش) أو من أقصى الحنك (ج، ك). وكذلك الفاء (الأسنانى الشفوى) التى صارت لثوية (ص) واللام (الأسنانى اللثوى) التى صارت لثوية (س ز ص ظ ر) أو لثوية حنكية (ش) أو من أقصى الحنك (ك ق) أو من منطقة اللهاة (ق) .

– أن الإدغام قد أثر فى الشكل المقطعى للكلمة ، وحوّل المقاطع من شكل كان موجودًا قبل الإدغام إلى شكل آخر مختلف كما فى شفه Safh . وشِفّه Sif. fah ، وهُوَ hu.wa وهوّه huw.wah ، ومِنْكَ ومنّك minka. minnak .. إلى آخر هذه الصيغ . وكان لوقوف العامية على الكلمة بالسكون أثر كبير فى ظهور مثل هذا الإدغام .

– اتفقت لغة الأمثال وبالتالى اللهجة العامية المصرية والفصحى فى بعض الظواهر كما فى إدغام اللام أو التاء ، واختلفت عنها فى ظواهر أخرى كإدغام اللام فى الكاف (الكتاب) والقاف (القرآن) والجيم (الجرن) . وإدغام التاء فى الباء (ابَّخر) والزاى (ازّعّل) والسين (اسبِّت) والظاء (اظَّلّم) فهى مواطن ظهرت فى العامية المصرية وليست موجودة فى الفصحى .

– تجاوز الإدغام الكلمة المفردة ووصل إلى الكلمتين المتجاورتين ، فيتم إذا كان آخر الكلمة الأول صوتًا من جنس الصوت الأول من الكلمة الثانية ، وإذا كان الصوت الأخير من الكلمة الأولى ، والصوت الأول من الكلمة الثانية من مخرجين متقاربين كالباء والفاء ، والباء والميم ، والتاء والدال ، والتاء والضاد ، والدال والباء ، والطاء والتاء ، واللام والراء ، والنون واللام ، والنون والميم ، والنون والراء .

– وظهر تفرد لغة الأمثال فى إدغام التاء فى الباء (إبَّل) ، والجيم (اجَّرّ) ، والكاف (اكَّلم) . وإدغام اللام فى الكاف (الكتاب) والجيم (الجرن) ، والقاف (القرآن) ، وإدغام الواو فى التاء (اتَّكل) . وكذلك إدغام آخر الكلمة فى أول الكلمة الثانية نظرًا لوقوف العامية على الكلمات بالسكون، فإذا كانا من جنس واحد كان الإدغام حال وصل الكلام إدغامًا طبيعيًا حيث اجتمع مثلان أولهما ساكن والثانى متحرك ، وإذا كانا مختلفين سواء كانا من مخرج واحد أو من مخرجين متقاربين يتم التأثير والتأثر بين الصوتين ويصبحان متماثلين ، ويتم أيضًا الإدغام .

هذا جهد متواضع ، والحاجة لا زالت ماسة لجهود أخرى مضنية للوقوف على مثل هذه القضايا التى تركز على نقاط الاتفاق ، ونقاط الاختلاف بين الفصحى والعامية علها توضح الرؤية لتطور العامية .

فإن أكن أصبت ، فبفضل من الله ونعمة ، وإن كانت الأخرى فمن نفسى وحسبى أى ما قصرت ، والله الهادى إلى سواء السبيل .

المراجع والمصادر

المصادر :

١ - الأمثال الشعبية . محمد صفوت . مكتبة مصر . القاهرة . ١٩٧٨ م .

٢ - الأمثال الشعبية المصرية . سامية عطا الله . الوطن العربى . القاهرة . بيروت . ط ٢ . ١٩٨٧ م .

٣ - الأمثال العامية . أحمد تيمور باشا . الشركة الشرقية للنشر والتوزيع بيروت . ط ٣ . ١٩٧٠ م .

المراجع :

١ - إدغام القراء . أبو سعيد السيرافى . تحقيق محمد عبد الكريم الروينى . دار أسامة . دمشق ١٩٨٦ م .

٢ - الأصوات العربية د. كمال بشر . مكتبة الشباب . القاهرة د.ت .

٣ - أصوات اللغة د. عبد الرحمن أيوب . مطبعة الكيلانى. ط ٢ . سنة ١٩٦٨ م .

٤ - الأمثال العربية القديمة . رودلف زلهايم . ترجمة د. رمضان عبد التواب . مؤسسة الرسالة . بيروت . ط ٣ . ١٩٨٤ م .

٥ - الأمثال العربية القديمة . عفيف عبد الرحمن . المجلة العربية للعلوم الإنسانية العدد العاشر . المجلد الثالث . ١٩٨٣ م .

٦ - أمثالنا العامية . مدخل إلى دراسة الذهنية الشعبية . د. زاهى ناضر . دار الحداثة . بيروت . ١٩٩٦ م .

٧ - التحليل النفسى للأمثال العربية . سمير عبده . منشورات دار النصر . بيروت ١٩٨٥ م .

٨ – التطور النحوى للغة العربية . برجشتراسر . تصحيح د. رمضان عبد التواب. مكتبة الخانجى . القاهرة . ١٩٨٢ م .

٩ – الجمل فى النحو . الزجاجى . تحقيق علي توفيق الحمد . مؤسسة الرسالة . بيروت ط ٣ . ١٩٨٦ م .

١٠ – الحجة على القراءات السبع . أبو على الفارسى . تحقيق على النجدى ناصف وآخرين . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٨٣ م .

١١ – الخصائص . ابن جنى . تحقيق محمد على النجار . مصورة دار الكتب . دار الهدى للطباعة والنشر . بيروت . ط ٢ . د.ت .

١٢ – العربية الفصحى . هنرى فليش . ترجمة د. عبد الصبور شاهين . دار المشرق . بيروت . ط ٢ . ١٩٨٣ م .

١٣ – فى اللهجات العربية . د. إبراهيم أنيس . مكتبة الأنجلو المصرية . ط ٦ . ١٩٨٤ م .

١٤ – الكتاب . سيبويه . تحقيق عبد السلام هارون . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ م .

١٥ – اللهجات العربية فى التراث . أحمد علم الدين الجندى . الدار العربية للكتاب . تونس . ١٩٨٣ م .

١٦ – المبدع في التصريف. أبو حيان الأندلسى. تحقيق عبد الحميد طلب ط ٢ . ١٩٨٢ م .

١٧ – مجمع الأمثال . الميدانى . مطبعة بولاق . ١٢٨٤ هـ .

١٨ – المزهر فى علوم اللغة وأنواعها . جلال الدين السيوطى . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين . القاهرة . ط ٢ . ١٩٥٨ م .

١٩ – معانى المثل ومشتقاته . جورج صدقنى . مجلة المعرفة . السنة السابعة عشرة العدد ٢٠٢ . ١٩٧٨ م .

٢٠ – المقتضب . المبرد . تحقيق عبد الخالق عضيمة . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . ١٣٨٥ – ١٣٨٨ هـ .

٢١ – الممتع فى التصريف . ابن عصفور الأشبيلى . تحقيق فخر الدين قباوة . الدار العربية للكتاب . ط ٥ . ١٩٨٣ م .

٢٢ – نزهة الطرف فى علم الصرف . ابن هشام الأنصارى . تحقيق أحمد عبد المجيد هريدى . مكتبة الزهراء . القاهرة . ١٩٩٠ م .

٢٣ – المنصف . أبو الفتح عثمان بن جنى . تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين . دار إحياء التراث القديم . ط ١ . ١٩٥٤ م .

المراجع الأجنبية :

- Dictionary of Language and Linguistics. R.R. Hartman and F.C. Stork, Applied sciences Publishers, LTD. London. 1973 .

الأنماط الشرطية فى الشعر الكويتى المعاصر

د. طيبة صالح الشذر
جامعة الكويت

المقدمة :

إن الجملة الشرطية تركيب مبني على تآلف جمل إسنادية بسيطة (فعلية واسمية) مع بعضها أو مع جمل غير إسنادية بعلاقة مركبة . ولقد أوضحت مباحث النحويين أن الجملة الشرطية تنبني على تآلف جمل . وليس على تآلف صيغ مفردة « فحرف الشرط يجيء لربط جملة بجملة[1] وقد تردد في هذه المباحث سياق الفعل كصيغة مفردة ، وسياق الجملة لما اصطلح عليه « بجملة الشرط » فالشرط لا يقع إلا على فعل[2] وكلمة الشرط ما يطلب جملتين »[3] . وحاول بعض النحاة أن يرفضوا مقولة « الجملة في الشرط » ونصوا على أن جملة الشرط ليست جملة بل هي فعل . فقد علق (الصبان) في حاشيته على قول ابن مالك فعلين يقتضين بقوله « ولم يقل جملتين أي - كما قال في التسهيل - اعتباراً بمجموع المسند والمسند إليه ، للتنبيه على أن التعبير بجملتين

(١) الأصول ج ١ ص ٤٤ ، ص ٤٥ .

(٢) المقتضب ج ٢ ص ٥٠ .

(٣) الكافية ج ٢ ص ١٠٨ .

يوهم بجواز كون الشرط جملة اسمية مع أنه ليس كذلك[١] وكان الأشمونى قد بين أنه لم يقل جملتين » للتنبيه على أن حق الشرط والجزاء أن يكونا فعلين[٢].

وأبدى سيبويه ملاحظة دقيقة حول شيوع النمط الشرطي ، قال : فأحسن الكلام أن يكون الجواب « أفعل » لأنه نظيره من الفعل ، وإذا قال « إن فعلت » فأحسن الكلام أن تقول : « فعلت لأنه مثله[٣] سيبويه يأخذ بنظرية : المشاكلة بين الصيغ التي تقع في التركيب الشرطي . وهذه المشاكلة أساسية ، لكونها إحدى القرائن في ربط جملتين ، فقدتا خصائصهما الأولى وكَوَّنتا جملة مركبة ، لها سمات وخصائص بنائية ودلالية جديدة ، فسيبويه جعل المشاكلة اللفظية ، بين الصيغ ، أساسًا لبناء التركيب الشرطي في اللغة العربية . ولهذا قال : ضعف فعلت مع أفعل ، وأفعل مع فعلت[٤] وقد سار أغلب النحاة على هذا . فقد عرض الفراء لحساب الأنماط الشرطية في القرآن إذ قال : إن قلت : تفعل أفعل . . . فهذا حسن والكلام : « إن فعلت فعلت »[٥] . أى أن النمط الشرطي الشائع في الكلام هو المكون من جملتين فعليتين فعل كل منهما ماض. ملاحظة الفراء هذه جاءت في سياق تحليله للنظام اللغوي في القرآن الكريم ، وهي تتفق مع ملاحظة أحد الدارسين المعاصرين ، الذي عني بدراسة « الشرط في القرآن » التي تقول بأن الشرط في القرآن ينبني في أغلبه على الماضي وفي أقله على المضارع[٦] . وابن مالك في ألفيته يجعل هذا النمط على رأس أنماط الشرط شيوعا إذ يقول : « وماضيين أو مضارعين تلفيهما أو

---

(١) حاشية الصبان ج ٤ ص ١٥ .

(٢) شرح الأشمونى ج ٤ ص ١٥ .

(٣) الكتاب ج ٣ ص ٩١ .

(٤) الكتاب ج ٤ ص ٩٢ .

(٥) معاني القرآن جـ ٢ ص ٦ .

(٦) الشرط في القرآن ، عبد العزيز محمد الصالح المعيد - القاهرة .

متخالفين »[1] . وتابعه ابن عقيل في هـذا التدرج حين قال : « إذا كان الشرط والجزاء جملتين فـعليتين فيكون على أربعة أنـواع : الأول : أن يكون الفعلان ماضيين والثانـي مضارعين والثالث والرابع الأول مضارعا و لـثاني ماضيا . . . وهو قليل »[2] إن عبارة « وهو قليل » تشير إلى أنـه رتب الأنماط بحسب سعتها في استيعاب التراكيب الشرطية وأقصى هذا النمط إلى الدرجة الثانية عند أغلب النحاة الذين تدرجوا بالأنماط الشرطية الفعلية ، بحسب قربها أو بعدها من الأثر الإعرابي ، ظـاهرا أولاً ومقدرًا ثـانيًا . وعلى عـبارة الصبـان : « الأحسن أن يكونا مضارعـين ، لظهور تأثير العامل فـيهما ، ثم ماضيين للمـشاكلة في عدم التأثير[3] .

إذن فالنمط الـشرطي القائم على جملـتين فعليتين فعل كل مـنهما ماض ، يعبر عن القطع بوقوع الأحداث ، سـواء انصرف الزمن فيه إلى الماضى : الذي يعبر عن أحداث قطـع بوقوعها ، أم إلى مطلق الزمن : الذى يـعبر عن حقائق واقعة في كـل زمان ، أو إلى المستقبـل والأحداث ستقع فيه لا مـحالة . وكل هذا يجري في إطار التعليق الشرطي . فصيغة (فعل) تدل في الشرط في بعض الاستعـمالات على المسـتقبل فتتـطابق بذلك ، مـع دلالة صيغة المضـارع على الزمان ذاته ، ولكـن الصيغ في الشرط ، لا تفقـد خصائصها الحديثـة والزمنية تمامًا . بل تبقـى حاملة لبعض منهـا في سياق الشرط وصيغة المـاضي دالة على القطع لكونها محققة الوقوع ، وهي الدلالة التي تحملها إلى هذا السياق .

وقد عرض « ابن جنى » للنمط الشرطي المكون من جملتين فعليتين فعلهما ماض ، في محاولة لتوضيح الفرق بينه وبين النمط الشرطي المكون من جملتين

---

(١) شرح ابن عقيل ج ٢ ص ٢٩٠ .

(٢) شرح ابن عقيل ج ٢ ص ٢٩١ .

(٣) حاشية الصبان ج ٤ ص ١٦ وانظر الكافية ج ٢ ص ٢٦٠ .

فعليتين فعلهما مضارع . قال : « لأن الشرط معلوم أنه لا يصح إلا مع الاستقبال (يعنى الفعل المضارع) جئت بلفظ الماضي الواجب ، تحقيقا للأمر وتثبيتا له ، أي أنه وعد موفي به لا محالة ، كما أن الماضي واجب لا محالة[1] ويعنى هذا أن صيغة الفعل الماضى تفقد دلالتها الزمنية في الشرط ، على رأى ابن جني ، فتتطابق في الدلالة هذه مع صيغة المضارع « جاز أن يقع بعضها موقع بعض »[2] .

لقد اشترط النحاة أن تكون جملة الشرط في اللغة العربية جملة فعلية وأخرجوا كل شاهد يعترض طريقهم على أساس اضطراد تلك القاعدة : الشرط وجوابه لا يخلوا من الأفعال[3] .

وإذا بني الشرط على جملة فإن الجملة كقوله تعالى : ﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ﴾[4] ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾[5] تكون جملا اسمية ، لأن اقتضاء الشرط للفعل ينعدم ، وهذا لا يصح عندهم كما نص على ذلك (الصبان) ، والعديد من علماء اللغة فقد ذهبوا إلى أن الجملة الشرطية تنصرف دلالتها إلى التجددد والحدوث والسببية ، وهى كما نصت بعض المباحث البلاغية عن خاصية الفعل « فأما الفعل فموضوعه أن يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئًا فشيئًا[6] . وكونه فعلا فللتقيد بأحد الأزمنة الثلاثة ، على أخص وجه مع إفادة التجدد[7] وهذا هو الذي « جعل الشرط والجزاء لا يصحان إلا بالأفعال لأن الشرط سبب

---

(١) الخصائص ج ٣ ص ٣٣٠ .

(١) الخصائص ج ٣ ص ٣٣١ .

(٣) المرتجل ص ٢١٩ .

(٤) النساء الآية (١٧٦) .

(٥) التوبة الآية (٧) .

(٦) دلائل الإعجاز ص ١٢٢ .

(٧) التلخيص ص ١٠٧ .

لوجود الثاني ، والأسباب لا تكون بالجوامد[1] وقد تابع بعض المعاصرين هذا الرأي فقالوا : « إن جملة الشرط لا تنبني إلا بسياق فعلي ينبني على أساس من التجدد والحدوث[2] وعلى الجملة فإن الشرط وجوابه لا يخلوان من طريق الأفعال ، والمعنى الذي وضع الشرط عليه لا يكون إلا بالاستقبال ولا يصح إلا به[3] هذه الآراء تنطبق من نظرة جزئية وتجعل من المعنى والتركيب الشكلى له فرعا ثانويا من القرينة الإعرابية ، وهذه النظرة قصرت عن إدراك طبيعة الشرط ونظامه التركيبي والأسلوب الذي ينطوي عليه ، لأنها انصبت على إدراك الآثار الإعرابية فقط . إن «الفعل» في العربية يعنى (الجملة الفعلية) ولا يعنى الصيغة المفردة ، إلا إذا أردته صوتا تصوته سواء » على مقولة الجرجانى[4] .

وأما التجدد والحدوث ، فالشواهد لا تؤيده فكيف لنا أن نفهم التجدد والحدوث في قولنا « مات محمد » و « هلك خالد » « وانصرف بكر » فهذه الأفعال كلها أحداث منقطعة ، لم يكن لنا أن نجريها على التجدد[5] .

وأما الزمانية فقد نظروا إليها نظرتهم إلى الصيغ المفردة ، ولكن لما كان الشرط ينبني على تآلف الجمل فإن « الزمان يستفاد من الجملة الاسمية يكون ثاني جزأيها فعلا كقوله تعالى ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾[6] ثم إنهم قالوا بجواز أن تكون جملة الجواب جملة اسمية[7] على الرغم من أنهم ذهبوا إلى « أن أصل الجزاء أن يكون بالفعل لأن الأفعال هي التي تنقضي وتحدث

---

(١) شرح المفصل ج ٩ ص ٢ .

(٢) فى النحو العربي ص ١٦٩ .

(٣) المرتجل ص ٢١٩ .

(٤) دلائل الإعجاز ص ٣٣٣ .

(٥) الفعل وزمانه وأبنيته ص ٢٠٤ .

(٦) الذاريات الآية ١٣ وينظر الكافية ج ٢ ص ١٠٣ .

(٧) شرح ابن عقيل ج ٢ ص ٢٩٠ .

ويتوقف وجود بعضها على بعض[1] أن كون الجملة الاسمية ، أحد مكونات التركيب الشرطي في العربية ، أثار جدلاً كبيرًا في الدراسات القديمة والمعاصرة. وأكد أغلب النحاة على أن هذه الجملة ليست اسمية محضة فقد جاء خبرها فعلا ، واعتبرها بعضهم جملة فعلية لأن هناك فعلا مقدرا قبل الاسم يفسره المذكور بعده .

فأداة الشرط - كما - قال معظم النحاة - يليها الاسم في الظاهر والحقيقة البنائية للتركيب أن هناك فعلا مضمرا . . يحدده الفعل المذكور بعد الاسم وفى هذا قال سيبويه : « فإن سقط بعدها اسم ففيه فعل مضمر تبنى عليه الأسماء »[2] وقال آخرون أن الاسم يرتفع بما عاد إليه من الفعل ، من غير تقدير فعل[3] ، وهو رأى الكوفيين ويعنى أن الجملة فعلية عندهم تقدم الفاعل أم لم يتقدم : « فزيد فعل ، وفعل زيد » جملتان فعليتان ، وعلى هذا سار العديد من الباحثين المعاصرين وأبرزهم الدكتور مهدي المخزومي إذ قال : إن هناك اعتبارات لغوية اقتضت أن يتقدم الفاعل ، ولم تخرج الجمل ، وقد كانت فعلية عن طبيعتها بعدم تقدم الفاعل . فإذا دخلت أدوات الشرط وجدت مجالها الفعلي قائما »[4] إن الرأي الذي ذهب إلى أن الجملة الشرطية تنبني على تألف جمل فعلية : يرجع إلى أن تلك الجمل قائمة على طبيعة التعليق والتجدد والاستقبال زمانا ، والجزم إعرابا وتلك هي خصائص الفعل في العربية وقد لخص الأستاذ عباس حسن في مؤلفه « النحو الوافى » تلك الآراء : متبنيا إياها ، معترضا بها على مخالفيها[5] .

(١) شرح المفصل ج ٩ ص ٢ .

(٢) الكتاب ج ١ ص ٢٦٩ وانظر مشكل إعراب القرآن ج ١ ص ٣٨٤ ، وشرح ابن عقيل ج ٢ ص ٥١ .

(٣) الإنصاف ج ٢ ص ٦١٦ .

(٤) في النحو العربي ص ٢١٨ .

(٥) النحو الوافى ج ٢ ص ١٤٠ ، ص ١٤١ .

إذن فالشرط ينبني على سياق تآلف الجمل أما طبيعة أنماطه التي يتكون منها هذا التآلف فنجد في هذا المجال :

١ - الجملة الشرطية نمط من أنماط تآلف الجمل الفعلية : وهو الذي ذهبت إليه آراء الكثرة من النحاة القدامى والمحدثين وعبارة سيبويه « إن من الحروف التي ينبني عليها الفعل ، وهي إن المجازاة ، وليست من الحروف التي يبتدأ بعدها الأسماء[١] هذه العبارة جعلت الذين جاءوا بعد سيبويه يوجهونها بتفاسير متعددة .

٢ - نمط الجملة الشرطية المختلف فيها بين الفعلية والاسمية : وهي التي تتمثل في قوله تعالى ﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ﴾[٢] ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَت﴾[٣] .

٣ - نمط الجملة الشرطية الاسمية : أن النحاة قدماءهم ومعاصريهم لم ينظروا لدائرة الاستعمال الشرطي نظرة كلية . فقد اتفقوا على أن « لولا » أداة شرط وهى « لابتداء وجوب فالأول سبب ما وقع ولم يقع[٤] . أي أنها « إذا دخلت على جملتين ربطت إحداهما بالأخرى وصيرت الأولى شرطا والثانية جزاء »[٥] . والمشابهة بين الأداتين « لو » التي عدت أداة شرط أساسية و (لولا) كبيرة حتى أن المبرد جعل (لولا) هي « لو » و « لا » هما شيئًا واحدًا وأوقعتا على هذا المعنى[٦] . وقد نجد تراكيب اتفق أغلب النحاة على شرطيتها . كما اتفق ، هذا الأغلب على اسميتها ، وهي

---

(١) الكتاب : ج ١ ص ٢٦٣ .

(٢) النساء الآية ١٧٦ .

(٣) النساء الآية ١٢٨ .

(٤) الكتاب ج ٤ ص ٢٣٥ .

(٥) شرح المفصل ج ٨ ص ١٤٥ .

(٦) المقتضب ج ٣ ص ٧٦ .

المتمثلة في الجمل الاسمية المؤكدة بالأداة (أن) والمقترنة بأداة الشرط (لو) كقوله تعالى : ﴿ولو أنهم آمنوا﴾[1] . وهو كثير وموضعها عند الجميع رفع.

قال سيبويه : وجمهور البصريين بالابتداء[2] . وهناك نموذج آخر من أنماط الجمل الشرطية نعرض له في سياق نمط الجملة الشرطية المنبنى على تآلف جمل اسمية مع جمل أخرى (قد تكون اسمية أيضًا أو فعلية أو غير إسنادية) ونعنى به الجزء المعلق في تركيب الجملة الشرطية أي « جملة جواب الشرط » . وقد امتنع أغلب النحاة عن جعل هذا الجزء الذي نصوا على اسميته : « فأما الثانية فالأصل أن تكون فعلية ويجوز أن تكون اسمية »[3] لقد امتنع النحاة أن يصفوا هذا النوع من الجمل الشرطية باعتبارها الاسمي أو الفعلي تأسيسا على مقولتهم لتحديد نوع الجملة عموما باعتبار الصدارة ، فللشرط صدر الكلام »[4] فإذا قلنا « أنت ظالم إن فعلت « فهذه جملة فعلية لأنه » إذا ما تقدم على أداة الشرط ما هو جواب من حيث المعنى فليس عند البصريين بجواب له لفظا لأن للشرط صدر الكلام »[5] . ألا تراهم يقولون فى معناه : « إن فعلت فأنت ظالم »[6] و « لأن كل شيء يكون سببا لشيء أو علة له ينبغي أن تقدم فيه العلة على المعلول »[7] « فمعاذ الله أن يقدم جواب الشرط عليه »[8] وكان للكوفيين رأي

---

(١) البقرة الآية ١٠٣ .

(٢) شرح الأشمونى ج ٤ ص ٤٠ .

(٣) شرح ابن عقيل ج ٢ ص ٢٩٠ .

(٤) الكافية ج ٢ ص ٢٥٧ .

(٥) الكافية ج ٢ ص ٢٥٧ .

(٦) الخصائص ج ١ ص ٢٨٣ .

(٧) الأصول ج ٢ ص ١٩٥ .

(٨) الخصائص ج ١ ص ٢٨٣ .

مغاير تمامًا لصدارة ما سموه بفعل الشرط فقالوا : « أن » الأصل في الجزاء أن يكون مقدما على إن »[1] . أما القول بقرينة رتبة « جملة الشرط » وهي الصدارة، فلا يؤيده الاستعمال اللغوي ، فجملة الشرط تتصدر الجملة الشرطية ولا تتصدر . وأما القرينة المنطقية بتقدم العلة على المعلول ، ومن ثم تقدم « جملة الشرط » على جملة جواب الشرط ، في أي موقع كان ، فهذا لا يؤخذ لمنهج البحث اللغوي ، فهو « اسمى » كما يحدد ذلك الشكل التركيبي الذي ينطوى تحته وقرائن الجملة الاسمية . بل أن بعض النحاة نظروا إلى بعض التراكيب من ناحية المنهج الذي التزموه وهو منهج (العمل والعامل) مثل (إذا جاء زيد فأنا أكرمه) فهذه جملة اسمية ، إن قلنا أن عامل إذا جوابها، أي ما في جوابها من فعل أو شبهه ، لأن صدر الكلام جملة اسمية ، وإذا ما أضيف إليه في رتبة التأخير كما في : « يوم تسافر أنا أسافر »[2] .

مما تقدم نجد أن « إذا » تؤدي وظيفة أساسية في ارتباط الجمل أو تعليقها بعضها على بعض . وهذا هو رأي الكوفيين . من حيث « جواز تقديم الفاعل على الفعل »[3] .

٤ - يدخل ما اصطلح عليه بأشباه الجمل أو الجمل الناقصة التكوين أو الجمل غير الإسنادية[4] في التركيب الشرطي حيث تتآلف مع الجمل الإسنادية كما في قوله تعالى : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾[5] .

ونتناول فيما يلي أهم أنواع الأنماط الشرطية التي يسلكها التركيب الشرطي

(١) الإنصاف ج ٢ ص ٦٢٣ .

(٢) حاشية الصبان ج ٤ ص ١٣ .

(٣) الإنصاف ج ٢ ص ٦١٥ ، ٦١٦ .

(٤) المدخل إلى دراسة النحو العربى ص ١٦٩ .

(٥) آل عمران الآية (٢٥) .

في الشعر الكويتي المعاصر . وذلك في تركيب مبني على تآلف جمل إسنادية بسيطة (فعلية واسمية) مع بعضها أو مع جمل غير إسنادية بعلاقة مركبة .

الأنماط الشرطية بحسب الجمل

النمط الأول

(الأداة + جملة الشرط (فعلية : فعلها ماض +

+ جملة جواب الشرط (فعلية : فعلها ماض)

ورد هذا النمط في « ٨٦ » موضعًا .

وهو النمط السائد في موضوع البحث ، من حيث طبيعة الجمل المتآلفة في أسلوب الشرط .

ومثاله قول العتيبي :

١ - إنْ شاء ربي أعاد الكون دورته

وعدت مثل سراب في فيافيها

طائر البشرى ص ٩١

وقول العتيبي :

٢ - نفر من ذاتنا في كل آونة

وإنْ فقدنا الخُطى صحنا هو القدر

مزار ٣٨

وقول العدواني :

٣ - وإذا تجبرت الخطوب عصيتها

ونفرت حين الظلم اي نفار

اجنحة ٩١

وقول العدواني :

٤ - إذا استحضـــرت ذكـــراه

شعـــرت بلـــوعة الثكـــل

أجنحة ١٨٦

وباستقراء هذا النمط في موضوع البحث لم نجد له دلالة خاصة على زمن معين ، باستثناء بعض صوره التي عبرت عن ارتباط بالزمن الماضي ، كذلك فليست له دلالة على أفكار معينة ، وهو ما حاول إبراهيم بركات في رسالته « الجملة الشرطية عند الهذليين » أن يسنده إلى هذا النمط . قال التعبير بهذا النمط إما عن حدث مضى ، أو عادة من العادات التي لا يشك في كونها أن الشاعر يعمد إلى هذا النمط للتعبير عن أسلوب التعليق الشرطي دون الأنماط الفعلية الأخرى ، التي يكاد يكون حجم استخدامها ضئيلاً[1] .

هذا النمط يستوعب مطلق الاستعمال الشرطي ، لا في موضوع البحث فحسب بل في الشرط في العربية عامة ، فما هي الخصائص البنائية والدلالية التي يتميز بها هذا النمط ؟

لقد أبدى سيبويه ملاحظة دقيقة حول شيوع النمط الشرطي وعدمه . قال : « فأحسن الكلام أن يكون الجواب » «أفعل» « لأنه نظيره من الفعل ، وإذا قال « إن فعلت » فأحسن الكلام أن تقول : « فعلت لأنه مثله »[2] .

أن سيبويه يأخذ بنظرية : المشاكلة بين الصيغ التي تقع في التركيب الشرطي . وهذه المشاكلة أساسية جداً ، لكونها إحدى القرائن في ربط جملتين، فقدتا خصائصهما الأولى وكونتا جملة مركبة ، لها سمات وخصائص

---

(١) الجملة الشرطية عند الهذليين - رسالة ص ٢٤ .

(٢) الكتاب ج ٣ ص ٩١ .

بنائية ودلالية جديدة . وقد استند الكوفيون فيما بعد ، إلى نظرية المشاكلة في تفسير جزم المضارع الواقع في جملة جواب الشرط وإن جعلوا اسمها «الجوار»[١] سيبويه ، إذن ، جعل المشاكلة اللفظية بين الصيغ ، أساسا لبناء التركيب الشرطي في العربية . ولهذا قال : ضعف فعلت مع أفعل ، وأفعل مع فعلت[٢] . وقد سار أغلب النحاة على هذا . يقول الفراء : « أكثر ما يأتي الجزاء على أن يتفق هو وجوابه »[٣] أن الخلاف في هذا الحكم بين « سيبويه » و « الفراء » يكمن في استخدام سيبويه صيغة التفضيل أحسن والفراء أكثر . والثانية أقرب إلى النهج الاستقصائي . وواضح أن الفراء عرض لحساب الأنماط الشرطية في القرآن إذ قال : « إن فعلت : تفعل أفعل . . . فهذا حسن ، والكلام : إن « فعلت فعلت »[٤] أى أن النمط الشرطي الشائع في الكلام هو المكون من جملتين فعليتين ، فعل كل منهما ماض . وملاحظة الفراء جاءت في سياق تحليله للنظام اللغوي في القرآن الكريم وهي تتفق مع ملاحظة أحد الدارسين المعاصرين ، الذي عني بدراسة الشرط في القرآن ، وقد أكد في ملاحظته هذه على أن الشرط في القرآن ينبني في أغلبه على الماضي وفي أقله على المضارع[٥] .

ومن الملاحظ أن ابن مالك في ألفيته وهو « ناظم ناقل » جعل هذا النمط على رأس أنماط الشرط الأكثر رواجا إذ يقول : وماضيين أو مضارعين تلقيهما أو متخالفين[٦] لم يختر ابن مالك هذا التدرج لضرورة الوزن ، فابن مالك كان

---

(١) الانصاف في مسائل الخلاف ج ٢ ص ٦٠٢ .

(٢) الكتاب ج ٣ ص ٩٢ .

(٣) معاني القرآن - للفراء ج ٢ ص ٦ .

(٤) معاني القرآن - للفراء ج ٢ ص ٦ .

(٥) معاني القرآن ج ٢ ص ٦ .

(٦) شرح ابن عقيل ج ٢ ص ٢٩٠ .

يخضع الوزن للأحكام النحوية ، لا العكس . وقد تابعه ابن عقيل في هذا التدرج حين قال : « إذا كان الشرط والجزاء جملتين فعليتين فيكون على أربعة أنواع : الأول : أن يكون الفعلان ماضيين والثاني مضارعين والثالث . . . والرابع الأول مضارعا والثاني ماضيا . . . وهو قليل[1] .

إن عبارة « وهو قليل » تشير إلى أنه رتب الأنماط بحسب سعتها في استيعاب التراكيب الشرطية . وأقصى هذا النمط إلى الدرجة الثانية عند أغلب النحاة الذين تدرجوا بالأنماط الشرطية الفعلية ، بحسب قربها أو بعدها من الأثر الإعرابي ، ظاهرا أولاً ، ومقدرا ثانيا . قال صاحب التوطئة : « والفعلان المقتضيان في هذا الباب ، أن يكونا مضارعين ظهر العمل فيهما وإما أن يكونا ماضيين »[2] وعلى عبارة الصبان : « الأحسن أن يكونا مضارعين ، لظهور تأثير العامل فيهما ، ثم ماضيين للمشاكلة في عدم التأثير »[3] . وعبارة الرضي : « والأجود كونهما مضارعين »[4] ومن المعاصرين يرتب صاحب النحو الوافي أنماط الشرط الفعلية كما يأتي : أولاً أن يكون الفعلان مضارعين أصليين مجزومين وثانيا : أن يكون الفعلان ماضيين[5] .

وهذه الأحكام جميعها ، لم تقم على استقصاء للكلام العربي ، بل أن نحاة آخرين ، دفعتهم روح منهج العمل النحوي إلى تبني أحكام عكست الحقائق السائدة في الكلام العربي فجعلت ما كان سائدًا فيه وهو نمط الشرط الفعلي : (فعل + فعل) على ما تجوز في الكلام أي ما استسمح فيه . قال

---

(١) شرح ابن عقيل ج ٢ ص ٢٩٠/ ٢٩١ .

(٢) التوطئة ص ١٤٥ .

(٣) حاشية الصبان ج ٤ ص ١٦ .

(٤) الكافية ج ٢ ص ٢٦٠ .

(٥) النحو الوافي عباس حسن ج ٤ ص ٤٣٩ .

ابن جنى فـي الخصائص : « فإن قلت فـقد تقول » إن قمت غداً قـمت معك فمن المواضع المتجوزة . . . »[1] وتابع ابن جني في هـذا ، المالقي في رصف المباني إذ قال : الأصل في (إن) وأدوات الشرط أن تجـزم فعلين مضارعين هذا هو الأصل وهو الكثير . . . ثم يجوز أن تـدخل على ماضيين ويجوز أن تدخل على ماض ومضارع[2] .

ونعود إلى فحـص الظواهر اللغوية . . . المتصلة بهذا النمـط في موضوع البحث ، يقول العتيبي :

٥ - كونوا كما كان في التاريخ أو لكم

إذا أرادوا أمـــوراً لان عاصـــيها

مزار ٤١

هنـا عبرت صيـغتا الـفعل المـاضي (أرادوا) و (لأن) في جمـلتين الـشرط وجوابه عن الزمن الماضي بقرينة كما يقول العدواني :

٦ - إذا استحضـــرت ذكـــراه

شعـــرت بلوعـــة الثكـــل

أجنحة ١٨٦

البـيت من قصـيدة في رثاء أحـد الأصدقاء المقـربين للشـاعر ، فالفـعلان (استحضرت) و(شعرت) دلا على الزمن الماضي بالقرينة المعنوية : الرثاء .

(١) الخصائص لابن جنى ج ٣ ص ٣٣٠/ ٣٣١ .

(٢) رصف المبانى ، المالقي ص ١٠٤ .

يقول العتيبي :

٧ - إذا حرك الغرب حقد قـديم

ونالـت شظـاياه كل العـرب

أتى من يرى أن أهل الخليج

ببترولهم هم أساس الغضـب

مزار ١٢٥

هنا فـقدت صيغ الـفعل الماضـي (حرك) و (نالت) و (أتـى) دلالتها عـلى الزمان الذي اختصت به وهو الماضي ، وعبرت عـن الزمن المستقبل واحتفظت بدلالة الـقطع في الحـدوث فالشاعر هـنا يصف حـالة العرب ، فـفي أي وقت يحرك الـغرب حقده الـقديم تنال شـظايا غضـبه كل العـرب فالفعـلان (حرك) و(نالت) في جمـلة الشرط يعبران عن الـقطع في الحدوث فلابد للشاعر وهو يرى ما فعله الغرب وسيفعله فاستخدم لكل هذا صيغا فقدت دلالتها على الزمان الذي وضعت له ، واحتفظت بدلالة القطع في الحدوث .

ويكثر في هذا النمـط التعبير بالصيغ عن حقائق وقـعت وتقع الآن وستقع بشكل مؤكد . . .

مثل قول العتيبي :

إن الجـراح إذا أهملتهـا كبـرت

واحتار في أمرهـا حتى مداويـها

طائر البشري ١٠١

فالزمن هنا زمـن دال على الاستمرار . . . تدور في إطاره حقـيقة تقع في كل زمان ، فالجراح إن أهملـت ولم يسرع في معالجتها يصعب أن تـلتئم وكلما

أسرع في مداواتها اقتربت من الشفاء . ونلاحظ في هذا النمط : التعبير عن أحداث مؤكدة الوقوع بالنص على عموميتها :

كقول العتيبي :

٨ - إن شاء ربي أعاد الكون دورته

وعدت مثل سراب في فيافيها

طائر البشرى ٩١

وكقوله أيضًا :

٩ - إن شاء ربي أعاد الكون سيرته

وفيك تختتم الدنيا مآسيها

طائر البشرى ٩١

إن الشاعر عالم الكون في وضع قدري . . . متنبأ بانهيار عالم المعتدين . . . وهذا التنبؤ بالمستقبل . . . يقوم على وقوع أحداث مؤكد على وقوعها ، مع تعين نتائج هذا الوقوع ، وهي انهيار عالم المعتدين لا محالة ، ويحل غاز الانتصار محل المآسي .

إذن فالنمط الشرطي القائم على جملتين فعليتين فعل كل منهما ماض ، يعبر عن القطع بوقوع الأحداث ، سواء انصرف الزمن فيه إلى الماضي : الذي يعبر عن أحداث قطع بوقوعها ، أم إلى مطلق الزمن : الذي يعبر عن حقائق واقعة في كل زمان ، أو إلى المستقبل والأحداث فيه ستقع لا محالة . وكل هذا يجري في إطار التعليق الشرطي . إن كل صيغة فعلية (فعل ، يفعل ، أفعل) تعبر عن خصائص زمنية وحدثية ، لا تعبر عنها الأخرى ، ولكن الصيغة الفعلية تفقد بعض خصائصها في سياق تراكيب لغوية معينة ، ومنها التركيب الشرطي . فتبدو متطابقة مع صيغ أخرى . وصيغة (فعل) تدل في

الشرط ، في بعض الاستعمالات ، على المستقبل فتتطابق بذلك ، مع دلالة صيغة المضارع على الزمان ذاته . ولكن الصيغ ، في الشرط لا تفقد خصائصها الحديثة والزمنية تمامًا ، بل تبقى حاملة لبعض منها في سياق الشرط ، وصيغة الماضي دالة على القطع لكونها محققة الوقوع . . . وهي الدلالة التي تحملها إلى هذا السياق .

وقد عرض ابن جني للنمط الشرطي المكون من جملتين فعليتين فعلهما ماض ، في محاولة لتوضيح الفرق بينه وبين النمط الشرطي المكون من جملتين فعليتين ، فعلهما مضارع . قال « لأن الشرط معلوم أنه لا يصح إلا مع الاستقبال (يعنى الفعل المضارع) جئت فيه بلفظ الماضي الواجب ، تحقيقا للأمر وتثبيتا له ، أي أنه وعد موفى به لا محالة ، كما أن الماضي واجب لا محالة »[1] ويعنى هذا أن صيغة الفعل الماضي تفقد دلالتها الزمنية الزمنية في الشرط ، على رأي ابن جني ، فتتطابق في الدلالة هذه مع صيغة المضارع حتى جاز أن يقع بعضها موقع بعض[2] ولكنها تحمل إلى الشرط خصائصها الحديثة المعبرة عن القطع والتثبيت . وهو رأي له قيمته في البحث عن الفروق بين التراكيب المتطابقة . ومعناه أن العربية لم تبتدع تركيبين مثل :

إن تفعل أفعل .

وإن فعلت فعلت ، من دون أن يكون هناك فرق بينهما . وقد التفت إلى ذلك العلامة الجرجاني ، وهو يعرض نظريته في « النظم » . قال : إنا لا نعلم شيئًا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه : فينظر في الخبر . . . وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك : إن تخرج

(١) الخصائص ج ٣ ص ٣٣٠ .

(٢) الخصائص ج ٣ ص ٢٢٠ ، ٣٣١ .

أخرج ، وإن خرجت خرجت ، وإن تخرج فأنا خارج ، وأنا خارج إن خرجت، وأنا إن خرجت خارج ، وفي الحال . . . فيعرف لكل من ذلك موضعه ويجئ به من حيث يبتغي له[1] وقد تابع ابن جنى والجرجاني بعض المعاصرين في تفسيرهم للفروق الدلالية ، بين الأنماط الشرطية الفعلية . قال مهدي المخزومي : إن المتكلم باستعماله صيغة الماضي يوهم السامع برجحان أحد الطرفين على الآخر[2] أن عبارته يوهم غير دقيقة فالمتكلم يهدف إلى الترجيح ولا يوهم به إذ أن اللغة أداة توصيل لا تحتمل الإيهام .

وفي عرض برجشتراسر لهذا النمط الشرطي يرى أن العربية أطلقت الماضي على الجملتين باتباع الثانية الأولى ، والغرض من ذلك تقوية عمل الشرط[3] . ويفترض برجشتراسر : إن أكثر اللغات السامية استعملت الماضي وما بمنزلته في الجملة الشرطية (جملة الشرط) والحاضر والمستقبل في جزائها (جملة جواب الشرط)[4] . إذن فبرجشتراسر يرى أن هذا النمط الشرطي حديث ، والهدف منه تقوية عمل الشرط ، بتنوع الأنماط التي يعبر فيها عن خصائص مضافة . وهذه الافتراضات غير موضحة في مؤلفه : التطور النحوي . وقد حاول إبراهيم بركات أن يسند إلى هذا النمط دلالته على الزمن الماضي ، من خلال استقرائه أشعار الهذليين ومن خلال عرضه لموضوعات النمط كان يريد أن يوضح أن دلالة هذا النمط تعبر عن أحداث وقعت . والخطأ الذى وقع فيه يكمن في محاولته تفسير كل شيء ليدخل في نطاق ما قرره لهذا النمط من دلالة على الزمن الماضي . وفي عرضه لأبيات قائمة على التخيل قال :

(١) دلائل الإعجاز ص ٦٧ الجرجاني .

(٢) في النحو العربي نقد وتوجيه ص ٢٩٦ مهدي المخزومي .

(٣) التطور النحوي ص ١٣٣ برجشتراسر .

(٤) التطور النحوي ص ١٣٣ برجشتراسر .

والتخيل في حد ذاته إنما هو مضي في الحدث ، لأن الإنسان يتخيل أحداثا تدور ثم ينطق بما تخيله وتصوره[1] .

إن ربط التخيل بالمضي ليس صحيحا ، فقد يتخيل الإنسان أحداثا لم تقع بعد ، ومثلما لا يصح أن نسند إلى هذا النمط دلالته على الزمن الماضي وموضوعات بعينها ، لا يصح أن تسند إليه دلالته على الزمن المستقبل فحسب ، كما ذهب أغلب النحاة .

قال صاحب الرصف : ثم يجوز أن تدخل على ماضيين وهما في المعنى مستقبلا[2] . وقد بنوا حكمهم هذا لأنهم كما رأينا[3] كانوا قد رأوا أن دلالة الشرط في العربية لا تنطبق إلا على المستقبل في الزمان .

أن هذا النمط لا يعبر - باستثناء بعض صوره - عن زمان معين ، كما لا تعبر الأداة عن زمان بعينه ، إضافة إلى تعبير هذا النمط عن خصائص الارتباط والتعليق الشرطيين - وهو ما ينتظم جميع الأنماط الشرطية - يعبر عن أحداث ستقع فيه ، على وجه مؤكد ، أو مرجحة الوقوع ، إن لم تكن وقعت فعلاً .

---

(١) الجملة الشرطية عند الهذليين ص ١٨ .

(٢) رصف المباني ص ١٠٤ .

(٣) رصف المباني ص ١٧٢ .

صور النمط في موضوع البحث

وردت لهذا النمط أربع صور :

الصورة الأولى :

إذا + جملة الشرط « فعلية فعلها ماض »

+ جملة جواب الشرط « فعلية فعلها ماض »

وردت هذه الصور في [٣٠] موضعا

ومن شواهدها قول العدواني :

١٠ - تتنوع الأسوار كي تصطاده

فإذا دنا استولى على الأسرار

أجنحة ٩٩

وقول العتيبي :

١١ - أريده غيمة بالعطر مثقلة

إذا دعاها ربيع أمطرت عبقا

مزار ٨١

وقول العتيبي

١٢ - إن القلوب إذا جاشت مشاعرها

ألفيت كل حدود الأرض تختصر

مزار ٤١

الصورة الثانية :

إن + جملة الشرط « فعلية فعلها ماض »

+ جملة جواب الشرط « فعلية فعلها ماض »

وردت صورة النمط هذه في {١١} موضعا .

ومن شواهدها قول العدواني :

١٣ - وإن عسبت لي الأنـــواء حينا
وثارت بـي الزوابــع مشمعلــة
أويتُ - على يقين من رضاها -
إلى نفـــق ضــربت عليـــه كِلـةً

أجنحة ٢٠٣

وقول العتيبي :

١٠٤ - إن شاء ربي أعاد الكون دورته
وعـدت مثـل سـراب في فيافيهـا

طائر ٩١

الصورة والقضايا الإعرابية :

أكد أغلب النحاة على أن الفعــل الماضي ، في صورة النمط هذه . مجزوم محلاً[١] لأنه محمول على المضارع المجزوم لفظًا ، وينصب الفرق الأساسي في هذه النقطة ، على أن الـنحاة عادوا فجعلوا الجملة الشرطيــة تنهض على تآلف صيغ فعلــية ، وليس على الجملة ، فــالمحكوم لموضعه بالجزم الفــعل لا الجملة

---

(١) الجمل عبد القاهر الجرجاني ص ٢٤ .

بأسرها[1] . ولكن ابن هشام حين عرض لجمل جواب الشرط المقترنة بالفاء وإذا في سياق أداة جازمة ، جعل المحكوم لموضعه الجملة لا الفعل[2] .

ولهذا فإن الخلاف الظاهري ، يبدو متعلقا بافتراض النحاة وجود علامة جزم في الماضي ، قياسًا على وجودها في المضارع ، وبرفض هذا الافتراض في المنهج الوصفي . ولكن الخلاف الأساسي ، يكمن في الفرق بين نظرتين في تحليل مكونات الجملة الشرطية ، وما يتبع هذا التحليل من عناصر تتعلق بالمعنى ذاته . وقد بين عباس حسن - من المعاصرين - أن لهذا الجزم المحلي آثاره في التوابع كالعطف والبدل وغيرها . فإذا عطف عليه (الماضي) مضارع متحد معه في الزمن ، وجب جزم المضارع ، وإن أبدل مضارع جزم أيضًا ، وهكذا وأن عطف عليه ماض كان مبنيًا في اللفظ ، مجزوم المحل[3] هذا ولم يسق عباس حسن أي مثل لما افترضه من تركيبات - وهمية - يعطف فيها مضارع أو يبدل من فعل ماض ، وهما متحدان في الزمن .

الصورة الثالثة :

« لو + جملة الشرط « فعلية فعلها ماض

+ جملة جواب الشرط « فعلية فعلها ماض »

وردت هذه الصورة في [١٣] موضعا

ومن شواهدها قول العتيبي :

(١) المغني ج ٢ ص ٤٠٩ .

(٢) المغني ج ٢ ص ٤٢٢ .

(٣) النحو الوافي ج ٤ ص ٤٤٠ .

١٥ - لنا أواصـر مجـد لو نضفـرها

جدائلا فوق هامات الورى شرفوا

مزار ١٠٩

وقول الوقيان :

١٦ - وفي كل فجر بسمة لو سقيتها

لبت صـريع الحسـن لمـا تجبرا

الأزمنة ١٤٢

وقول العدواني :

١٧ - قالت : جليل القدر لو شاهدته

شاهـدت تمثـال الجـلالة نيـرا

أجنحة ٢٢٣

وقول العدواني :

١٨ - يا صاح لو غربلت أمجاد الورى

ألفيـت أكثرهـا حـديثا يفترى

أجنحة ٢٢٣

أن الشاعر يؤكد أحداثـا تقع الآن أو ستقع مستقبلا ، فكأنه يـقطع بتحقق الأحداث ، كما لو أنها حدثت ، على الرغـم من أن زمن التركيب ينصرف إلى المستقبل وهذا التحليل لصورة النمط هذه ، يتفق مع التحليل العام للنمط الذي نتناوله .

الصورة الرابعة :

« حين + جملة الشرط » فعلية فعلها ماض

+ جملة جواب الشرط « فعلية فعلها ماض »

وردت هذه الصورة في [١٦] موضعا

وشواهدها قول الوقيان :

١٩ - أدار المواسون أكتافهم
ومروا سراعا
وكم مر قبلهم آخرون
وبت وحيدا
وحين تواروا نظرت إليك
لكي لا أرى أعين الناصحين

المبحرون ٧٣

أن الشاعر يريد أن يؤكد تصميمه على معاودة النظر على الرغم من أن هذا يدخل في إطار الاستحالة ، فكيف ينظر إليه وهو متوسد التراب ؟ أي أن الموت لا يقف في طريقه .

ويقول الوقيان أيضًا في هذا المعنى الذي يفترض فيه أحداثا ليقطع بتحقيقها :

٢٠ - وأحسست بالأرض حولي تدور
ويخرق سمعي نداء القبور
وحين تمالكت نفسي قليلا
توسدت من بعضهم شاهدا

المبحرون ٧٨

وقول العدواني :

٢١ - ما أقدس الصحراء . . . !!

حين رأت أشواقي . .

تفجرت نارا على باب السماء

أجنحة ١٠٣

وقوله أيضًا :

٢٢ - حين أتيتكم . . .

لقصف بي حماستى

أدعوكم . . إلى منازل الخلود

نرفع فوقها البنود

بادرتموني غاضبين قائلين . . .

ابعد فما أنت لنا بصاحب

أجنحة ١١١

وقول العتيبي :

٢٣ - حين هبت من الشمال سموم

أغرقــت زرعـنا بنهـر الرمــاد

طائر ١٣٥

تعبر هذه الصورة ، في جميع أمثلتها عن أحداث تحققت في الماضي .

النمط الثاني

« الأداة + جملة الشرط » فعلية فعلها مضارع

+ جملة جواب الشرط « فعلية فعلها مضارع »

ورد هذا النمط المبنى على تآلف جملتين فعليتين ، فعل كل منهما مضارع ، في [9] مواضع .

مثاله قول العتيبي :

٢٤ - حين أغني الكويت

يخضر كل المدى

حديث السور ٢

وقول العتيبي :

٢٥ - عندما يسرقون من ظلنا النخيل

يباع الجريد أقواس زينة

مزار ١١٦

وقول العدواني :

٢٦ - من يملك الدينار يملك أمرها

فزمامها في خدمة الدينار

أجنحة ٨٦

ويشير حجم استخدام هذا النمط في موضوع البحث « ٩ » مواضع فقط إلى التغير الأساسي الذي طرأ على مكونات التركيب الشرطي في العربية ويكمن هذا التغير في :

١ - أن تركيب النمط الشرطي المكون من (إن + يفعل + يفعل) الذي عده النحاة : التركيب الأساسي في الشرط العربي . لم يرد في موضوع البحث إلا ثلاث مرات من مجموع استخدام الأنماط الذى تكرر في أربعمائة موضع .

ويعنى هذا أن صورة النمط الشرطي المبنية على تعلق فعلين مضارعين بأداة شرط جازمة ، قد اختفت من موضوع البحث ، إلا في ثلاث مرات من مجموع استخدام الأنماط الذى تكرر في أربعمائة موضع والمرات الثلاث التي وردت فيها تلك الصورة مع الأداة (من) .

٢ - تحول هذا النمط الذي تكونه جملتان فعليتان ، فعل كل منهما مضارع ، إلى التركب مع أدوات . . . محولة إلى الشرط وهي ، حين ، عندما ، حيث وهذا التحول يشير إلى محاولة الشاعر الإفادة من خصائص صيغ المضارع الزمنية والحدثية ، مع تفادي المتطلبات الإعرابية بتفادي استخدام أدوات الشرط الجازمة .

دلالة النمط:

قال العتيبي :

٢٧ - حين أغنى الكويت

يطرح شوق السنين

شتى زهور الحنين

حين أغنى الكويت

حديث السور ٣

حصر هذا النمط في حدود تركيب جملة شرطية . . . مكوناتها جملتان

فعليتان . فعل كل منهما مضارع . وهذا المعنى أي الانفعال النفسي يكاد يكون عامًا في هذا النمط . فنلمح الانفعال في قول العتيبي :

٢٨ - مفارقة أن مَنْ يزدريك صباحًا

يغنى سجاياك عند المساء

مزار ١٢٤

أما المعاني الأخري التي انصرف إليها النمط ، فتوزعت بين النصح والإرشاد والحكمة ، وهي قول العدواني :

٢٩ - مَنْ يملك الدينار يملك أمرها

فزمامها في خدمة الدينار

أجنحة ٩٦

الدلالة الزمنية للنمط :

حاولت جميع المباحث النحوية - القديمة والمعاصرة ، أن تلصق دلالة هذا النمط بالمستقبل لثلاثة أمور :

الأول : أن المباحث حددت النمط الشرطي الذى نحن بصدده في سياق أدوات الشرط الجازمة .

الثاني : أن الصيغ الفعلية الواقعة فيه هي صيغ المضارعة الدالة على المستقبل .

الثالث : أن تلك الصيغ تقع في أسلوب لا تتطابق دلالته إلا مع الزمن

المستقبل ، كما أشار إلى ذلك ابن يعيش [1] « نص قول سيبويه » ج ١ ص ١٣٤ .

أما في موضوع البحث فنلاحظ على هذا النمط أنه يأتي في أكثر مواضعه ، مع أدوات شرط غير جازمة والزمن فيه متنوع ، ينصرف إلى جهات متعددة : الماضي ، مطلق الزمن ، المستقبل . ويعنى هذا أن استخدام صيغ المضارع ، في الجملة الشرطية ، هدفه : الإفادة من خصائص هذه الصيغ الدالة على معاني الانفعال والقلق والنصح والإرشاد .

صور النمط :

وردت لهذا النمط ثلاث صور :

الصورة الأولى :

« حين + جملة الشرط » جملة فعلية فعلها مضارع

+ جملة جواب الشرط « جملة فعلية فعلها مضارع »

وردت صورة النمط هذه في خمسة مواضع ، أكثرها جاء عند العتيبي ، ومن شواهدها قول العتيبي :

٣٠ - هي الكويت ومثلي حين يذكرها
تهون من حوله الدنيا وما فيها

عرائس الشعر ٢

وقول العتيبي :

(١) شرح المفصل ج ١ ص ٨٤ و ج ٨ ص ١٥٥ وانظر الكتاب ج ١ ص ١٣٤ استخدم مصطلح جازى وجزم لنفس المعنى .

٣١ - يا صديقي حين تأتي في المساء
تجد الأخـل وكـل الأصـدقاء

طائر ٧٢

وقوله :

٣٢ - حين أغنى الكويــت
يطرح شـوق السنين
شـتى زهـور الحنـين
حـين أغنـي الكـويت

حديث السور ٢.

هناك بعض القضايا التي تتعلق بهـذا النمط منها توالي ثلاث صيغ مضارعة في بناء الشرط ، وخروج الـثانية منها عن الشرط هذه القضـية على الرغم من تناول النحاة لها ، كانت هذه القضية واحدة من القضايا التي حفل بها النحاة : توالي صـيغ متماثـلة للمـضارع في البنـاء الشرط . والقريـنة الإعرابيـة ، عند النحاة، وحدها التي تعين وظيفة كل صيغة ، إذ عرضوا لهذا التوالي في أدوات الشرط الـتي يأتي المـضارع في سياقـها مجزومًا . فالـفعل الذي لا يـدخل في التعليق القائم بين الأفعال الأخرى المجـزومة يرد مرفوعًا للدلالة على الحالية . وقد أفرد سيبـويه لهذه القضية بابـا سماه : باب ما يرتفع بين الجـزمين وينجزم بينهما[1] ومن الملاحظ أن ظاهـرة توالي ثلاث صيغ مضارعة فـي بناء الشرط ، في موضوع البحث ، وخروج الثانية منهـا عن الشرط ، ظاهرة ليست ملحوظة في الشـعر الكويتـي المعاصر . كمـا أن الحالة الإعرابـية التي يدور فـي إطارها فعلان مضارعان مـجزومان ، قد اختفت من موضوع البـحث ، هذا ومع خلو

---

(١) الكتاب ج ٣ ص ٨٥ .

موضوع البحث ، مـن قرينة الإعراب هذه ، إلا أننا سنعرض لهـا بإيجاز شديد وذلك لأسباب عديدة :

أ) أن هذه القرينة ، عـدت أهم قرينة في موضوع الشرط بـرمته ، بل أن هذا الموضوع كان يبحث على ضوئها وليـس العكس . كما أن مصطلحي الجزم والجزاء مصطلحان مترادفان عند سـيبويه والعديد من النحاة[1] أن تصنيف الأدوات على الشـرط وإخراجها منهـا ، يتم من خلال معـيار واحد : أن تكون الأدوات عاملة أو غير عاملة .

ب) أن الشرط أسلـوب لغوي قائم برأسه في الـعربية ولكنه أدرج فـي مباحث أغلب الدراسات النحوية ، قديمـة ومعاصرة ، في موضوع جزم المضارع ، لدواعي إعـرابية بحتـة . لهذه الأسباب كـان علينا أن نـقف على القـرينة الإعرابية في الشرط . وكانت مباحث النحاة قد تناولتها من جانبين رئيسين هما :

١ - العلة في جزم مضارعي الجملة الشرطية .

٢ - تعيين عامل الجزم .

أن النمط الذي عرضنا له ، والذي تدخل في تكـوينه جملتان فعليتان فعل كل منـهما مضارع ، هـو نمط قليل الـرواج في العربـية . أدركنا تحول الـشاعر الكويتى المعاصر إلى النمط الســابق (الأداة + فعل + فعل) وهو النمط السائد في الكـلام العربي ، كـما أن النسبـة الغالبـة في القرآن الـكريم دخول أدوات الشرط على الماضي[2] .

---

(١) الكتاب ج ٢ ص ٣٥ ، ص ٦٣ ، ج ١ ص ١٣٤ .

(٢) الكتاب ج ٢ ص ٣٥ ، ٦٣ .

ونتائج الاستخدام فـي موضوع البحث : / لهذا النمط ، مقـابل / للنمط السابق تأتي متطابقة للنسبة الغالبة .

النمط الثالث

« الأداة + جملة الشرط » فعلية فعلها ماض

+ جملة جواب الشرط « فعلية فعلها مضارع »

ورد هذا النمط في {١٧} موضعًا

ومن شواهد هذا النمط قول العدواني :

٣٣ - يا أخي إنْ مُتُّ . . . لا تسكبْ على قبري دمعه

أجنحة ١٦٦

وقول العدواني :

٣٤ - وغدًا إذا كشفت الغطاء ، وأقبلت

زُهُرُ الكـواكـب باهـرات بالسـنا

سيرى ويعلم كُلُّ مـن عشـق الهدى

مـن فـاز بالأقمـار ، أنتـم أم أنـا

أجنحة ٤٥

أن حجم استخدام هذا النمط في موضوع الـبحث يتطابق مع إشارة النحاة إلى ندرته في الكلام . وعبارة سيبـويه : « ضعف فعلت مع أفعل »[١] . لأنه يخالف مبـدأ المشاكلة بين الصيغ الـذي قال به سيبويه . وقد وضعـه النحاة في المرتبة الثالثة من حيث رواج الأنماط الفعلية في الشرط .

---

(١) الكتاب ج ٣ ص ٩٢ .

دلالة النمط :

يفيد هذا النمـط من وجود صيغتى الفعل الماضي والمضـارع فيه ، بما تفيده الصيغة الأولى من دلالة عـلى القطع والتثبيت وما تفيده الـثانية من دلالة على الاستمرار أو التردد . ففي قول العدواني :

يا أخيَ إن مُتُّ . . . لا تسكب على قبري دمعه

أجنحة ١٦٦

يعبر الفـعل « مت » عن أمر مقطوع بـحصوله ، ويعبر الفـعل « تسكب » عن الاستمـرار ، ففي قول العدواني تتـطابق صيغتا الماضـي « مت » والمضارع «تسكب» في دلالتهمـا على الزمان المستقبل . ولكن صيغة المـضارع تبقى معبرة عن شيء مستمر أو تـدخل في إطار ما هو قابل للاستمرار ، عـلى العكس من الفعل الماضي مت فإنه يعبر - هنا - عـن أمر سوف يقع في المستقبل على وجه التأكيد وينقطع بحدوثه .

أن العربية لم تبتـدع تراكيب متغايره في نظام بنائهـا وصيغها دون أن يكون لهذا التغاير أثـر في المعني . فإذا ما اختلفت الصيغ فـي هذا النمط واتحدت في الزمن والدلالة ، فإن ذلك لا يفسّر - في الشعر - إلا لضرورة الوزن .

صور النمط :

وردت لهذا النمط أربع صور ، هي :

الصورة الأولى :

« إذا + جملة الشرط » فعلية فعلها ماض

+ جملة جواب الشرط « فعلية فعلها مضارع »

وردت صورة النمط في أربع مواضع ، ومن شواهدها قول العدواني :

٣٥ - وإذا نزلْتُ بروضـــةٍ ممطـورة
وألْفتُ طيِّبَ الرَّوضـة المعطـار
ألقـى عـصا التيار تحـت ظلالها
فتعود لي روضـا عـصا التيـار

أجنحة ٩٢

وقول العتيبي :

٣٦ - إنا عهدناك يا بغداد عاصفة
إذا اكفهرت يملّ النفس شاريها

طائر ١٠١

تحليل هـذه الشواهد يتطابـق مع التحليل العـام للنمط . فالفـعل نزلت ، والفعل اكفهرت عبراً عن شيء مؤكد الوقوع أو هو كالواقع لأنهما برغبة الشاعر كما في نـزلت . وعلى الرغم مـن صيغة الفعـل « اكفهرت » دالة علـى الزمن المستقبل إلا أنها مؤكدة الوقوع .

أما صيغة المضارع ألقي ، فعبّر عن التردد في وقوع الإلقاء .

الصورة الثانية :

« حين + جملة الشرط » فعلية فعلها ماض

+ جملة جواب الشرط « فعلية فعلها مضارع »

وردت هذه الصورة في أربعة مواضع ، ومن شواهدها قول العتيبي :

٣٧ - حين أشرأبت بنا الأيام ، واعتَصَبَتْ
بنا الليالي وسار الحق ينتصف
وصالحتنا الرزايا عندما عُلِمَتْ
بأننا من حياض الموت نغترف
نهوى الحياة ربيعًا بيد أن بنا
طبع الكواسر حين الحق يختطف

مزار ١٠٨

٣٨ - حين كنا نتلاقى خُفْيَةً تحت أهداب شباك تَمْكرُ
نرصدُ الغفلة في قيلولةٍ طالما دار عليها الخطر

أجنحة ٤٩

الصورة والقضايا الإعرابية :

جاء الفعلان المضارعان (نهوى ، ونرصد) في الشاهدين مرفوعين ، وقد أجاز سيبويه رفع المضارع بعد الماضي في صورة النمط هذه[1] وجعله على نية تقديمه على الفعل الماضي .

الصورة الثالثة :

« إنْ + جملة الشرط » فعلية فعلها ماض

+ جملة جواب الشرط « فعلية فعلها مضارع »

وردت هذه الصورة في موضعين ، ومن شواهدها قول العدواني :

(١) الكتاب ج ٣ ص ٦٦ وانظر مجالس ثعلب ج ١ ص ٢٦٨ .

٣٩ - يا أخي إنْ مُتُّ . . . لا تسكبْ على قبري دمعة

أجنحة ١٦٦٦

نجد في هذا الشاهد أنّ الفعل المضارع « تسكبْ » مجزومًا بعد فعل ماضي . وقد شغل جزم المضارع بعد الماضي في سياق الأدوات التي تأتي معها الأفعال المضارعة مجزومة شغل جانبًا كبيرًا من مباحث النحاة ، قال سيبويه : « وقد يقال أن أتيتني آتك » . واستشهد بقول الفرزدق :

دَسَّتْ رسولاً بأن القوم أن قدروا

عليك يشفوا صدورًا ذات توغير[1]

الصورة الرابعة :

« من + جملة الشرط » فعلية فعلها ماض

+ جملة جواب الشرط « فعلية فعلها مضارع »

وردت صورة النمط هذه في موضعين هما قول العتيبي :

٤٠ - ومن لم تكن في قلبه مثل نبضه

فليس حريًا أن تكون له قبرا

٤١ - ومن لم يكفكف دمعها ساعة الأسى

فلا يرتجى من غيمها أبدًا قطرًا

طائر ٣٣

(١) الكتاب ج ٣ ، ص ٦٨ ، ٦٩ .

النمط الرابع

« الأداة + جملة الشرط » فعلية فعلها مضارع

+ جملة جواب الشرط « فعلية فعلها ماض »

هذا النمط من الأنماط الفعليـة النادرة في موضوع البحث إذ ورد في ثلاث مواضع .

ومن شواهده قول الوقيان :

٤٢ - من كُلِّ منصـورٍ ومعتـصم
إنْ يُنْدبـوا لِمُلِـمَّةٍ هَبّـوا

الخروج ٥٢

وقول العتيبي :

٤٣ - لنا أواصـر مجـد لو نصفـرها
جدائلاً فوق هامات الورى شرفوا

مزار ١٠٩

ندرة مجيء هذا الـنمط ، في موضوع البحـث ، تتطابق مع نتائـج البحث النحوي : فقد جعل بعض النـحاة هذا النمط على الضرورة[1] أو على القلة[2] وقد حاول ابن خـشاب في المرتجل أن يعلـل ندرة مجيء هذا النـمط . فقال : لأن الجزاء (جملة جـواب الشرط) أقعـد فـي الاستقبال مـن الشرط (جملة الشرط)[3] . وكون الجزاء أقعد من الشرط في الاستقـبال ، مما يتفق والترتيب

(١) المقرب ج ١ ص ٢٧٥ .

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ج ٢ ص ٢٩١ .

(٣) المرتجل ص ٢٢٠ .

المنطقي ، ولـكن منطق اللغة يأبـاه في مواضع كثيرة ، فالصيغ داخل أسلوب الشرط تفقد الكثير من خصائصها الزمنية ، فالحكم عليها داخل هذا الأسلوب، كالحكم عليهـا خارجه . . أمر بعيد عن الصواب . وأقرب تفسـير مقبول لندرة مجيء هذا النـمط هو ما جاء عند سيبـويه الذي جعل المشاكلة بـين الصيغ هي القاعدة التي تحكم . . . هذا الجانب ولهذا قال :

« ضعفت فعلت مع أفعل وأفعل مع فعلت »[1] . وفي نظام عطف الأفعال العربية ما يشير إلى هذا .

دلالة النمط :

أن استقراء نماذج هذا النمط في موضوع البحث يوضح أن الشاعر الكويتي يفيـد من استخـدام صيغتـين مختلفـتين للإفادة مـن هذا الاختلاف فـي الزمن والدلالة . إذ تعبر صيغة المضارع « يندبـوا » « ونضفرها » عن المستقبل ودلالة احتمال الحـدوث . . . حدوث الندب للملمـة أما الفعل الماضي « هبـوا » فعبر كما هي خاصيته الأساسية عن الزمن الماضي وتحقق الحدث .

صور النمط :

وردت لهذا النمط صورتان .

الصورة الأولى :

« إنْ + جملة الشرط » فعلية فعلها مضارع

+ جملة جواب الشرط « فعلية فعلها ماض »

---

(١) الكتاب ج ٣ ص ٩٢ .

وردت هذه الصورة في موضعين . ومن شواهدها قول الوقيان :

٤٣ - مـــن كـــل منصـــور ومعتصـــم
إنْ يُنْدَبـــوا لِلْمَـــــةٍ هَبّـــــوا
الخروج ٥٢

الصورة الثانية :

« لو + جملة الشرط » فعلية فعلها مضارع

+ جملة جواب الشرط « فعلية فعلها ماض »

وردت هذه الصورة في قول العتيبي :

٤٤ - لو يملكـــون لحولوا الأوطان مقفلـــة ومكتب
ولضاربوا حتى بعين الشمس حيث الدفء يطلب
مزار ٤٩

النمط الخامس

« الأداة + جملة الشرط » جملة اسمية خبرها فعل ماض أو محذوف

+ جملة جواب الشرط « فعلية فعلها ماض »

ورد هذا النمط في [١١] موضع وشواهد (لولا) ثلاث في هذا النمط .

فإذا استثنينا جملة لولا الشرطية التي لها وضع خاص ، وأضفنا الجمل الاسمية الأخرى التي تأتي مع نمط آخر سنذكره فيما بعد (وهو النمط الذي يتركب فيه الرابط الشرطي مع جملة جواب الشرط) - عددها خمس عشرة جملة - مع الجمل الاسمية التي جاءت فيها جملة جواب الشرط فعلية فعلها مضارع وعددها خمس جمل .

فإن مجيء جملة الشرط في موضوع البحث اسمية لا يتعدى [ثلاثة وعشرين] موضعا من المواضع البالغة [سبعمائة] يضاف إلى ذلك أن الجملة الاسمية ، في هذه المواضع ليست اسمية محضة ، فقد جاء خبرها فعلا ، وأغلب النحاة يعتبر أن هذه الجملة فعلية - لأن هناك فعلا مقدراً قبل الاسم يفسره المذكور بعده - والكوفيون يعتبرون هذه الجملة على أنها فعلية تقدم الفاعل فيها[١] ويعنى هذا كله أن سياق الشرط - في موضوع البحث - سياق فعلي في نسبته المطلقة . ويقترب هذا من اشتراط النحاة أن تكون جملة الشرط في العربية جملة فعلية . والفرق هنا يكمن في أنهم خرجوا كل شاهد يعترض طريقهم على أساس اضطراد تلك القاعدة « الشرط وجوابه لا يخلوا من الأفعال »[٢] فإذا أولنا في السياق ، أو حملنا جملا على جمل أخرى ، فإننا نقف عاجزين أمام جمل صريحة في الدلالة على الاسمية وهي الجمل التي مع لولا أو الجمل التي تأتي في سياق لو مؤكدة بـ أنّ = لو أن .

والأفضل أو الأصوب أن نقول أن الشرط في العربية ينبني في نسبته المطلقة على تآلف جمل فعلية وفي نسبته القليلة ما عداها وأن الجمل الاسمية تفيد التركيب الشرطي دلالة مضافة بنقل خصائصها إليه .

ومن شواهد هذا النمط قول العدواني :

٤٥ - فإذا الرؤوس تُديرها الأقدام

أسلمت يا ربي إليك إرادتي

أجنحة ١١٧

ومن شواهدها قول الوقيان :

---

(١) الإنصاف ج ٢ ص ٦١٦ .

(٢) المرتجل ص ٢١٩ .

٤٦ - لو كلُ دربٍ بزهر الورد قد فرشت

لما رأيت عليها غير مأفون

المبخرون ٤٧

دلالة النمط :

تتطابق دلالة هذا النمط مع دلالة النمط الذي تتآلف فيه جملتان فعليتان ، فعل كل منهما ماض ، عدا ما تضفيه دلالة الجملة الاسمية من تأكيد الاسم في صدر الجملة أو تخصيصه دون حدث الجملة ، ففي قول الوقيان تقديم الاسم « كل درب » أكسبه تأكيداً دون حدث الدوران ، فالاسم هنا ركيزة التركيب ، أي تأكيد وتخصيص من قام بالحدث لا الحدث نفسه في الجملة الاسمية ، وتأكيد وتخصيص الحدث لا من قام في الجملة الفعلية ، فإذا لم تكن الجملة الاسمية ، في الشعر ، تضيف إلى التركيب الشرطي ، دلالتها تلك كان وقوعها لضرورة الوزن .

صور النمط :

وردت لهذا النمط أربع صور :

الصورة الأولى :

« لولا + جملة الشرط » جملة اسمية (خبرها محذوف)

+ جملة جواب الشرط « فعلية فعلها ماض »

وردت صورة النمط هذه في أربعة مواضع ومن شواهدها قول العدواني :

٤٧ - رأوا وجـه الظـلام فأنـكروه

ولولاهـم لمـا كـان الظـلام

وغطاهـم بـوادي المـوت ليـل

علـى أهـل القبـور له خـسيام

فصاحوا ، والشموس تغيب عنهم

لقـد ضـل المـؤذن والإمـام

أجنحة ٢٩

وقول العدواني أيضًا :

٤٨ - ولولاها لمـا حثـت ركـاب

إليكـم أو ظفـرتم فـي ركـاب

ولا عمرت بكم أرض وأضحـى

لكـم حـول على دك الصـعاب

أجنحة ٢١٤

لم ترد صورة النمط هذه عند الوقيان ، ولم ترد أيضًا عند العتيبي .

صورة النمط والقضايا الإعرابية :

أفاضت المباحث النحوية ، في موضـوع حذف خبر جملة الشرط في سياق لولا ، وأدرجته تحت مصطلح الكـون المطلق[1] كالقـول « لولا الهـواء لمات إنسان » أي لولا الهواء موجود . . . والكـون المقيد وهـو ما وجب ذكره نحو « لولا قومك حديثو عهد بالإسلام لهدمت الكعبة » ولم يأت خبر جملة الشرط

(١) المغنى ج ١ ص ٢٧٣ .

- مع لولا - في موضوع البحث إلا محذوفا ، أو كونا مطلقا على اصطلاحهم .

جاءت جملة جواب الشرط مع لولا في هذه الصورة جملة فعلية فعلها ماض لفظا ومعنى .

الصورة الثانية :

« إذا + جملة الشرط » اسمية خبرها فعل ماض

+ جملة جواب الشرط « فعلية فعلها ماض »

وردت صورة النمط هذه في موضعين اثنين وقد مثلنا لها في الشاهد (٤٦)

الصورة الثالثة :

« حين + جملة الشرط » اسمية خبرها فعل ماض .

+ جملة جواب الشرط « فعلية فعلها ماض »

وردت صورة النمط هذه في موضعين اثنين وردا عند الوقيان وفيهما يقول :

٤٩ - حين الدماء استحالت عويلا

عرائض شكوى

كان لابد من نبض صنعاء

الخروج ٦١

وقول الوقيان :

٥٠ - جئنا معا

حين اشتعال الماء والصلصال

في الزمن الوليد

صنوين كنا

نصطلي لهب السعير

الخروج ٦٥

يلاحظ هنا أن التركيز على مدلول كلمة اشتعال التي جاءت مبتدأ حيث تقابل لهب السعير نتيجة الاشتعال أما كونهما بصنوين والاصطلاء فهما عمليتان تاليتان .

الصورة الرابعة :

« لو + جملة الشرط » اسمية خبرها فعل ماض

+ جملة جواب الشرط « فعلية فعلها ماض »

وردت صورة النمط هذه في ثلاثة مواضع ومن شواهدها قول العتيبي :

٥١ - لو أن كـل معـد كـان شاركنا

في يوم ذي قار ما أخطاهم الشرف

مزار ١١٠

وقول الوقيان :

٥٢ - لو كل درب بزهر الورد قد فرشت

لما رأيست عليها غير مأفون

المبحرون ٤٧

صور النمط والقضايا الإعرابية :

أن كون الجملة الاسمية أحد مكونات التركيب الشرطي في العربي أثار جدلاً كبيراً في الدراسات القديمة والمعاصرة :

١ - أن أداة الشرط يليها الاسم في الظاهر والحقيقة البنائية للتركيب أن هناك فعلا مضمرا . . . يحدده الفعل المذكور بعد الاسم . قال سيبويه : « فإن سقط بعدها اسم ففيه فعل مضمر تبنى عليه الأسماء »[١] .

وعلى هذا سار النحاة ، عدا الكوفيين ، وإن استثنى بعضهم « إن » من أدوات الشرط حيث يكون موقع الاسم بعدها « الابتداء » . قال القيسي : و(هو) رفع بالابتداء عند غيره » . أي عند غير سيبويه ونقل من هذه الاستثناءات رأي سيبويه والأخفش[٢] في جواز وقوع المبتدأ بعد إذا[٣] وهذه الاستثناءات لم تفسر لغويا .

٢ - أن الاسم يرتفع بما عاد إليه من الفعل ، من غير تقدير فعل[٤] وهو رأي الكوفيين - ويعني أن الجملة فعلية عندهم - تقدم الفاعل أم لم يتقدم : فزيد فعل ، وفعل زيد ، جملتان فعليتان . وعلى هذا سار العديد من الباحثين المعاصرين ، وعلى رأسهم المستشرق الألماني (براجشتراسر) الذي ذهب إلى أن . . الفاعل يقدم في الجملة الشرطية نادراً إذا كان اسما . مثاله في القرآن الكريم ﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ﴾[٥] ويقول د. المخزومي : اعتبارات لغوية اقتضت أن يتقدم الفاعل ، ولم تخرج الجمل ، فقد كانت

---

(١) الكتاب ج ١ ص ٢٦٩ .

(٢) مشكل إعراب القرآن ج ١ ص ٣٨٤ .

(٣) شرح ابن عقيل على الألفية ج ٢ ص ٥١ .

(٤) الإنصاف ج ٢ ص ٦١٦ .

(٥) التطور النحوى برجشتراسر ص ١٣٤ .

فعلية ، عن طبيعتها بعدم تقدم الفاعل فإذا ادخلت أدوات الشرط وجدت مجالها الفعلي قائمًا[1] .

لقد عرضنا لوقوع الاسم بعد أدوات الشرط . أما وقوع جملة اسمية مؤكدة بأن كما ورد في قول العتيبي في الشاهد رقم (٥٢) فقد « قال سيبويه وجمهور البصريين بالابتداء »[2] . ولكن نحاة آخرين أبوا إلا أن يقدروا فعلا بعد لو ، لأن هذا التقدير « أقيص ، إبقاء للاختصاص[3] أي اختصاص الشرط بالفعل . فقدر تركيب لو أن بـ « لو ثبت أن » أما خبر المبتدأ في الجملة الاسمية المؤكدة بأن فقد رأوا أن الأكثر كونه ماضيا ، لأنه كالعوض من الشرط »[4] إن الرأى الذي ذهب إلى أن الجملة الشرطية تبنى على تآلف جمل فعلية : مرده أن تلك الجملة قائمة على طبيعة التعليق والتجدد والاستقبال زمانًا والجزم إعرابًا وتلك هي خصائص الفعل في العربية . وينتهي بنا الحكم في هذه النقطة ، من استقراء صور النمط هذا في موضوع البحث ، أن سياق الشرط مع جميع الأدوات ما عدا لولا وعدد قليل جدًا فيها ، هو سياق فعلي في نسبته المطلقة ، وفي القليلة أو النادرة على عبارة برجشتراسر ، على ما عداها .

النمط السادس

« الأداة + جملة الشرط » اسمية خبرها فعل ماض

+ جملة جواب الشرط « فعلية فعلها مضارع »

---

(١) في النحو العربي – نقد وتوجيه ص ٢١٨ .

(٢) شرح الأشموني ج ٤ ص ٤٠ .

(٣) الجنى الدانى ص ٢٩١ .

(٤) الكافية ج ٢ ص ٣٩١ .

ورد هذا النمط في ثلاثة مواضع ، وبصورة واحدة فقط وهي :

« إذا + جملة الشرط » اسمية خبرها فعل ماض

+ جملة جواب الشرط « فعلية فعلها مضارع »

وردت صورة هذا النمط عند العدواني فقط ومن شواهدها قوله :

٥٣ - له نسـب الرغـام إذا المعالـي
مـن الإنسان نيطـت بالأهـلة
يقبـلُ نعـل مـن يعتـوله
ويأمـل أن تُجـلَّ الناس نعلـه

أجنحة ٦٤

في هذا النمط ، إضافة إلى خصائص الجملة الاسـمية التي يكتسبها السياق الشرطي ، وهي هنا التأكيد على من يقوم بالحدث وليس الحدث نفسه ، كما أن صيغة المضارع في جملة جواب الشرط عبرت عن التردد .

وقول العدواني :

٥٤ - إذا القوانين مع الطباع
تضاربت ! لمن يكون النصر ؟

أجنحة ٧٥

جاءت جملة الشرط في هذا الموضع مسبـوقة باستفهام وهذا مما يزيد التردد في عملية المضاربة والنصر ، والتركيز عـلى المنتصر وليس على الانتصار ، فهو عملية تالـية للمضاربة . وهناك أيضًا نمـطان يتبعان أنماط الجملة الاسـمية جملة الشرط والجملة الفعلية جملة جواب الشرط .

وردت صورة هذا النمط عند العدواني فقط وذلك في قوله :

٥٥ - فإذا الرؤوس تُديرُها الأقدام

أسلمت يا ربي إليك إرادتي

وقيادتي وكفافي الإسلام

أجنحة ١٦٧

وإذا لاحظنا السياق الشرطي مع إذا وجدناه قائمًا على التعليق والقول بأن إذا أداة شرط لا تعمل الجزم . إذ إن الجزم في الشرط ليس إلا قرينة تقع مع بعض الأفعال المضارعة في سياق أدوات معينة . والتراكيب الشرطية لا تتحول عن الشرط مع أدوات شرط لا تعمل الجزم - كما نص على ذلك النحاة .

أما النمط الثاني فهو الذي يتبع أنماط جملة الشرط الاسمية التي خبرها جملة فعلية فعلها مضارع - وهذا نمط جديد - وجملة جواب الشرط فعلية فعلها مضارع ونضيف هذا النمط إلى النمط السادس الذي سبق ذكره .

وهذا النمط يتكون من :

« الأداة + جملة الشرط » اسمية خبرها فعل مضارع

+ جملة جواب الشرط « فعلية فعلها مضارع »

ورد هذا النمط في ثلاثة مواضع وبصورتين .

الصورة الأولى :

« إذا + جملة الشرط » اسمية خبرها فعل مضارع

+ جملة جواب الشرط « فعلية فعلها مضارع »

وردت صورة هذا النمط في موضعين عند العدواني فقط ومن شواهدها في قوله :

٥٦ - وإذا المزابلُ تُعجَن الفضلات فيها

وتُصَفُّ في طبق على نسق

يغري النفوس

فتشتهيها

(أجنحة ١٧١)

الصورة الثانية :

« حين + جملة الشرط » اسمية خبرها فعل مضارع

+ جملة جواب الشرط « فعلية فعلها مضارع »

وردت هذه الصورة في موضع واحد فقط عند العتيبي وهو يقول :

٥٧ - نهـوى الحياة ربيعـا بَيْدَ أن بنـا

طبع الكواسر حين الحق يُخْتَطَفُ

نمارس الحرب كُرْها حيث إنَّ بها

نفـع الحـرائق لما تُنْتِنُ الجيـف

مزار ١٠٩

إن الرأي الذي ذهب إلى أن الجملة الشرطية تبنى على تآلف جمل فعلية : مرده أن تلك الجملة قائمة على طبيعة التعليق والتجدد والاستقبال زمانًا والجزم إعرابًا وتلـك هي خصائـص الفعل في الـعربية ومـن المعاصريـن من لاحظ أن الاسمية تـفيد الثبوت إذا كـانت محضة ، فإن كـانت غير محضـة . وهي التي يكون فيها الخبر جملة فعلية فإنها تفيد التجدد[١] .

---

(١) النحو الوافي - عباس حسن ج ٣ ص ١٤٠ ، ١٤١ .

« الانماط المركبة »

النمط السابع

جملة جواب الشرط + و + الأداة + جملة الشرط

ورد هـذا النمط في {٢٤} مـوضعا ، وأكثر هذه المواضع بل معـظمها جاءت مع الأداة « إن » ومثاله قول العتيبي :

٥٨ - وكن لاصقًا بالأرض مثل ترابها
فمن عافها عبد وإن قـد بدا حرا

طائر ٣٤

وقول الوقيان :

٥٩ - درة التاج بعضُ ما جصد الجمـع وإنْ رَضّعَـت جبـينًا غبيـا
ألف حُرٍّ قضى وألـفٌ سيقضـي من عذابٍ ليغـمر الـدفءُ حيـا

المبحرون ١٤

وقول الوقيان :

٦٠ - وسفائنـي فـي الليـل ضائعـة
إمـا سَرَت غـربًا وإنْ شـرقا

المبحرون ٢٥

وقول العدواني :

٦١ - لا !! لَنْ أحِيدَ عن البذار وإن رَعَتْ
زرعـي الجَـرادُ بجيشـها الجـرار

أجنحة ٨٨

وقول العدواني أيضًا :

٦٢ - قالت : مُداراة الأعادي حِكْمَةٌ ... وإذا لقيت العاديات فَدار

وإليك عن بكْر الطريق فإنما ... بكْرِ الطريق كثيرة الأوعار

فأجبتها : مالي بِدَرْبِك غايةٌ ... إني رضيتُ - وإن كرهتُ - خسارى

أجنحة ٩٨

ورود الواو في هذا النمط الشرطي تسبق أداة الشرط لتضيف فيه دلالة العموم .

دلالة النمط :

أن هذا النمط يحقق إضافة إلى دلالة العموم ، دلالة خاصة في تعليق المتناقضات ، ومن خلال هذا التناقض يحقق الشاعر ما يتوخاه من معنى ، ففي قول العتيبي : من يتوهم بأنه حر وهو بعيد عن وطنه فهو عبد لتركه هذا الوطن وعدم التصاقه بأرضه إذ لا حرية للمرء إلا في بلده . وكذلك في قول الوقيان في الشاهد (٦٠) فسفائنه ضائعة عندما يسير في الليل سواء اتجه غربًا أو شرقًا.

أن هذا التضاد بين المتعلقات داخل هذا النمط الشرطي ، يترك أثرًا مضافًا ، لا يتركه ذلك التعليق القائم على الانسجام المنطقي . ففي الشواهد الثلاثة { ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ } يقوم التضاد بين :

العبد	الحر
الغرب	الشرق
الزرع	الحصد
الرضى	الكره

النمط في مباحث النحاة :

عرض الدارسون لهذا النمط التركيبي في العربية ، وقد اختلف في تحليله. قال الصبان في حاشيته ، معقبًا على جمله « زيد وإنْ كثر ماله بخيل » [إذ] زائدة لمجرد الوصل ، ولهذا تسمى أصلية . والواو حالية ، أو شرطية والواو للعطف على مقدرّ ، أي أن لم يكثر ماله وإن كثر ماله ، والجواب محذوف لكن ليس المراد بالشرط فيها حقيقة التعليق ، إذ لا يعلق حقيقة الشيء ونقيضه معًا . بل المراد التعميم[1] وقد أدخل الرضي في كافيته هذا التركيب في نطاق الشرط قال : « وقد تستعمل إنْ الشرطية في الماضي على أحد ثلاثة أوجه - وجعل الثالث - قطعا بوجود الجواب نحو أنت وإن أعطيت جاها لئيم »[2] أما إبراهيم بركات في رسالته « الجملة الشرطية عند الهذليين » فقد ناقش الآراء التي قيلت في هذا النمط على الوجه الآتي :

١ - إنها زائدة وليس هذا من اللغة في شيء .

٢ - تكون إنْ شرطية ولا يحتمل الشرط المعنى ونقيضه في وقت واحد وهذه عبارة الصبان .

٣ - التعميم : والمعنى الأخير أقرب المعاني للواو التي تلتها أداة الشرط في هذا النمط[3] .

وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم كتاب العربية العظيم وجدنا مثل هذا التعليق قائمًا في أنماط شرطية أخرى كقوله تعالى : ﴿إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾[4] .

---

(١) حاشية الصبان ج ٤ ص ٩ .

(٢) الكافية ج ٢ ص ١٠٩ .

(٣) الجملة الشرطية عند الهذليين ١٢٥/١٢٨ .

(٤) آل عمران « ٢٩ » .

التعميم : في أن علم الله واقع في الآية حال .

القطع : في علم الله .

التضاد : بين الإخفاء والإبداء .

فإذا أردنا أن نستوضح معنى الآية ، وجدنا يقترب من القول (أنكم وإن تخفوا ما في صدوركم فإن الله يعلمه) وفي قوله تعالى ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[1] أي وإن نسينا ، لأنهم ، في الاعتقاد ، لا يؤاخذون في حالة عدم نسيانهم أو خطئهم . وقوله سبحانه ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لا يَتَّبِعُوكُمْ﴾[2] أي الأصنام . وهي وإن دعيت أو لم تدع لا تتبع الهدى - لأنها صماء - والتعميم في قوله تعالى ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾[3] ولكن الآية بنيت على اختيار الدعوة وهي ضد عدم الاتباع لأن المدعو أولى بأن يتبع ، لإحداث الأثر الأساسي الذي يهدف إليه التركيب ، ذلك الأثر الذي لن يتحقق إذا قام التعليق بين الطرف الثاني من الشروط وهو « إن لم تدعوهم » الذي يقابله قوله تعالى : ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لا يَسْمَعُوا ﴾[4] أي أنهم لا يسمعون وإن تدعوهم . لقد عرض ابن جنى إلى تراكيب شرطية تتطابق في الدلالة ، مع هذا النمط . قال : الفاء في قوله تعالى ، سبحانه ، ﴿ فإنه ملاقيكم ﴾ ، إنما دخلت لما في الصفة من معنى الشرط ، أي إن فررتم منه لاقاكم ، فجعل ، عز اسمه ، هربهم منه سببا للقيه إياهم - على وجه المبالغة - حتى كان هذا مسببًا عن هذا ، كما قال زهير :

---

(١) البقرة ٢٨٦ .

(٢) الأعراف ١٩٣ .

(٣) الأعراف ١٩٣ .

(٤) الأعراف ١٩٨ .

ومن هاب أسباب المنـايا ينلنه »[1] ومن هنا يمكن أن نطلق علـى الواو في هذا النمط : واو التعميم الشرطي .

دلالة النمط الزمنية :

تضمنت عبارةالرضي « تستعمل (إن) الشرطية على أحد ثلاثة أوجه (منها) ما يكون قطعا بوجود الجواب نحو : أنت وإن أعطيت جاها لئيم » تضمنت دلالة هذا النمط التركيبي على الزمن الماضي فقط . أما في موضوع البحث فلم تكن لهذا النمط دلالة خاصة على زمن معين ، فقد انصرف فيه الزمن إلى المستقبل كقول العدواني :

٦٣ - سوف أرتد من اللج وإن طال غيابي
شعلة تقتحم الآفاق في ضوء عجاب

أجنحة ٢٠٨

والحاضر كقول العدواني أيضًا :

٦٤ - لا !! لن أحيد عن البذار وإن رعت
زرعـي الجـراد بجيشـهـا الجـرار

أجنحة ٨٨

وعبر عن حقائق لا دلالة فيها على زمن ما ، كقول الوقيان :

٦٥ - فما كل مألوف وإن راق طيب

الأزمنة ١٤٣

---

(١) الخصائص ج ٣ ص ٣٢٤ .

وقول العتيبي :

٦٦ - وكن لاصقا بالأرض مثل ترابها
فمن عافها عبد وإن قــد بدا حـرا
طـــائر ٣٤

كما دل على الزمن الماضي كقول العدواني :

٦٧ - وما استأنست يوما فــي مكان
وإن راقــت بـه للأنس حفلـــة
أجنحة ٢٠٠

صور النمط :

وردت لهذا النمط صورتان :

الصورة الأولى :

جملة جواب الشرط + و + إن + جملة الشرط

وردت صورة النمط هذه فـي عشرين موضعا وقد مثلنا لـها ومن شواهدها قول الوقيان :

٦٨ - درة التاج بعض ما حصد الجمـ
ـع وإن رصعــت جبينـــا غبيـــا
المبحرون

وقول العدواني :

٩٦ - قالت : مُداراة الأعادي حِكْمَةٌ وإذا لقيــت العــاديات فَــدار
وإليك عــن بكْر الطــريق فإنمـا بكْرِ الطــريق كثيــرة الأوعـار

فأجبتـــها : مالي بِدَرْبِكِ غـــاية إني رضيتُ - وإن كرهتُ - خسارى

أجنحة ٨٩

الصورة الثانية :

جملة جواب الشرط + و + لو + جملة الشرط .

وردت صورة النمط هذه في أربعة مواضع . ومن شواهدها قول الوقيان :

٧٠ - لن أهتـدى ما دمـت دونـي حجـة
ولو اعتليت مـــن الفصاحـــة منبـــرا

المبحرون ٨٦

وقول العتيبي :

٧١ - وكل دمعـة طفـل سوف تدمعـه
عين الطغـــاة ولـــو جفـت مآقيـها

طائر ٩٢

الصور والقضايا الإعرابية :

النمط الثامن

جملة جواب الشرط + حتى + الأداة + جملة الشرط

جملة جواب الشرط + حتى + لو + جملة الشرط

ورد هذا النمط في موضعين اثنين وبصورة واحدة فقط مع الأداة لو .

صورة النمط :

جملة جواب الشرط + حتى + لو + جملة الشرط

ومثاله قول العتيبي في قصيدته « نداءات إلى قلب مهاجر »

٧٢ - يا قلب يا قمـرا يهاجـر خلـف أمسية مضاعـة
لملـم بقـايا جـذوة خفتـت وكـن بدء التماعـه
كن في عيون العاشقين ، تلهفا ، خجلا ، ضراعة
كن لحظة الميـلاد ، حتى لو بـدت فيهـا فضاعـة

مزار ١٠٣

دلالة النمط :

تتطـابق دلالة هذا النـمط مع النمط السـابق : التعـميم والقطـع بحدوث الجواب ، فـحتى ، في هـذا النمط ، تـرادف الواو في الـنمط السـابق . اذن فحتى في هذا النمط هي أداة للتعميم الشرطي .

النمط التاسع

جملة جواب الشرط + حتى + و + الأداة + جملة الشرط

ورد هذا النمط في موضعين وبصورة واحدة مع الأداة لو

صورة النمط :

جملة جواب الشرط + حتى + الواو + لو + جملة الشرط

يتكـون هذا النمـط من تركب أداتى الـتعميـم الشرطي (حـتى + و) مع

الجملة الشرطية . ويأتي تركبهما ، لكونهما يتحدان في إضفاء دلالة واحدة ، على التركيب الشرطي ، وهي دلالة التعميم ، فيأتيان ليعمقا هذه الدلالة .

من شواهده قول العتيبي :

٧٣ - من ألبسته الشمس حلة عرسها
وكسته نور بهائها الأقمار
لم يرض من دون التألق حلة
حتى ولو نسجت له الأزهار

مزار ١٦٣

العتيبي في شاهده هذا يريد أن يعمق صورة البحر وتألقه ، فمهما نسجت له الأزهار من أشكالها حلل فهو لا يرضى إلا بأكمل وأجمل حلة من التألق لما أسبغته عليه الطبيعة من ضوء وبهاء ، ويقطع هذا الكمال في التألق معمما إياه في أية حال كان في الضوء أو في النور في النهار أم في الليل فهو رائع في تألقه جاء هذا النمط في صورة واحدة عند العتيبي فقط .

النمط العاشر

حتى + الأداة + جملة الشرط + جملة جواب الشرط

ورد هذا النمط في {٤} مواضع مع الأداة إذا فقط

ومثاله قول الوقيان :

٧٤ - لكم نظرنا إليك حلما
فكنت تسقي القلوب مطلا
حتى إذا طالت الليالي
وما اختطفنا إليك وصلا

أتيت فيضا من الأماني

ما كان أشهى المنى وأحلى

الأزمنة ٧٧

حلم الشاعر يسقى من خواطر الشاعر ، وفجأة ينقطع حدث الأحلام ليحدث الاقتراب من الأماني بل الفيض من الأماني فقد انتقل الشاعر من حدث ، بقطعه فجأة إلى الحدث الشرطي . وكانت أداة القطع والتحول إلى الحدث الشرطي هي الأداة حتى :

النمط في المباحث النحوية :

تعامل النحاة القدماء مع تركيب حتى ، المحولة إلى الحدث الشرطي من زاوية متطلبات منهج العمل النحوي ، فقد اختلفوا في أنها إذا دخلت على «إذا» وهي ظرف ، فهل تتجرد من ظرفيتها ؟ فذهب الرضي إلى أن إذا بعد حتى « باق على ما كان عليه من طلب الجملتين »[1] ونقل الرضي رأيا أسنده إلى بعضهم « يجوز فيه أن تتجرد إذا بعد حتى عن الشرطية » . وينجر بـ (حتى) »[2] .

وقد حاول الزمخشري أن يجمع بين الرأيين فقال في قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾[3] . هي جملة شرطية وقعت بعدها وقوع الابتدائية[4] . ولم يلاحظ النحاة ، وهم يمنعون ، النظر بحثا عن التأثيرات الإعرابية المتبادلة ، ما تضفيه (حتى) من دلالة على النمط . وهو

(١) الكافية ج ٢ ص ١١٢ .

(٢) الكافية ج ٢ ص ١١٢ .

(٣) سبأ ٢٣ .

(٤) الأحاجي النحوية ص ٦٥ .

ربط حدثين ثانيهما حدث شرطي . وعالجت بعض الرسائل التي انعقدت على الشرط تركيب حتى مع الجملة الشرطية . ومن هذه الرسائل « رسالة الشرط في القرآن » قال صاحب الرسالة : ولعل فائدة حتى في هذه الآيات ، أنها أداة رابطة ، ربطت الجملة ما قبلها بالجملة المصدرة بـ إذا بعدها »[1] ولم يتبين ماهية هذا الربط . أما صاحب رسالة « الجملة الشرطية عند الهذليين » فقد وضع يده على وظيفة حتى في هذا النمط الشرطي قال : فإن طبيعة الربط بالأداة حتى التي تسبق أداة الشرط هو الربط بين حدثين الأول منهما كان مستمرا ، فقطع فجأة بحتي ، وما بعدها ، ويمكن تسمية حتى هذه ، لما سبق ، بـ حتى الإنقطاعية »[2] ثم نوه بأن معنى الحدثين هنا متضادان . ولكنه جعله تضادا بين حدث مستحب قبل حتى والثاني وهو التالي لها مستكره قال : « وهذا يتلاءم مع طبيعة الأداة ، حتى في الأنماط التي استخدمت فيها[3] .

إن إطلاق أن يكون الحدثان مستحبا فمستكرها قد يكون مرتبطا بدلالة التراكيب الشرطية لهذا النمط في رسالته هو ، ولكن هذا لا يمكن تعميمه . ففي قوله تعالى : ﴿ **قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا** ﴾[4] . فبعد حدث نفخ النار والتحول إلى حدث جعله نارًا . . . لم يرد حدث مستكره أو مستحب بل أمر مترتب على تحويل الحديد إلى نار .

إن حتى في هذا النمط أداة تفيد قطع حدث سابق على حدث الشرط والتحول إلى حدث جملة الشرط فحدث جملة جواب الشرط .

---

(١) الشرط في القرآن ص ١٩٠ .

(٢) رسالة الجملة الشرطية عند الهذليين / إبراهيم بركات ص ٤٦ .

(٣) رسالة الجملة الشرطية عند الهذليين ص ٧٣ .

(٤) الكهف ص ٩٧ .

دلالة النمط ونظامه :

مر بنا أن الجملة الشرطية في النمط الثاني من هذا المبحث ، تتركب مع حتى التي تفيد التعميم الشرطي . وهي ، كذلك ، تتركب مع حتى في هذا النمط . . . فتفيد (حتى) هنا قطع حدث سابق على الجملة الشرطية والتحول إلى حدثها . ويرتبط الفرق بين دلالة التركيبين ، بنظام كل تركيب منهما . . . فحتى ، أداة التعميم الشرطي تأتي مع نظام واحد هو الذي تتقدم فيه جملة جواب الشرط على جملة الشرط . أما حتى المحولة إلى الحدث الشرطي فلا تأتي إلا وجملة الشرط متقدمة على جملة جواب الشرط . فنظام الجملة الشرطية في هذا النمط ، أحد القرائن في تحديد دلالته .

صور النمط

وردت لهذا النمط صورة واحدة مع الأداة إذا

الحدث الأول + حتى + إذا + جملة الشرط + جملة جواب الشرط

هذه الصورة هي السائدة في النمط إذا وردت في {٤} مواضع .

ومن شواهدها قول العدواني :

٧٥ - خفض عليك إنني ... بعض كلاب البادية
جئت لكي أدفن عظـ ... ما في الرفات البالية
حتى إذا جاء الطوى ... علي عدت ثانية

أجنحة ١٩٩

جملتا الشرط وجوابه ألفتا نظاما واحدا من حيث طبيعة الصيغ الواقعة فيهما . فقد جاءتا جملتين فعليتين ، فعل كل منهما ماض .

النمط الحادي عشر

الحدث الأول + الفاء + أداة الشرط + جملة الشرط + جملة جواب الشرط

ورد هذا النمط في {١٢} منها قول العدواني :

٧٦ - وشاهدت الرياض وحولها للسوس أوكار

فأقلبت على الأوكار أحرقها

فلما شبت النار

تخاذلت النواطير . . . وخافت من لهيب النار

أجنحة ٨٠

أقبل يحرق الأوكار وفجأة ينقطع حدث الحريق بتخاذل النواطير وهربها من لهيب النار .

لقد جاءت الفاء في هذا النمط لتؤدي قطع الحدث السابق على الجملة الشرطية وتنتقل به إلى حدث تلك الجملة . إن وظيفة الفاء في هذا النمط تتطابق مع وظيفة (حتى) في النمط السابق .

صور النمط :

وردت لهذا النمط ثلاث صور :

الصورة الأولى :

الحدث الأول + الفاء + إذا + جملة الشرط + جملة جواب الشرط

وردت صورة النمط هذه في سبعة صور ومن شواهدها قول الوقيان :

٧٧ - لك ما ترى بين الخلائق والـوري

ولي الـذي مـا لا تـدين ولا تــرى

فإذا أصبــت فإنـــي بك معجـــب

ولربمــا شايعـــت رأيـك مكـــبرا

المبحرون ص ٨٥

وفي قول العدواني :

٧٨ - صـــور ألفها الوهـم بليـل أو نهار

فمشيت تعبث بالناس على غير خيار

فإذا هم بشجــار مستحسر ونفـار !!

أجنحة ١٨١

وقول العدواني أيضًا :

٧٩ - عشق الكرى ، فإذا صَحَا عَرضت له

شمـس الضُحـى مصبـوغـة بالقـــار

أجنحة ٩٧

الصورة الثانية :

الحدث الأول + الفاء + إنْ جملة الشرطِ + جملة جواب الشرط

وردت الصورة هذه في ثلاثة مواضع ومثالها في قول الوقيان :

٨٠ - إني لأهوى أن أرى الدا

رفنــــــاءً زينــــــا

ينســـاب فـــي أفيائِها الـــ

حُـــب فتزكـــو وطـــنا

فـــإن بَغـــــى ذو أربٍ
وما ارعـــوى وما انثنـــى
فلن يـرى فــي مبضعـــي
إلا عــــــذابا ســـــكنا

تحولات ص ٨٩

الصورة الثالثة :

الحدث الأول + الفاء + لما + جملة الشرط + جملة جواب الشرط

وردت هذه الصورة في موضعين عند العدواني ومثالها قوله :

٨١ - دع الهـمَّ لمـن يلهـــج بالنـــصر وبالمجـــد
أضاع العمـر دامـي الطرف يرعى طلعـــة السعد
فلمـا نضـب العـزم وجفــت زهـرة العمر
رأى من حـوله طيفًا ينـاديه إلـى القـبر

أجنحة ٢٢٤

النمط الثاني عشر

{ أداة الشرط + ما }

يتكـون هذا النمـط من تركيـب الجملة الـشرطية مـع الأداة « ما » التالـية لأدوات الشرط . وقد تنوعت أنظمة الجملة الـشرطية في هذا النمط ، منها ما تقـدمت فـيها جملة الـشـرط علـى جملـة جـواب الشرط ومنها مـا تقدمت جملة جـواب الشرط وأخرى اكتنفت فـيها جملة جواب الشـرط الأداة وجملة الشرط .

ويهمنـا في هذا النمط أو أي نمـط تلي فيه « ما » أدوات الـشرط أن نضع

أيدينا على وظيفة « ما » ودلالتها التركيبية في الشرط . أما أنماط الشرط وفق نظامها الترتيبي فهذا ما ستتعرض له في مبحث قادم .

ومن شواهد هذا النمط قول العتيبي :

٨٢ - بلادي ملاذ الخائفين ومثلهم
إذا ما اكفهر الدهر صارت لهم سترا

طائر ٣٥

وقول الوقيان :

٨٣ - بارتعاش الجفون في هدأة الليل
إذا ما غفا السراج المسهد
كم قطفتً الزهور من روضِ خَدّيك
وقَلْبِـي علـى يَدَيْـكِ تَعَبَّـدْ

المبحرون ١٤١

وقول العدواني :

٨٤ - كتبت أسطرًا على الورق
ومررت الريح بها
فأصبحت دخانًا
وحينما أشعلت قلبي فاحترق
وجدت أسطري
تفجرت نيرانًا

أجنحة ٧٧

وقول العدواني أيضًا :

٨٥ - أتحمل الأوقار عنهم كلما

هَدَّتْ قُوَاهُمُ شدة الأوقار

أجنحة ٩٩

ورد هذا النمط ، أو هذا التركيب - وهو تركيب « ما » مع أدوات الشرط - في ستين موضعا [٦٠] .

فما دلالة تركيب « ما » مع أدوات الشرط ؟

إن هذا التركيب هو ظاهرة أساسية في اللغة العربية فالأداة « ما » تتركب مع جميع أدوات الشرط . قال صاحب الأصول : « وكل الحروف والأسماء التي يجازى بها فلك أن تزيد عليها (ما) ملغاة »[١] كذلك نجد (ما) اللغوية تحول ظرف مثل : « عند » واسم مثل : كل ، إلى أداتي شرط بعد تركيبها مع ما .

لقد تعرض النحاة لتحليل النصوص الشرطية التي تلي فيها (ما) أدوات الشرط . . . وعالجوها من زاوية منهجهم ذاته . . . وإذا مضينا نبحث في ملاحظات النحاة والدارسين المعاصرين حول الإمكانية اللغوية للأداة (ما) تجمع لدينا العديد من الآراء ، نوجزها كما يلي :

١ - ما : زائدة مؤكدة : قال سيبويه : « وهي لغو في أنها لم تحدث ، إذا جاءت ، شيئًا ، لم يكن قبل أن تجيء ، من العمل ، وهي توكيد للكلام »[٢] .

٢ - ما : مخلصة للشرط : أي تقيد الأدوات ، التي تقع بعدها ، بالشرط « لن إذا ومتى وأين وإن ، تستعمل شرطًا وغير شرط ، وزيادة (ما) فيها

---

(١) الأصول ج ٢ ص ١٦٦ .

(٢) الكتاب ج ٤ ص ٢٢١ .

مختصة بحال الشرطية »[1] . أى أن (ما) قرينة على أن الأداة التي تسبقها أداة شرط ليس غير ، فإن لم توجد جاز أن تكون الأداة للشرط أو لغيره .

٣ - ما ضميمة جازمة : حين تتركب مع أداة الشرط كيف ، قال ابن هشام « ولا يجوز أن تقوم كيف تجلس أجلس ، بالجزم ، وقيل يجوز بشرط اقترانها بـ (ما) »[2] .

٤ - ما ضميمة تفيد زيادة الإبهام وزيادة المجازاة حسنا . قال ابن يعيش « فإذا دخلت ما على متى ، أين ، زادتهما إبهامًا وازدادت المجازاة بها حسنًا »[3] .

٥ - « ما » كافة عن الإضافة عند دخولها على أداتي الشرط إذ ، وحيث « ليتأتى الجزم بهما ، وإنما لم تجتمع الإضافة والجزم ، لأن المضاف إليه حال محل الاسم ، فهو واجب الجر ، فكيف يجزم »[4] .

٦ - « ما » ضميمة لتمكين الشرط في بعض الأدوات الشرطية . . . قال القيسي : « قوله : أينما : ظرف مكان فيه معنى الاستفهام والشرط . ودخلت ما ليتمكن الشرط »[5] .

٧ - « ما » تفيد « تقريب زمن حدوث الشرط »[6] .

تلك بعض الآراء التي قيلت في الأداة « ما » التي تلي أدوات الشرط .

---

(١) الكافية ج ٢ ص ٣٨٥ .

(٢) مغني اللبيب ج ١ ص ٢٠٥ .

(٣) شرح المفصل ج ٧ ص ١٣٣ .

(٤) حاشية الصبان ص ١٣٤ .

(٥) مشكل إعراب القرآن ج ١ ص ٢٠٣ .

(٦) البنية اللغوية في شعر عروة بن الورد - رسالة ص ٢١١ .

وهي تعكس خلافات أساسية في تحديد دور (ما) في التركيب الشرطي . ولابد أن نقف قليلاً على تلك الآراء :

١ - الزيادة: إن الزيادة، كمفهوم، واضحة الأسس في منهج العمل النحوي . من حيث كـون الزائد لا يحدث شيئًا من الـعمل على عبارة سـيبويه . . . ولكنها ليست واضحة من حيث المعنى . . . لأن تقبل فكره وجود زائد لا أثر له في المـعنى أمر غير مقبـول . وقد أحسن سيبويه بـشيء من هذا ، فرأى أن زيادة (مـا) هنا تؤدي التوكـيد المعنوي « لأن تكـثير اللفظ يـفيد تقوية المعنى »[1] .

وقد حاول آخرون أن يبرروا وجود (ما) بغير الزيادة الـنحـوية فقـالوا بأنها « يتوصل بها إلى زنه أو إعراب أو طلبا للفصاحة »[2] أن إطلاق القول بأن كثرة اللفظ تـفيد المعنى أمر تأبـاه اللغة لأنه سينتـج عندنا سلسلة مـن الأصوات غير المتناسبة ويمكن أن يكون القول صحيحا إذا كان هناك تناسب ، في المعنى ، بين ما زيد وما زيد عليه . ومن هنا فإنـه لابد من تناسب معنوي بين (ما) وأدوات الشرط التي تسبـقها حتى يكون التعليل سليـمًا . أما الزيادة لزنة أو لإعراب أو لفصاحة ، فإنه يلزم على هذا القول أن تعم فوضى الاختيار في اللغة .

لقد اضطرب مفهوم الزيادة لدى النحاة ، لأنهم لم يبحثوا عن التناسب بين الزائد وما زيد عليه[3] وكان ثعلب في معرض كلامه عن الآية الكريمة : ﴿ فبما رحمة من الله ﴾ قد قال : يـقول أهل البصرة توكيد (أي ما فـي الآية توكيد) فإذا سئلوا - أي أهل البصرة - كيف هي توكيد ؟ يقولون لا ندري[4] .

(١) الأشباه والنظائر ج ١ ص ٢٠٥ .

(٢) الأشباه والنظائر ج ١ ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

(٣) ابن درستويه ص ١١٥ .

(٤) مجالس ثعلب ج ٢ ص ٢٤٩ .

والإجابة بالنفي دقيقة ، لأنه لو كان هناك تناسب بين ما بين ما زيدت عليه لافصحوا عنه . فلما لم يجدوا مثل هذا التناسب أجابوا بالنفي .

٢ - « ما » مخلصة للشرط : يرده أن (من) تتنوع وظائفها ودلالاتها في اللغة . . . ولكنها لم ترد في أي شاهد . متلوة بـ ما .

٣ - ما أداة جازمة ويرده أنها تأتي مع (إذا) ولا يتأتى الجزم بها .

٤ - ما لزيادة الإبهام والحسن : وهذا لا يمكن ملاحظته في تركيبين مثل (متى تقم أقم) و (متى ما تقم أقم) .

٥ - كافة عن الإضافة : يردة أنه يؤدى الشرط بـ إذا وحيث وإذا بدون (ما) ، مع أن هذه الأدوات مضافة توهما .

٦ - لتمكين الشرط في بعض الأدوات : كأين . . . ويرده أنها بإفادتها هذا التمكين يجب أن تلازم أدوات الشرط . . فلا تتحول عنها إلا لضرورة قصوى ، لكن العكس هو الجاري في الكلام . كذلك فإن «القيسي» لم يبين الخصائص التى تنطوي عليها ما لتمكن الأدوات من الشرط .

٧ - وأخير تفيد ما تقريب زمن حدوث الشرط : ولا نلاحظ هذا في العديد من التراكيب الشرطية التي تلت فيها (ما) أداة الشرط . ففي قوله تعالى : ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ ﴾[1] فالجواب مترتب في حدوثه على حدوث جملة الشرط ، التي تقوم على افتراض وقوع الحدث فيها أو عدمه فقد يبلغ الوالدان سن الشيخوخة ، وقد يتوفّاهما الله قبل ذلك ، فإذا حدث أن بلغا هذا السن ، وأصبحت أفعالهما تصدر عن وهن في العقل والجسد ، فعلى الابن أن يتحملهما . . . حتى

---

(١) الإسراء / ٢٣ .

لا يكون منه صوت صغير يدل على ضجره . وليس هناك أية إشارة إلى أن زمن الشرط يقترب حدوثه .

فإذا نفينا عن (ما) ما أسند إليهما ، فمن الواضح أن (ما) هي إحدى أداتي شرط أساسيتين في العربية ، والثانية هي إنْ ، (ما) تحتفظ بأدائها الوظيفة الشرطية حين تقع بعد أدوات الشرط ، وإن تلك الأدوات ، لم تكن أدوات شرط ، بل هي ظروف وأسماء تحولت إلى الشرط ، وإن هذا التحول يبين لنا سبيل التطور اللغوي الذي يصيب تلك الأدوات في حركتها الدائمة داخل التراكيب اللغوية . ونستدل على أن (ما) في موضعها هذا هي أداة الشرط الأساسية . إذ أشار النحاة والدارسون المعاصرون إلى ظاهرة ترادف أداتين ، تؤديان وظيفة واحدة ، في تركيب واحد . قال الفراء : « وربما أعادت العرب الحرفين ومعناهما واحد[1] . وقال في موضع آخر : « العرب تجمع بين الشيئين من الأسماء والأدوات إذا اختلف لفظهما ، فمن الأسماء قول الشاعر :

من النفر اللائي الذين إذاهم ... يهاب اللئام حلقة الباب قعقعوا

وأما في الأدوات فقوله :

ما إن رأيت ولا سمعت به ... كاليوم طالى أينق جرب

والكاف قد أجزئت من مثل ، وإن العرب تجمع بينهما فيقولون : زيد كمثلك . وقال الله عز وجل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[2] واجتماعهما دليل على أن معناهما واحد . كما اخبرتك في ما وإن[3] ويعنى هذا أن (ما وإن) حين يأتيان لمعنى واحد يتركبان معا على سبيل التوكيد

---

(١) معاني القرآن ج ٣ ص ١٣٠ .

(٢) الشورى / ١١ .

(٣) معاني القرآن ج ٣/ ٨٤ ، ٨٥ .

اللفظي . أي أنه وجد تناسب بين الزيادة وما زيد عليه . وألمح بعض النحاة أنفسهم أن ما التالية لبعض أدوات الشرط هي ما الشرطية ، ونعرض لهذا مع الأداتين إحداهما (حين + ما) . قال الرضي : فإذا جئت بالظروف قبل من وما وأي ، فالواجب ، كما ذكر سيبويه جعلها موصولة سواء ولى الكلمة المذكورة ماض أو مضارع نحو / اتذكر حين ما تفعله أفعله . وقد يجوز جعلها في ضرورة الشعر شرطية[1] والثانية (كل + ما) قال ابن هشام « ما المصدرية التوقيتية شرط ، فمن هنا احتيج إلى جملتين إحداهما مترتبة على الأخرى ولا يجوز أن تكون (ما) شرطية . ويتيح لنا رأى ابن هشام أن نتثبت مما نذهب ، من أن ما بعد الظروف والأسماء هي أداة الشرط تركبت مع كل ها هنا . والتركب قام بين كل وهو اسم دال على العموم وبين (ما) الشرطية . ونتج ، عن هذا التركيب ، أداة لها خصائص معينة في سياق التركيب الشرطي ، إذ تفيد التكرار حدثى الجملة الشرطية ، على الرغم من أن دخول كلمتين على بعضهما ، ولهما دلالة واحدة ، أمر يفيد منه الكلام العربي كثيراً . أما قوله بأن (ما) لا ترد بمعنى الزمان ، على الأصح ، فمحاولة منه للتفريق بين ما التي تلت كل وما الشرطية الأساسية . ومن الملاحظ أن لا للأداة في الشرط على الزمن ، والزمن زمن السياق ، وقرائنه ومع ذلك فإن قول ابن هشام فى عدم ورود ما للتعبير عن الزمان ، يناقض قوله « ما الشرطية : وهي نوعان : غير زمانية . . . وزمانية أثبت ذلك أبو علي وأبو البقاء وأبو شامة وابن بري وابن مالك ، وهو ظاهر قوله تعالى : ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُم﴾[2] ،[3] .

أن هذا النوع من التضام - مجىء ما بعد أدوات الشرط يضطرد في جميع

---

(١) الكافية ج ٢ ص ٢٥٨ .

(٢) التوبة / ٧ .

(٣) المغنى ج ١ ص ٣٠٢ .

أدوات الشرط ، ما عدا أداة الشرط (من) التي اختصت بالدلالة على العاقلين في حين اختصت (ما) بالدلالة على غير العاقلين ، فالجمع بينهما يصيب دلالة الاختصاص تلك بالاضطراب ، لأن اختصاص الأداتين على العاقل وغير العاقل لا يمكنهما من التركيب معًا .

ونحن نلمح هذا واضحًا في جميع التراكيب التي بنيت على ضمّ (ما) إلى الظروف والأسماء ، قوله تعالى : ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ﴾[1] .

* * *

صور النمط

الصورة الأولى :

إذا + ما + جملة الشرط + جملة جواب الشرط

وردت هذه الصورة في خمسة عشر موضعًا ومثاله قول الوقيان :

٨٦ - إذا ما انتهى بي الصيف يومًا لدوحةٍ
مطـرزةٍ فيحـاء كالحُلـم أزهـر
فمـا همنـى أن الشتاء يظلّها

الأزمنة ١٤٣

وقول العدواني :

٨٧ - إذا ما جَنّ ليلى طالعتني
كواكب في نواحي الأفق جَذْلة

أجنحة ٢٠٢

---

(١) الإسراء ص ١١٠ .

الصورة الثانية :

جملة جواب الشرط + إذا + ما + جملة الشرط

وردت هذه الصورة في خمسة مواضع ومن شواهدها قول الوقيان :

٨٨ - وكلّ درب به مُحِبٌّ
ومُدَّعٍ وصله بليلى
فكنْ لقوس الزمان درعًا
أو كن إذا ما سَمَوتَ نبلا

الأزمنة ٨١

وقول العتيبي :

٨٩ - بلادي ملاذ الخائفين ومثلهم
إذا ما اكفهر الدهر صارت لهم سترا

طائر ٣٥

وقول العدواني :

٩٠ - نكبة هزت الكويت كهولاً … وشبابًا وروعت كل أسره
وعزيز على الكويت إذا ما … فقدت رائد الشباب وبدره

أجنحة ١٧٥

الصورة الثالثة :

حين + ما + جملة الشرط + جملة جواب الشرط

وردت هذه الصورة في ستة مواضع ، ومن شواهدها قول العتيبي :

٩١ - حينما شـاقه الرحـيلُ تَمطى

حوله هاجس عـن الركب عاقله

مزار ٨٦

وقول الوقيان :

٩٢ - حينما جاوز الركب أفياءَ مأرب

أسوار صرواح

كُنّا عطِـــاشًا

الخروج ٥٨

وقول العدواني :

٩٣ - وحينما أشعلت قلبي فاحَرق

وجدت أسطرى

تفجــرت نيرانا

أجنحة ٧٧

الصورة الرابعة :

جملة جواب الشرط + حين + ما + جملة الشرط

وردت هذه الصورة في موضعين ، ومثالهما قول العدواني :

٩٤ - ثـم لمـا تهافتـت   مطـرًا أو حـل الثرى

حَقَدَتْ حينمـا وهـت   دون أن تبلـغ الذُّرى

أجنحة ٤٣

الصورة الخامسة :

كل + ما + جملة الشرط + جملة جواب الشرط

وردت هذه الصورة في [١٣] موضعًا ومن شواهدها قول الوقيان :

٩٥ - كلمـا عبَّـدتُ دربـًا عبـروا
ولكـم فـوق ضلـوعي يعبرون

المبحرون ٤٠

وقول الوقيان أيضًا :

٩٦ - كلما جئت لكى تسرق كلمة
كل عين ها هنا ترقبُ خطوك

الأزمنة ٦٣

وقول العتيبي :

٩٧ - كلمـا لاح فـي سـمانا هـلال
واسـتوى بـدره صنعنـا محـاقة

مزار ٩٠

الصورة السادسة :

جملة جواب الشرط + كل + ما + جملة الشرط

وردت هذه الصورة في أربعة مواضع ومن شواهدها قول العتيبي :

٩٨ - تركـوه كغـابة الملـح تَعْرَى
كلـما حـدد الربيـع ائتلاقـه

مزار ٨٦

وقول العدواني :

٩٩ - إنني منك قريب . . . كلما ضوأت بقعة

لقد أضفت « كل » بتركبها مع « ما » تكرار الأحداث الواقعة في الجملة الشرطية .

الصورة السابعة :

عند + ما + جملة الشرط + جملة جواب الشرط

وردت الصورة هذه في [٦] مواضع ومثالها قول العتيبي :

١٠٠ - عندما يسرقون من ظلنا النخل

يباع الجريد أقواس زينة

مزار ١١٥

الصورة الثامنة :

جملة جواب الشرط + عند + ما + جملة الشرط

وردت هذه الصورة في موضعين ، عند العتيبي في قوله :

١٠١ - أطعم القلب من رُؤاك الجميلة

عندما تصح الليالي بخيلة

مزار ٧٣

نخلص من كل ما تقدم أن (ما) التي تلي أدوات الشرط هي إحدى أداتي شرط أساسيتين في العربية ، وهي تلي إن فتؤكدها ، وهذا التأكيد من قبيل التوكيد اللفظي . أما مجيئها بعد الأدوات الأخرى ، فيبين لنا سبيل التطور الذي أصاب تلك الأدوات ، وهي ظروف وأسماء وحروف تحولت إلى الشرط

وأدخلت معها إلى التركيب الشرطي دلالاتها الأولى ، وهذا التحول مر بمراحل ، تركبت فيها مع ما . وقد لاحظنا هذا في الشواهد السابقة . فالتركيب يحتفظ بخاصيته الشرطية - لوجود أداة الشرط ما - ولكنه يكتسب دلالات أخرى . . . حسب نوع الأداة التي دخلت عليه .

على أننا يجب أن نلاحظ أنه مع تعاقب الاستعمال ، ودخول أدوات أخرى على التركيب الشرطي كالفاء وحتى والواو ، لم يعد الأصل الشرطي في ما واضحًا . فهي يستخدمها الشاعر الكويتي أكثر مما يستخدمها لتؤدي دورها في الوزن الشعري .

ويبين الجدول الآتي الأدوات وحجم مجيئ (ما) بعدها في موضوع البحث :

الأداة	حجم مجيء « ما » بعدها
إذا	٢٠
حين	١٧
كل	١٦
عند	٧

النمط الثالث عشر

الحدث الأول + حتى + أداة الشرط + ما + جملة الشرط + جملة جواب الشرط

وردت لهذا النمط صورة واحدة جاءت مع الأداة « إذا » ومن شواهده التي وردت عند العدواني فقط قوله :

١٠٢ - غرست غصن وردة في وهج النار
حتى إذا ما اشتد عوده
وألِف الخطر
طار إلى النجوم واستقر

أجنحة ١٠١

حتى أفادت هنا في هذه الصورة قطع حدث التوقف والانتقال إلى حدث الطيران بعد اشتداد العود واقتحام الخطر استقر عاليًا عند النجوم ، وإذا أداة شرط دالة في الأصل على الزمان . وما أداة شرط أي ما أن اشتد عوده طار .

النمط الرابع عشر

الحدث الأول + الفاء + أداة الشرط + ما + جملة الشرط + جملة جواب الشرط

يتكون هذا النمط من مجموع مكونات النمطين الحادي عشر والثاني عشر وقد ورد هذا النمط في موضوع واحد . ولم ترد لهذا النمط إلا صورة واحدة ، جاءت مع الأداة « كل » عند العدواني وفيه يقول العدواني واصفا شكوى الشيطان من الناسك :

١٠٣ - ربي وأنت عالم بأمري
قد ضاق في الحياة صدري
وأنكَرْتُ راياتي المنتصرة
أما ترى حتى الغواة الفَجرَة
جنودي الذين قد أعددتَهمُ
حتى يكونوا كَفَرة
حتى غدوا في كل قطرٍ أمة مؤمرةً

قد مردوا على شرائعي
وانكـــروا صنائعـــي
فكلما أصغوا إلى المآذن المكبرة
ارتجفوا رُعبًا
وكبروا باسمك يا ربي

أجنحة ٥٨

النمط الخامس عشر

لام القسم + أداة الشرط + جملة الشرط + جملة جواب الشرط

لم يرد هـــذا النمـط الذي يتركب فـيه الشرط مع الـقسـم إلا فـي موضع واحد ، في صورة واحدة ، مع الأداة (إن) وشاهده هو قول الوقيان :

١٠٤ - بالله سيّدتي لئن غـابَ الذي تتوقعـين
ورأيت أني لستُ أعرفُ ما يقولُ العاشقـون
فلسوف أبقى صَخْرةً صَماءَ ، تعجزُ أنْ تلين

المبحرون ١٣٣

في الشاهد السابق تعامـل مع (إنْ) كأداة شرط دون أن يكون لهذه اللام - لام القسم - أثر في تركيبه . فقد ألف اجتماع الشرط والقسم أن يجئ الجواب للسابق منهـما . قال سيبويه : فإذا ابدأت بالقسم لم يـجز إلا أن يكون عليه . ألا ترى أنك تقول : لئـن أتيتني لا أفعل ذاك ، لأنها لام القـسم . ولا يحسن في الكلام لئن تأتني لا أفعل لأن الأخير لا يكون مجزومًا »[1] أي لا يحسن أن نبتدئ بالقسم . . . ثم تجزم الفعل في جملة جواب الشرط ، لأنه حينئذ يكون

(١) الكتاب ج ٣ ص ٨٤ .

جوابًا للشرط . . وموضعه هنا أن يكون جوابا للقسم . . . وهكذا فإن الفاء قرينة ربط بين جملتي الشرط وجوابه فمجيئها في الشاهد قرينة على أن ما بعدها جملة جواب لشرط وليست جملة جواب لقسم ، أما اللام ، هنا فليست إلا أداة توكيد . والمهم ، هنا ، أن نلاحظ أن تركبّ الشرط والقسم لم يرد إلا في موضع واحد في جميع الشعر الكويتي المعاصر موضوع البحث .

النمط السادس عشر

أداة الشرط + جملة الشرط + الفاء + جملة جواب الشرط

ورد هذا النمط في خمس وسبعين موضعًا . ومثاله قول العدواني :

١٠٥ - وإذا أردت سيادة ومَجَادة
وتُنص للتعظيم والإكبار
فادفع إلى الزمار بعض دراهم
يُعلي سماء عُلاَك بالمزمار

أجنحة ٩٧

وقول العدواني أيضًا :

١٠٦ - فإن لم تقدري أمرًا فإني قد رضيت وني !

أجنحة ٢١١

وقول الوقيان :

١٠٧ - ورب فانٍ بثوبِ حَيٍّ
يَظنّ مجدَ الحياة شكلا
إنْ سيم خسفًا فلا يبالي
كأنن مِلء الإهاب . . بَغْلا !

الأزمنة ٨٠

وقول الوقيان أيضًا :

١٠٨ - إنْ تكنْ أبقيتني للشك نهبًا

فلكـــم يا ليل أشعلتَ حنينـــي

المبحرون ١٥٢

نلاحظ في هذا النمط أن الفاء جاءت بين جملتي الشرط وجوابه والجملتان تختلفان في طبـيعة بنائهما ، فـفي الشاهد الأول (١٠٥) جاءت جـملة الشرط فعلية مـثبتة ، فعلها ماض تـقابلها جملة جواب الشـرط فعلية طلبية ، تـقابلها جملة جواب الـشرط وهي جملة استفهامية ، والـشاهد الثالث (١٠٧) جاءت جملة الشرط فعلية أيضًا فعلها ماض ، ولكن جملة جواب الشرط جاءت جملة فـعلية منفيـة بلا النافية ، والشـاهد الرابع (١٠٨) جاءت جملة الشرط فـعلية فعلها مضارع وجملة جواب الشرط جاءت جملة خبرية استفهامية . أما الشاهد الثاني (١٠٦) فقد جاءت جملة الشرط فعلية فعلها مضارع منفي بلم ، وجملة جواب الشرط جاءت اسمية .

وهذا يعنى تغايـر أنظمة الجمل داخل الجملة الشرطـية التى وردت في هذا النمط ، وكلمـا تغايرت أنظمة الجملة وطـبيعة بنائها اشتدت الحـاجة إلى الربط بينـها ، لأنها واقـعة في إطار جمـلة واحدة . . . فكـان اقتران جمـلة جواب الشرط بالـفاء الرابطة التـي تربط كل ما لا يصلـح جوابًا للشرط فتـقترن به . وكلما تغايـرت أنظمة الجمل وطبيعة بـنائها اشتدت الحاجة إلى الربـط بينها لأن التنافر بين الـطبيعة البنائية لـلجمل ، داخل السياق الشرطـي ، لا يحقق هدف السياق في كونه قائمًا على تفاعل تلك الجمل وليس على تنافرها .

فإذا أخذنا قول العدواني :

١٠٩ - إن كان لابُدّ الرَّدَى في موقف

فالسيف أرحـم بي مـن المنشــار

أجنحة ٩٨

ورفعنا الفاء ، فإن المقطع يكون :

إن كان لابُدّ الرَّدَى في موقف

السيف أرحم بي مـن المنشار

من الملاحظ أننـا سنقف هنا على حالة تـركيبية متنافرة ، والمـتلقي قارئًا أو مستمعًا سوف يـبذل جهدًا خـاصًا ليفصـل بين كلمـتي الردى والسـيف . . . ولكـن سندرك ، بـالجهد ذاته ، أنه يربط بين قتله وبين رغبتـه بأن يكون قتله بالسيف إن كان ولابد من قتله ، واختياره السيف لأنه قاطع ، من خلال إدراك أن « أرحـم » خـبر المبتدأ سيف ومـن خلال إدراك أن تلك الجملـة الاسمية (السيف أرحم بـي من المنشار) جملة معلـقة وليست مستأنفـة . ولكن مجئ الفاء يساعد فـي الوقوف على مكونات الجملة الشـرطية بصورة أوضح وأدق ، والوقوف على دلالـة التعليق فيهـا بنفس الصورة . أي أن الفاء وحـدة صرفية تتأتى عنـدما تتغاير الطبـيعة البنائية لـلجمل في السياق الـشرطي . وهي إحدى الوسائل التي يتوصل بواسطتها إلى تعيين الجمل داخل هذا السياق مع ملاحظة حدود التـعلق فـيما بينهـا . ولا شك أن في التـركيب الشرطي قرائن لفـظية ومعنوية خلاف الفاء ، كالأداة والضمائر الـعائدة وطبيعة المعنى تؤدى دورها في هذا الترابـط . ولكن هذه القرائن لـيست مؤثرة - نتيجة لوقوع جمل متغايرة ضمن حالة تركيبية معقدة . . . فإذا جاءت الفاء تحقق بشكل حاسم وسريع :

أ - تحديد كل جملة في الفصل بينهما .

ب - الربط بينهما .

ج - المساهمة في توضيح الطبيعة التعليقية بينهما .

أن مراتب التركيب في العربية تشير إلى أنه كلما تصاعدت الحالة التركيبية احتاجت إلى روابط متنوعة . ففي الجملة البسيطة تكون قرينة التطابق الجنسي هي أداة الربط الوحيدة كالقول : السماء صافية ، وفي الجملة الإسنادية الوسيطة ، يضاف إلى قرينة التطابق الجنسي ، قرينة لفظية هي العائد على الاسم كالقول : السماء نجومها لامعة .

وفي الجملة الشرطية ، وهي الجملة المركبة في العربية تتعدد وتتنوع القرائن (أداة الشرط ، قرينة الجزم ، الفاء ، الضمائر العائدة . . . إلخ) .

فاء الربط الشرطي في الدراسات النحوية :

أولى البحث النحوي تلك الوحدة الصرفية ، عناية خاصة ، وقد انقسمت الآراء بشأن وظيفتها أو دلالتها في الجملة الشرطية . وقد لاحظ (الخليل) أن اقتران الفاء بجملة جواب الشرط بسبب من تغاير طبيعة الجمل التي تنهض عليها حتى لا تنصرف جملة جواب الشرط إلى الاستئناف بدلاً من التعلق بجملة الشرط . فقد سأله سيبويه عن القول « إن تأتني أنا كريم » فقال : لا يكون هذا إلا أن يضطر شاعر من قبل أنّ أنا كريم يكون كلامًا مبتدأ »(١) أي كلامًا مستأنفا . وقد أورد سيبويه ملاحظاته على الفاء عمومًا :

أولهما : أن الفاء تضم الشيء إلى الشيء غير أنها تجعل ذلك ، متسقا بعضه في أثر بعض »(٢) .

ثانيهما : أن الفاء تأتي للتعليل ، قال : « أما الجواب بالفاء فقولك » أن تأتني فأنا صاحبك » ولا يكون الجواب في هذا الموضع بالواو ولا بثم ، ألا ترى أن الرجل يقول أفعل كذا وكذا فتقول فإذن يكون كذا

---

(١) الكتاب ج ٣ ص ٦٤ .

(٢) الكتاب ج ٤ ص ٢١٧ .

وكذا ولو أدخلت الواو وثم في هذا الموضع لم يجز »[1] .

وأورد النحاة ملاحظاتهم على الفاء التي تقترن بجمل جواب الشرط ، وهي لا تخرج في إطارها عما لاحظه سيبويه ومنها أن الفاء « للاتباع » و « رابطة بين جملتين »[2] . « والجوابية »[3] و « بمنزلة العاطفة »[4] و « السببية »[5] و « التعقيب »[6] . أما الدراسات المعاصرة فقد استعاد أغلبها، الملاحظات المتقدمة فهي زائدة للربط المحض الدال على التعليل »[7] إلا أن بعض الدراسات ، فسرت وقوع الفاء في هذا النمط الشرطي تفسيراً مغايراً لما تقدم ، فقد ذهب إبراهيم بركات إلى أن « الفاء المقترنة في جملة جواب الشرط هي التي يستخدمها الشراء للالفات من معنى جملة الشرط إلى المعنى الأهم لديهم ، وهو المتمثل بجملة جواب الشرط »[8] وهذا الرأي يعنى بالضرورة أن جمل جواب الشرط ، في الأنماط الأخري التي لا تقترن الفاء بها ، جمل لا أهمية فيها ولا الفات إليها ، على الرغم من أننا نجد ذلك واضحًا في جمل لم تقترن بالفاء ، كقوله تعالى : ﴿**وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا**﴾[9] . فالآية تريد أن تؤكد قدرة الإيمان وغلبته للكفر . . . حتى إن كان عدد المؤمنين قليلاً .

إن الأهمية والالفات إلى معنى جمل جواب الشرط يتحقق حين يتغير

---

(١) الكتاب ج ٣ ص ٦٣ .

(٢) الخصائص ج ٢ ص ١٩٦ . وانظر همع الهوامع ج ٢ ص ٦٧ .

(٣) رصف المباني ص ٣٧٩ .

(٤) دلائل الإعجاز ص ٢٢٥ .

(٥) الأشباه والنظائر ج ٤ ص ١٤٦ .

(٦) المرتجل ص ٢١٧ .

(٧) النحو الوافي ج ٤ ص ٤٢٩ .

(٨) الجملة الشرطية عند الهذليين رسالة ص ٢٧٣ .

(٩) الأنفال : ٦٥ .

النظـام الترتيبـي للجملـة الشرطية ، فـتتقدم جمـل جواب الشرط علـى جمل الشرط . أما فيمـا عدا ذلك فإن هناك توازنًا في الأهمية ، بين جـملتي الشرط وجوابه وهذا هو رأي سيبويه .

ليس للفاء المقـترنة بجمل جواب الشرط ، أي أثر في المعنـى كما أنها ليس لها دور في ربط جمل مـتعارضة الدلالة[1] . أن للفـاء وظيفة بنائـية وهي « لا تفيد معنى إلا عقد الصلة ومجرد الربط بين جملة الجواب وجملة الشرط ، كي لا تكون إحداهما مستقلة بمعناها عن الأخرى[2] . وهذا هو الذي يفسر سقوطها عندما يتغير النـظام البنائي للتركيب الشرطي ، وذلك عنـدما تتقدم جمل جواب الشرط على جمل الـشرط ، فالرابط بين الجملتين في هذه الـصورة يتحول إلى الأداة فقط . ويتـضح هذا في قوله تـعالى : ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنـتُمْ صَادِقِينَ﴾[3] .

النمط والقضايا الإعرابية :

جعل القيسي في مشكل إعراب القرآن الفاء في نمط الجملة الشرطية هذا ، قسما قـائمًا بذاته من حيـث الموقع الإعرابي . وأعربـها جوابا للشـرط . ففي معرض كلامه عن الآية : ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾[4] قال : « من شـرط في موضع رفع بالابتـداء ، وقوله تعالى : ﴿فإن الله سريع الحساب﴾ . خبره ، والفاء جـواب الشرط »[5] . كذلـك فعل الزجـاج في إعراب القـرآن ، حين

---

(١) في النحو العربي ، نقد وتوجيه / المخزومي / ص ٢٨٧ / ٢٨٨ لقد فسر المخزومي وقوع الفاء في هذا النمط الشرطي للربط بين جملتى الشرط والجواب عندما تتعارض دلالتهما .

(٢) النحو الوافي ج ٤ ص ٤٢٩٨ .

(٣) البقرة : ٣١ .

(٤) آل عمران : ١٩ .

(٥) مشكل إعراب القرآن ج ١ ص ١٥٢/١٥٣ .

عرض لقوله تعالى : ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾[1] قال : إن جعلت من شرطا ووجد في رحلة في موضع الجزم ، والفاء في قوله فهو جزاؤه جواب الشرط . والشرط والجزاء خبر المبتدأ »[2] . وقد رد ابن هشام على هذا الرأي فقال : « والصواب أن يقال رابطة لجواب الشرط ، وإنما جواب الشرط : الجملة »[3] .

صور النمط

وردت لهذا النمط خمس صورَ هي :

الصورة الأولى :

إذا + جملة الشرط + الفاء + جملة جواب الشرط

وردت صورة النمط هذه في خمسة وثلاثين موضعًا . وقد وردت في قول الوقيان :

١١٠ - وإذا صحوتُ فقد يسوؤك أنني
في الأرض أغرس محنتي وعذابي
المبحرون ٥٤

وقول الوقيان أيضًا :

١١١ - فإذا أصبتَ فإنني بك مُعْجبٌ
ولربما شايعتُ رأيك مُكبرا
المبحرون ٨٥

---

(١) يوسف : ٧٥ .

(٢) إعراب القرآن ج ٢ ص ٥٤٧ .

(٣) المغنى ج ٢ ص ٦٥٢ .

وقول العدواني :

١١٢ - صَبْرِي على الدنيا تقيّةُ ثائر
وإذا استُرِتُ فَلَسْتُ بالصَّبَار

أجنحة ٩٨

وقول العتيبي :

١١٣ - فالفيت فوق (السور) أروع حكمة
إذا كانت الدنيا ظلامًا فكن بدرًا

طائر ٣٢

الصورة والقضايا الإعرابية :

أجمع النحاة على أن إذا أداة شرط « لا تعمل الجزم » وعلى هذا فإن جملتى الشرط وجوابه في صورة هذا النمط ، لا أثر عليهما لعامل ، فهما جملتان لا محل لهما من الإعراب . وقد جعل ابن هشام الجمل الواقعة جوابًا لشرط غير جازم في سلسلة الجمل التي لا محل لها من الإعراب[1] .

يتضح الأثر الإعرابى على الصيغ الفعلية المعربة ، وهي صيغ المضارع وتكون حركة تلك الصيغ ، في الشرط ، السكون . ولكن عندما تحل محل صيغ المضارع المعربة . . . صيغ مبنية (كالماضي والأمر المضارع المتصل بنوني التوكيد والنسوة . . . أو جمل اسمية أو غير إسنادية ليس لها وظائف نحوية كما هو واقع في الشرط) لم يعد الموضع موضع تلك القرينة . وقال المخزومي في هذا المجال مبنيًا رأيه في وظائف الجمل : تجمع بين وظيفتين لغويتين : الوظيفة العامة وهي نقل ما يستحدث في ذهن المتكلم من أفكار إلى السامع ،

(١) مغنى اللبيب ج ٢ ص ٤٠٩ .

والخاصة كأن يكون لها محل من الإعراب . فتستعمل مسندًا أو نعتا أو حالا[1]. ويعنى هذا أن لكل من جملتي الشرط وجوابه وظيفة عامة أساسها التعليق ... وليس لأي منها - كل واحدة على حدة - وظيفة خاصة أو سمها على وجها الدقة : وظيفة نحوية .. فتصنيف الجمل الواقعة في الجملة الشرطية ، سواء جاءت مع أدوات جازمة أم غير جازمة ، بأن لبعضها محلا من الإعراب وليس لبعضها الآخر محل ... « أمر بعيد عن الهدف اللغوي »[2] .

الصورة الثانية :

إن + جملة الشرط + الفاء + جملة جواب الشرط

وردت صورة النمط هذه في ثلاثين موضعًا . ومن شواهدها قول الوقيان:

١١٤ - فــإن بغـــى ذو أرب
وما ارعوى وما انثنى
فلن يرى في مبضعي
إلا عذابا سكنا

الأزمنة ٨٩

وقول الوقيان :

١١٥ - لكني إن خلت رأيك صائبا
فلسوف أعشق ما تراه مصدرا

المبحرون ٨٦

وقول العتيبي :

---

(١) النحو العربي : نقد وتوجيه ص ٦١ .

(٢) النحو العربي : نقد وتوجيه ص ٦٢ .

١١٦ - إن يصبح الشعب والحكام عائلة

ففي التواريخ صعب أن تلاقيها

طائر ٩٤

وقول العدواني :

١١٧ - إن كنت اكبرت الشجاعة وحدها

فالليث أولى أن يكون المكبرا

أجنحة ٢٢٢

الصورة والقضايا الإعرابية :

وضع « ابن هشام » جملة جواب الشرط التي تقترن بالفاء - في سياق أدوات الشرط الجازمة - وضعها ضمن سلسلة « الجمل التي لها محل من الإعراب »[1] . أن القرينة الإعرابية ، المقدرة على المحلية لا تضيف إلى السياق شيئًا إن لم تعقده . ففي التركيب الشرطي بالرابط تكون الفاء إحدى القرائن الأساسية . وفي التركيب الشرطي الذي يقوم على جملتين فعليتين فعل كل منهما مضارع أو الذي خلا من الأداة تكون القرينة الإعرابية أساسية في أيضاح طبيعة هذين التركيبين . ويستغنى التركيب الشرطي المبنى على تآلف جملتين فعليتين فعل كل منهما ماض ، عن الفاء والقرينة الإعرابية ويعوض عنها البناء الذي عليه الفعل الماضي الماضي .

الصورة الثالثة :

من + جملة الشرط + الفاء + جملة جواب الشرط

وردت الصورة هذه في خمس مواضع ، ومن شواهدها قول العتيبي :

(١) المغنى ج ٢ ص ٤١٠/ ٤٢٢ .

١١٨ - ومن لم يكفكف دمعها ساعة الأسى

فلا يرتجـى مـن غيمـها أبـدًا قطـرا

طائر ٣٣

وقول العدواني :

١١٩ - ما دمت في الزمن الرديء فكل مَنْ

يهـوى العُلـى فمصيره الإعـدام

أجنحة ٦٦

الصورة الرابعة :

حين + جملة الشرط + الفاء + جملة جواب الشرط

وردت صورة هذا النمط في ثلاث مواضع . ومن أمثلتها قول العتيبي :

١٢٠ - يا صديقى حين تمضى في الصباح

تطلـب العلـم وتسـعى للنجـاح

فأنـا مـا زلـت أبكـي وطنـي

مثـل طيـر ظـل مـن غير جنـاح

طائر ٧١

الصورة الخامسة :

لما + جملة الشرط + الفاء + جملة جواب الشرط

وردت هذه الصورة في موضع واحد عند العتيبي في قوله :

١٢١ - وعن نخلة الحب لما دنت

لنقـط أثمـارها اليانعـة

فما أنكــرت نخــلة ظلهــا
ولا أنكــر التمـر نهرًا سقاه

مزار ٢٥

* * *

سقوط الفاء

سقطت الفاء ، أداة الربط الشرطـي في هذا النمط في {٩} مواضع . ومن شواهد سقوط الفاء قول الوقيان :

١٢٢ - صلاح الدين ، عفـوًا إنْ
تطـاول كـل مـن قعـــدا
خفـافيشُ الظـلام السـو
دُ أمسْ للسـينا رصـــدا

الأزمنة ٢٨

وقول العدواني :

١٢٣ - قالت لنا الخيام
إذا رأيتم القمر
قولوا له . . . أندية السمر
غطت عليها سجف الظلام

أجنحة ١٠٢

إحصائية تبين حجم اقتران الفاء بجمل جواب الشرط الجمل الاسمية العدد {٣٥} بأنواعها .

الجملة الفعلية :

١ - فعلها مُقترن بقد = ١٣

٢ - فعلها مُقترن بحرف له الصدارة كم الخبرية = ١

٣ - فعلها مُقترن بحرف نفي { لن = ٣ / لا = ٣ / ما = ٣ }

٤ - فعلها مُقترن بحرف تأكيد سوف = ٤

٥ - فعلها ماضي لفظا ومعنى = ٣

٦ - فعلها إنشائى { طلبي = ٧ / استفهام = ١ }

٧ - فعلها جامد ليس = ٢

العدد الإجمالى = ٧٥

أن تخلف الفاء في هـذا النمط الشرطي كما ذكرنا سابقًا يجهد المتلقي في تعيين حدود الجمل داخل التركيب الشرطي ، ويوهم بأن جملة جواب الشرط مستقلة عن جملة الشرط وليس معلقة عليها . ولكن سقوطها لا يفيد التركيب خصائصه الشرطية . ففي قول العدواني :

قالت لنا الخيام

إذا رأيتم القمر

قولوا له . . . أندية السمر

غطت عليها سجف الظلام

أجنحة ١٠٢

قد يوهم أن جملة (قولوا له) جملة مُستأنفة . ومن الممكن أن تعرب تلك الجملة حالاً أي (إذا رأيتم القمر . . . قولوا له) ويوهم التركيب بأنه ناقص . . . ولكن مجئ الفاء يعين بوضوح حدود التركيب وحدود الجمل داخله . . . كما تساهم في توضيح طبيعة التعليق التي تنهض عليها تلك الجمل . . . ويكون الشاهد السابق مثلا :

«قالت لنا الخيام
إذا رأيتم القمر
قولوا له . . . أندية السمر
غطت عليها سجف الظلام» .
ولكن لِمَ تسقط الفاء من موضعها هذا ؟؟

أسباب سقوط الفاء في التركيب الشرطي :

إن لضرورة الوزن دخلاً كبيراً في سقوطها ، وقد قال بهذا سيبويه : « وإن جاء في الشعر قد علمت أنّك إذا فعلت أنّك سوف تغتبط به ، تريد معنى الفاء، جاز »[1] والفاء في الشاهد (١٢٣) في موضوع البحث تصيب الوزن باختلال تام . ولكن الفاء لم يقتصر سقوطها على الشعر وحده بل تعداه إلى النثر ومنه قوله تعالى : ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[3] وقوله سبحانه : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾[4] وقوله تعالى : ﴿ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ ﴾[5] وغير ذلك كثير . وقد عرض النحاة لهذا الموضوع . فذهب أغلبهم أنه على الندرة ، (وسيبويه) جعله على اضطرار في الشعر[6] وقد نقل عن (المبرد) رأيه بمنع حذف الفاء حتى في الشعر[7] وحاول (الرضى) أن يؤول سقوط الفاء مع الأداة (إذا) بقوله : ولعدم عراقة إذا في الشرطية

(١) الكتاب ج ٣ ص ١٣٤ .
(٢) الأنعام : ١٢١ .
(٣) الشورى : ٣٧ .
(٤) الشورى : ٣٩ .
(٥) البقرة : ١٨٠ .
(٦) الكتاب ج ٣ ص ١٣٤ .
(٧) مغنى اللبيب ج ١ ص ١٦٥ .

ورسوخه فيها جاز ، مع كونها للشرط ، أن يكون جزاؤها جملة اسمية بغير فاء كما في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[1] ولكنه لم يعلل عدم اقتران جمل جواب الشرط بالفاء مع أدوات عريقة في الشرطية مثل « إن » كما مر بنا في الآيات السابقة .

وأول (الزجاج) في « إعراب القرآن » سقوط الفاء على أن ما بعد حرف الشرط جواب قسم مضمر ، وحمل على من قال بأن الفاء في هذه المواضع مضمرة ، قال : من قال أن الفاء في قوله تعالى ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ مضمرة، ذهاب عن الصواب . وكذا ﴿إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾ (من الآية : ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾ هود/ ٩) ليست الفاء هنا مضمرة البته . ودخلت اللام على حرف الشرط مؤذنة بأن ما بعدها جواب قسم مضمر[2] . ولكن لام القسم لم تدخل على أداة الشرط (إن) في قوله تعالى ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ فلا حجة له في هذا .

وجعل ابن هشام جملة جواب الشرط في قوله تعالى : ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ﴾ محذوفة : وقدرها بـ « فليوص » [3] .

ونلاحظ على الآراء السابقة أن التأويل ينتظمها جميعا ، والهدف منه اضطراد القاعدة الموضوعة . . .

وفي مقابل تلك الآراء هناك آراء معارضة تقف على النقيض منها . فقد ذهب الأخفش إلى جواز حذف الفاء ، ورد على القائلين بوجوب الحذف « أن ذلك واقع في النثر الفصيح ، وأن منه قوله تعالى : ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ

---

(١) الكافية ج ٢ ص ١١١ .

(٢) إعراب القرآن ج ٢ ص ٦٥٩ .

(٣) مغنى اللبيب ج ١ ص ٩٨ .

﴿لِلْوَالِدَيْنِ﴾[1] وذهب ابن مالك إلى أن حذف الفاء « يجوز في النثر نادرًا ، ومنه حديث اللقطة : « فإن جاء صاحبها وإلا استمتع بها »[2] . ونقل (القيسي) في « مشكل إعراب القرآن » رأي (على بن سليمان) في جواز حذف الفاء من جواب الشرط في الكلام (النثر)[3] . ومن المعاصرين عباس حسن يتساءل : هل يصح أحيانًا أن يستغنى عن هذه الفاء الرابطة ويجيب تساءله: أنه من أن يقال أن الأعم الأغلب هو عدم حذف الفاء ، وإنه يصح مع القلة النسبية الاستغناء عنها »[4] .

وباستقراء شواهد موضوع البحث ، التي جاءت فيها جمل جواب الشرط خالية من الفاء ، نجد أنها ينتظمها جميعها موقف انفعالى مثل :

قول الوقيان :

١٢٤ - أفِقْ ، إنْ لم تجدْ أحـداً
يطـاولُ منـك ما اتقـدا
منائرُ مـن شـعاع الفكـ
ـر يسطـع ضـوؤها أبـدًا

الأزمنة ٢٥

أما صور سقوط الفاء في موضوع البحث فهي :

الصورة الأولى :

إذا + جملة الشرط + { فاء محذوفة } جملة جواب الشرط

وردت هذه الصورة في أربع مواضع ومثالها الشاهد (١٢٥) فى قول الوقيان :

١٢٥ - وإذا جئـت غـدًا
كى تسرد القول المرجم

---

(١) مغنى اللبيب ج ١ ص ١٦٥ .

(٢) المغنى ج ١ ص ١٦٥ .

(٣) مشكل إعراب القرآن ج ١ ص ٣٥٢ .

(٤) النحو الوافي ج ٤ ص ٤٣٥ .

قل لهـــم مـــا شـــئت

الأزمنة ٦٧

الصورة الثانية :

إنْ + جملة الشرط + [الفاء محذوفة] جملة جواب الشرط

وردت هذه الصورة في ثلاث مواضع ومثالها قول العدواني :

١٢٦ - فـــإن حققـــت مأمـــولا

تعالـــى وأعـــذ لـــي علنـــا

أجنحة ٢٠٤

الصورة الثالثة :

حين + جملة الشرط + [الفاء محذوفة] جملة جواب الشرط

وردت هذه الصورة في موضعين اثنين ومثالها في قول الوقيان :

١٢٧ - قل وقل ما شئت ،

لكـــن حـــين تنـــدم

قل لهم إن وراء البحر تنينا غريبا

الأزمنة ٦٧

وخلاصـة ما نلاحظـه على موضـوع البحـث في هذا الجانـب أن ضرورة الوزن في الشعر ودلالة الانفعال ، يتحـكمان في سقوط الفاء من جمل جواب الشرط في الشعر الكويتي المعاصر .

النمط السابع عشر

أداة الشرط + جملة الشرط + اللام + جملة جواب الشرط

ورد هذا النمط في سبعة وعشرين موضعا . مثاله قول العتيبي :

١٢٨ - يا ابنة النور لو عزفتك لحنا

لأتتني الأنغــام مــن كــل واد

طائر ١٣٦

وقول الوقيان :

١٢٩ - ففي كل ليل راحل لو ندبته

لأهرقـت دمعـا عـز وذراهـا

الأزمنة ١٤٢

في هذا النمط تقترن جمل جواب الشرط باللام التي تجئ في سياق أداتي الشرط لو ، لولا ، وأيضًا في أدوات أخرى أقل منها ورودا مثل الأدوات عندما ، من . وباستقراء نماذج هذا النمط في موضوع البحث لم نجد للام دلالة خاصة على شيء معين ، فهي توجد ولا توجد في تراكيب تكاد تكون متطابقة تمامًا ، ففي مثل قول العدواني :

١٣٠ - عكفوا عن صنم وقالوا ها هنا

سـر الحيـاة ، وما لنا عنـه غنى

ولو استفاقـوا مـن ضلالهـم رأوا

جنح الظلام علـى حمـاهم هيمنا

أجنحة ٤٥

وقول العدواني :

١٣١ - صمتي قضية

كنـــوزه الخفيـة

ما عرفـــت خـــزانة قبلـــي

ولو كشفت عن أشيائها السرية

قتلنـــي أهلـــك أو أهلــــى

أيتها الحـــورية

أجنحة ٣٦

إن اللام هنا تؤدي وظيفة الربط داخل تركيب مبني على تآلف جمل . ولعل العربية قد اختارت هذا المقطع الصوتي - اللام - مع أداتي الشرط لو ولولا حسب ، لكونه يماثل وجوده في الأداتين اللتين تبدأن بذات المقطع الصوتي . ولكثرة الاستعمال فقد يسقط هذا الربط . وقد قيلت آراء عديدة حول هذه اللام ومن هذه الآراء ما قاله ابن يعيش : « فإذا قلت لو جئتني أكرمتك فتقديره والله لو جئتني لأكرمتك وكذلك اللام في جواب لولا »[1] فهو يعتبرها لام القسم ويعتبرها أيضًا هي « زائدة مؤكدة »[2] وهي الرابطة « ودخولها لتأكيد ارتباط إحدى الجملتين بالأخرى ، ويجوز حذفها »[3] .

لم نجد في نماذج هذا النمط دلالة على أنها زائدة أو أنها لام القسم ويكون رأي الزمخشري من أنها تدخل لتأكيد ارتباط إحدى الجملتين بالأخرى هو الرأي الصائب .

صور النمط

وردت لهذا النمط صورتان :

الصورة الأولى :

لو + جملة الشرط + اللام + جملة جواب الشرط

ووردت الصورة هذه في عشرين موضعا . ومن شواهدها قول العتيبي :

١٣٢ - بنا منابع حب لو نرقرقها
جداولا لجميع الناس لارتشفوا

مزار ١٠٩

(١) شرح المفصل ج ٩ ص ٢٢ .

(٢) شرح المفصل ج ٩ ص ٩٩ .

(٣) المفصل ص ٣٢٧ .

وقول الوقيان :

١٣٣ - لو كل درب بزهر الورد قد فرشت

لما رأيت عليها غير مأفون

المبحرون ٤٧

وقول العدواني :

١٣٤ - ولو لم تخطى المرمى لرحت ضحية الهزل

أجنحة ١٨٦

من الملاحظ أن هذه اللام الرابطة كثر استعمالها في جواب « لو » التي اقترنت بها اللام ، وباستقراء نماذج هذه الصورة في موضوع البحث نجد أن مع الجملة الفعلية المثبتة هو الاستعمال السائد ، ومع الجملة المنفية هو الاستعمال القليل جداً . فحجم مجيء اللام في جملة جواب الشرط « لو » تعادل (٣) مرات مقابل (١٧) مرة وهي نسبة ملحوظة .

وهذه النتيجة تطابق ما لاحظه النحاة في هذا المجال : إذ نص ابن هشام في المغني « الغالب على المثبت دخول اللام عليه » نحو ﴿ **لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا** ﴾[(١)] ومن تجرده منها وهو قليل قوله تعالى : ﴿**لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا**﴾[(٢)] والغالب على المنفي تجرده منها نحو ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ** ﴾[(٣)] والقليل اقترانه بها ومنه قول الشاعر :

ولو نعطى الخيار لما افترقنا ولكن لاخيا مع الليالي[(٤)]

(١) الواقعة : ٦٥ .

(٢) الواقعة : ٧٠ .

(٣) الأنعام : ١١٢ .

(٤) المغنى ج ١ ص ٢٧١ .

الصورة الثانية :

لولا + جملة الشرط + اللام + جملة جواب الشرط

وردت صورة النمط هذه في سبعة مواضع ، وكلها جاءت عند العدواني ومن شواهدها قوله :

١٣٥ - ولولاها لما حثت ركاب

إليكم أو ظفرتم في ركاب

أجنحة ٢١٤

وقوله :

١٣٦ - رأوا وجه الظلام فأنكروه

ولولاهم لما كان الظلام

أجنحة ٢٩

إن جملة الشرط في سياق لولا ، جملة ناقصة ، تتم ببنائها المقدر وهذا النقص يجعلها بحاجة أساسية إلى جملة جواب الشرط . . . حتى يكتمل التركيب ، ويسهل سد النقص ، بواسطة التقدير الذهني ، في جملة الشرط . ومعنى هذا أن جملة الشرط مع لولا تميل أو تسعى إلى الترابط ، ولهذا فإن وجود اللام في سياق لولا لا يكون ضرورة ، بل هو علامة مضافة ، تساهم في توضيح أسس الترابط هذا . على العكس من جملة لو . فإن جملة الشرط تكتفي بنفسها وتعبر عن معنى آخر في العربية هو معنى التمنى . أي أنه من الممكن أن نقول : « لو زيد جاءنى » ونتوقف فيكون التركيب تاما ، على جهة التمنى . فإذا تحولت لو إلى الشرط . كان وجود اللام ضرورة كقرينة أساسية ، يدخل وجودها التركيب في نطاق الشرط دون التمني .

* * *

الانماط بحسب نظامها الترتيبي

في نظام الصدارة :

وردت الجملة الشرطية وفق نظام الصدارة :

الأداة + جملة الشرط + جملة جواب الشرط

في أربعة عشر وثلثمائة موضع (٣١٤) من مجموع المواضع البالغة في موضوع البحث سبعمائة موضع(٧٠٠) وفي هذا النظام تتصدر أداة فجملة الشرط فجملة جواب الشرط . وقد ورد مع جميع أدوات الشرط كما مر في الأنماط السابقة .

إن مفهوم الصدارة لأداة الشرط ، في مباحث النحاة ، مرتبط بمنهج العمل النحوي فلا يتقدم على الأدوات عامل أو كلام يؤثر فيها . قال سيبويه : « هذا باب ما تكون الأسماء التي يجازي بها بمنزلة الذي . وذلك قولك « إن من يأتيني آتيه . وكان من يأتيني آتيه . . وإنما أذهبت الجزاء ، من ها هنا ، لأنك أعملت كان وإن لم يسغ لك أن تدع كان وأشباهها معلقة لا تعملها في شيء ، فلما أعملتهن ذهب الجزاء ولم يكن من مواضعه »[1] . ولكن تحليل سيبويه هذا ، اعترضته شواهد عديدة ، ذكر قسما منها سيبويه نفسه . وأحدها قول الأعشى :

إن من لام في بني حسان ألمه وأعصه في الخطوب

والآخر قول أمية بن أبي الصلت :

ولكن من لا يلق أمر ينوبه بعدته ينزل به وهو أعزل

(١) الكتاب ج ٣ ص ٧١ ، ٧٢ .

قال سيبويه : « فزعم الخليل أنه إنما جاز حيث أضمر الهاء وأراد أنه ولكنه[1] وإرادة الهاء فيها ، تحميل النص ما ليس به ، الشيء الكثير . ومن الممكن أن ننظر هنا إلى أن أداتي توكيد يقعان على التركيب كله ، دون البحث عن الاسم والخبر لأن التركيب يتضمن معنيهما . والنقطة الثانية تتعلق بارتباط مفهوم الصدارة بدلالة الشرط . فعند أغلب النحاة أن الشرط قائم على علة ومعلول ، ولهذا استعاد ابن جني « أن يحدث شيء كهذا أن تتقدم جملة جواب الشرط على الأداة وجملة الشرط »[2] . اذن مفهوم الصدارة يتجاوز الشكل ، ويتحكم في التراكيب اللغوية ، فيضيف عليها كما مر في (لكن) و(إن) ، أو يجعلها محذوفة على دلالة التفسير كما في الأنماط التي تتقدم فيها جمل جواب الشرط على جمل الشرط أو تكتنفها . ويعين في التراكيب - في بعض السياقات - دلالتها على الشرط أو إخراجها منه ، كما قرر سيبويه من إذهاب الجزاء عن (من) بسبب تقدم لكن عليها[3] والحقيقة اللغوية التي يمكن أن تلاحظ هنا هي : أن نظام الصدارة أحد أنظمة الجملة الشرطية في العربية ، وقاعدة النحاة في أن الشرط نظام ذو رتبة هي رتبة التصدر ، لم تخضع إلى أي استقصاء ، ولم تبن على إحصاء في كلام العرب ، وإنما قررت لعلل مرت تتعلق بانسجام أفكار المنهج النحوي ووحدتها . ولنتأمل هذا في عرض الدكتور المخزومي ، لنظام ترتيب أجزاء التركيب الشرطي فقال « أن نظام الجملة في الشرط ، في العادة ، أن تتصدر الأداة ويليها فعل الشرط ثم فعل الجواب وأن هذا ليس لازما »[4] وكلمة في العادة التي جاءت في قول المخزومي ، كيف يمكن أن نثبت أن نظام الصدارة عادة من عادات اللغة العربية لا أحد يمكن أن

(١) الكتاب ج ٣ ص ٧٣ .

(٢) الأشباه والنظائر ج ٢ ص ١٦٣ .

(٣) الكتاب ج ٣ ص ٧٢ .

(٤) في النحو العربي ، نقد وتوجيه ص ٢٢١ .

يجيب على هذا . وفي موضوع البحث لم تقم الجمل الشرطية على أسس نظام الصدارة إلا في نصف النماذج الواردة فيه فهل نقول أن الشعر الكويتي المعاصر قد كسر تلك العادة . . .؟ لا يمكن أن نطلق هذا الحكم ولا يمكن أن ننفيه .

الانماط ونظام الصدارة :

تدخل بعض الأنماط في موضوع البحث ، ضمن نظام الصدارة دائمًا وهي :

١ - النمط التركيبي (العاشر) حتى قطع حدث سابق على الشرط والانتقال إلى الحدث الشرطي . كقول الوقيان الذي ورد تحت رقم {٧٤} :

حتـى إذا طالبـت الليالـى
ومـا اختطفنا إليـك وصـلا

الأزمنة ٧٧

وقول العدواني في الشاهد رقم {٧٥}

حتـى إذا جـاء الطـوى　　　علـى عـدت ثانيـة

أجنحة ١٩٩

وهذا النمط قائم على الانتقال من حدث خارج عن الشرط إلى حدث جملة الشرط فلا يمكن في هذه الحالة إلا أن تلي جملة جواب الشرط جملة الشرط .

٢ - النمط التركيبي (الحادي عشر) الذي تضيف فيه الفاء ، للأداة ، دلالة قطع حدث والانتقال إلى حدث جملة الشرط . كقول العدواني : وقد ورد في الشاهد رقم {٧٦} :

وشاهدت الرياض وحولها للسوس أوكار

فأقبلت على الأوكار أحرقها
فلما شبت النار
تخاذلت النواطير ... وخافت من لهيب النار

أجنحة ٨٠

٣ - النمطان الثالث عشر والرابع عشر ، وهو مكون من النمطين المركبين السابقين مع أداة الشرط الأساسية ومثاله قوله العدواني :

غرست غصن وردة في وهج النار
حتى إذا ما اشتد عوده
وألف الخطر
طار إلى النجوم واستقر

أجنحة ١٠١

حتى أفادت هنا في هذه الصورة قطع حدث التوقف والانتقال إلى حدث الطيران بعد اشتداد العود ، واقتحام الخطر استقر عاليا عند النجوم ، وإذا أداة شرط دالة في الأصل على الزمان . وما أداة شرط . أي ما إن اشتد عوده طار.

وقول العدواني واصفا شكوى الشيطان من الناسك :

ربى وأنت عالم بأمري
وأنكرت راياتي المنتصرة
أما ترى حتى الغواة الفجرة
جنودي الذين قد أعددتهم
حتى يكونوا كَفَرة
حتى غدوا في كل قطرٍ أمة مؤمرةً
قد مردوا على شرائعي

فكلما أصغوا إلى المآذن المكبرة

وكبـــروا باســـمك يا ربـــي

أجنحة ٥٨

٤ - النمطان الخامس عشر والسادس عشر الـلـذان يقترن بهما أداة ربط شرطي (الفاء واللام) بجمل جواب الشرط . كقول الوقيان :

إن تكن أبقيتنى للشك نهبا

فلكم يا ليل أشعلت حنيني

المبحرون ١٥٢

النمط الثامن عشر

جملة جواب الشرط + أداة الشرط + جملة الشرط

ورد هذا النمـط الذى تتقدم فيه جـملة جواب الشرط علـى الأداة وجملة الـشرط في [١٢٠] موضع . ويكـشف هذا الرقـم عن ميل الـشاعر الكـويتي المعاصر إلى استغلال الخصائص البنائية والدلالية لهذا النمط ومنه قول العتيبي:

١٣٧ - نجتاز كل حدود الحلم في بلة

إذا تساوى لدينا الحلـم والخـدر

مزار ٣٨

وقول الوقيان :

١٣٨ أقلب في وجـوه الناس طرفـي

وأسـأل فـي الدروب إذا مشيت

وكـل يبتغـي فـي السير قصـدا

وأسعـى لســت أعرف ما ابتغيت

المبحرون ٦٧

وقول العدواني :

١٣٩ - لا تهابي إن طواني البحر يوما في العباب
وبكى أهلي وعم الحزن والرزء صحــابي
واسترابت نفسك الولهى بمعيار الصواب

أجنحة ٢٠٧

الخصائص البنائية والدلالية لهذا النمط :

الشواهد الثـلاثة تدور في حدود النظام الشـرطي القائم على تعليق جملة جواب الشــرط على جمـلة الشرط ، والـفرق الأساسي ، هـنا . تقدم جــمل جواب الشرط على الأداة وجـمل الشرط . في شاهد العتيـبي الذي جاء ضمن قصيدته المـعنونة « صنعاء » يصور الشـاعر في هذه القصيدة سفره عـبر التاريخ متخطي بها حــدود الزمن بالرجوع إلى سجل العرب وتاريخهــم الحافل بالمفاخر وما أن يعــود من رحلته الـتاريخية هذه حـتى يصل إلى مـحطته الأخيـرة التي يعيشها وبنى قومه فيتألم لما آلت حالتهم من تشتت وفرقه فيقول :

١٤٠ - جئناك نلتمس الرجعي لصورتنا
لما تعــددت الأشــكال والصــور
مضيعــون وفينــا كــل هـــادية
وظامئـــون وفينا النهـــر والمطــر
نجتاز كل حـدود الحلـم فـــي بلة
إذا تســاوى لدنيا الحلـم والخـــدر

مزار ٣٧

وهنا يريد الـشاعر أن يؤكد بأن تخطـى محنة الواقع المتردي بـاجتياز حدود الحلم . . . وهذا النمط هو ما يريده بالتعبير عن أهمية الجملة المعلقة في الشرط

« اجتياز حدود الحلم في بلة » فيتوخى بذلك تقديمها على الجملة المعلق عليها « تساوى الحلم والخدر » .

وفي قول الوقيان : الشاهد (١٣٨)

أقلب في وجوه الناس طرفي وأسأل في الدروب إذا مشيت

المبحرون ٦٧

سياق القصيدة محصور بعرض صورة تقريبية لغربة الشاعر ، وهذا هو عنوان قصيدته « الغربة » نجد أن التركيب الشرطي في الشاهد جاء في سياق تعداد صفاته وبأي حال أصبح :

١٤١ - غريب إن مضيت وإن أتيت
ونـاء إن دنـوت وإن نأيـت
أقلب في وجوه الناس طرفـي
وأسأل في الدروب إذا مشيت

المبحرون ٦٧

فالشاعر هنا يستعرض ما يعانيه من مشاعر وأحاسيس وهي الهدف الأول في التركيب الشرطي وهذه الجملة « أسأل في الدروب » هي الهدف وهي جملة جواب الشرط ، تنتظم بالفقرات السابقة انتظاما عدديا . فإذا أراد أن يوضح قوله « أسأل في الدروب » علق الجملة . . . بجملة إذا مشيت لتوضيحها .

وإذا انتقلنا إلى قوله بعد الجملة الشرطية . . . اتضح لنا أنها تتصل بجملة جواب الشرط - هدف التركيب الشرطي - وتصبح جملة الشرط ، وكأنها جملة معترضة . .

أسأل في الدروب

- إذا مشيت - وهو يؤكد المعنى عندما يعود بعد الجملة الشرطية فيقول :

وكـل يبتغـي فـي السـير قصـدا

وأسعى لسـت أعـرف ما ابتغيـت

المبحرون ٦٧

ونلمح هذا المعني في قول العدواني أيضًا :

لا تهابي إن طواني البحر يوما في العباب

أجنحة ٢٠٧

جاء شاهد العدوانـي ضمن قصيدته « العودة » وفي هذه الـقصيدة خطاب يتضمن وصـية الشاعر إلى محبوبتـه ، في خطابه هذا يطلب مـنها إن لا تخف عليه بعـد أن يطويه البحر ويفنـى ، لا يريد أن تحزن بعد فقدانـه لأن للاكتئاب أثاره العميقة في الـنفس ، ولهذا فهو يبادر بتأكيد « لا تخافـي » ثم يعلق طلبه هذا على مسبب هذا الخوف . . . وهو أن يحتويه البحر أي الغرق . المهم عنده عدم اكتئاب حـبيبته أما ما انتهى إلـيه فهو ليس بصدده . . . ويؤكـد هذا المعنى عندما يعود بعد الجملة الشرطية فيطلب من حبيبته قائلاً :

غادري القوم إلى الشاطىء من غير اكتئاب

وانصتى للموج يشدو بهمومي ورغــابي

ويناجيـك بأشعـاري وأحـلام شـبابي

أجنحة ٢٠٨

لو عدنا إلـى شاهد العتيبي (١٤٠) وشاهد الـوقيان (١٤١) فإن جمـلتى الشرط وجوابـه مكونتان من جمـلتين فعليتين ، فـجملة جواب الشرط فـعلية فعلها مـضارع (نجتاز كل) و (أقلب في وجوه) وجـملة الشرط فعليـة فعلها ماض على النحو التالى :

نجتاز + إذا + تساوى

يفعل + أداة الشرط + فعل

و

أسأل + إذا + مشيت

يفعل + أداة الشرط + فعل

وقد لاحظنا في النمط الثاني في المبحث الأول أن تآلف جملتين فعليتين ليسا متشاكلتين : يفعل + فعل و فعل + يفعل ، قليل نادر في نظام الجملة الشرطية التي تتصدر فيها الأداة لأن الانسجام أو المشاكلة على عبارة سيبويه ، التى هي إحدى قرائن الربط في الجملة الشرطية ، لا يتحقق بسبب تخالف الصيغ داخل هذا النمط . ولكن النمط الذي تتقدم فيه جملة جواب الشرط يستخدم تخالف الصيغ بشكل واسع ، مستفيداً من الطبيعة البنائية فيه ، من دون أن يحس أن هناك تنافرا في هذا التخالف فالنمط الشرطي الذي يتكون من تآلف جملتين فعليتين ، فعل جملة جواب الشرط فيها مضارع وفعل جملة الشرط ماض جاء في خمسة مواضع فقط ، ولكن هذا النوع من التآلف الفعلي يتوسع فيه في نظام تقدم جمل جواب الشرط فيجيء في سبعة وثلاثين موضعا (٣٧) ومنه قول العتيبي :

١٤٢ - تركوه كغابة الملح تعرى

كلما جدد الربيه ائتلاقه

مزار ٨٦

وقول الوقيان :

١٤٣ - فلا تعذليني والمسارب جمة

إذا كرهت روحي عطاء ميسرا

الأزمنة ١٤٣

وقول الوقيان أيضًا :

١٤٤ - ويشقيك احتباس النو
ر إن أغفى ، وإن وئدا
الأزمنة ٢٧

وما تغاير أنظمة الأنماط الشرطية وتغاير الصيغ فيها إلا واحد من الوسائل اللغوية في التنوع الدلالي القائم على تنوع بناء أنظمة الجمل في العربية .

من الملاحظ في النمط الذي تقترن فاء الربط الشرطي فيه بجمل جواب الشرط أن الفاء جاءت في (١٢٤) ، وسقطت في (٢٢) . فإذا استقصينا جمل جواب الشرط ، التي يجب اقترانها بالفاء ، داخل هذا النمط ، وجدنا القضية معكوسة . إذ أن النسبة المطلقة من جمل جواب الشرط لا تقترن بالفاء . والنسبة القليلة ترد معها الفاء . ويوضح الجدول الآتي مقارنة بين مجئ الفاء مقترنة بجمل جواب الشرط وبين عدم مجيئها في نمطي الصدارة وتقديم جمل جواب الشرط وبين عدم مجيئها في نمطي الصدارة وتقديم جمل جواب الشرط.

نوع النمط	حجم مجئ الفاء	حجم سقوطها
نمط الصدارة الذي اقترنت فيه جمل جواب الشرط	١٢٤	٢٢
نمط تقدم جمل جواب الشرط	١٢	١٣٥

فالنتائج الرقمية تكاد تكون متطابقة تمامًا . ويعنى هذا أن الرابط يقل ويندر إذا تغير النظام الترتيبي للجملة الشرطية ، وكما أوضحنا فإن سبب مجئ الفاء

هو ربط جملة جواب الشرط التي تتغاير طبيعة بنائها بجملة الشرط حتى لا تقع الجمل تحت طائلة التنافر في أبنيتها . فتحمل جواب الشرط على الاستئناف أكثر ما تحمل على التعليق . أما في هذا النمط ، فإن الرابط يتحول إلى الأداة ذاتها. فتتوضح طبيعة التعليق بين الجمل دون أن يقع تنافر بينها . ويمكن تأمل قول العدواني لتبيان ذلك .

١٤٥ - إن كنت أكبرت الشجاعة وحدها

فالليث أولى أن يكون المكبرا

أجنحة ٢٢٢

وبسقوط الفاء يكون التعليق بين الجمل هكذا :

إن كنت أكبرت الشجاعة وحدها

الليث أولى أن يكون المكبرا

ولو افترضنا دخول أن المؤكد على جملة جواب الشرط لتوضح بشكل أدق انجذاب الجمل إلى بعضها أو تنافرها :

- إن كنت أكبرت الشجاعة وحدها

إن الليث أولى أن يكون المكبرا

- إن الليث أولى أن يكون المكبرا

إن كنت أكبرت الشجاعة وحدها

هذا النمط ، إذن ، ذو خصائص بنائية ودلالية : إذ إنه يجيء حيث تكون الجمل المعلقة هي الأساسية في التراكيب والأهمية معقودة عليها ، والشاعر يحقق فيه استخدام جمل ذات طبيعة متضادة دون أن يحتاج إلى رابط ، ودون أن توحي الجمل المعلقة بأنها جمل استئنافية ، كما أن هذا النمط يفيد في تآلف صيغ فعلية لا تأتي إلا نادرة في الأنماط الأخرى .

النمط في المباحث النحوية :

حلل سيبويه الجملة الشرطية التي تتقدم جمل جواب الشرط فيها ، على ضوء المعطيات الإعرابية فلم يجز في حروف الشرط إذ كانت جازمة أن تتأخر . فقال « تقول آتى من يأتيني وأقول ما تقول وذلك أنه قبيح أن تؤخر حرف الجزاء إذا جزم ما بعده ، ولو جزموه ها هنا ، لحسن أن تقول « آتيك أن تأتيني، فإذا قلت : « آتي من أتاني » فأنت بالخيار إن شئت كانت أتاني صلة وإن شئت كانت بمنزلتها في إن »[1] .

وحمل صاحب كتاب الأصول على رأي سيبويه « لأنك إذا قلت « آتي من أتاني » وجب أن تكون من منصوبة بقولك « آتي » ونحوه ، وحروف الجزاء لا يعمل فيها ما قبلها »[2] فقد جوز المبرد فيها تقدم جملة جواب الشرط واشترط ، متابعا رأي سيبويه أن يكون فعل جملة الشرط ماضيا ، قال « ما يجوز تقديم جواب الجزاء عليه . . . نحو آتيك أن أتيتني »[3] أن تحديد دلالة « من » يعود أساسًا إلى ظرف المتخاطبين أو الموقف الاجتماعي ، فإذا عبرت من عن شخص بعينه دلت على المفعولية ، أي آتي زيدًا الذي أتاني ، فإذا عبرت عن العموم فقدت بذلك أية وظيفة نحوية . . . ولم تعد هنا اسما بل تحولت إلى أداة شرط . ويكتسب التركيب الشرطي منها الإشارة إلى العموم العاقل . وهذا كالقول من يأتني آته فمن هنا ليست مبتدأ ، والجملة بعدها ، ليست جملة خبرية . بل جملة تدخل في إطار التعليق الشرطي لا الإخبار . ومن هنا كانت عبارة سيبويه دقيقة وصائبة « فإذا قلت آتي من أتاني فأنت بالخيار إن شئت كانت أتاني صلة وإن شئت كانت بمنزلتها في إن »[4] .

---

(١) الكتاب ج ٣ ص ٧٠ .

(٢) الأصول ج ٢ ص ٢٠٣ ابن السراج .

(٣) المقتضب ج ٢ ص ٦٨ .

(٤) الكتاب ج ٣ ص ٧٠ .

ونقل الزجاج رأيا لسيبويه في هذا النمط . قال : سيبويه يقول إن الشرط على وجهين ، أحدهما أن يكون المعتمد المقصود ، تقديم الشرط وإتباع الجزاء له ، ولا يجوز تقديم الجواب على الشرط ، والآخر أن يكون الاعتماد على فعل وفاعل أو مبتدأ وخبر ، يبتدئه المتكلم ويعلقه بالشرط، كما يعلق بظرف ، فيقول : « أكرمك إن أتيتني »[1] ولعل رأي سيبويه هذا أهم رأى صدر في تحليل هذا النمط ففي ، الحالة الأولى ، إن كان القصد تعليقا متوازنا بين جملتي الشرط وجوابه ، فإن النظام الشرطي يكون على تقديم الأداة فجملة الشرط فجملة جواب الشرط ، أما إن كان القصد أن نبتدئ ، والابتداء بشيء إكسابه أهمية خاصة ، سواء كان ما نبتدئ به جملة فعلية أم اسمية ، ففي هذه الحالة تتقدم جمل جواب الشرط على جمل الشرط .

وهذا رأي لسيبويه شديد الأهمية في تحليل الطبيعة التي يقوم عليها هذا النمط ، وهو ينطبق ، تمامًا ، على شواهد النمط في موضوع البحث ، التي عرضنا لجزء منها سابقًا .

وبعد سيبويه تباينت آراء النحاة في تحليل هذا النمط الشرطي وهي في مجموعها تنحصر في ثلاثة آراء :

الأول : ما خالف فيه ابن جني « سيبويه » الذي ذهب إلى جواز تقديم جملة جواب الشرط إذا كان فعل جملة الشرط ماضيا قال ابن جني : « فأما قولك » « أقوم إن قمت » ، فإن قولك أقوم ليس جوابا للشرط ، ولكنه دال على الجواب »[2] أما إذا كان الفعل في جملة الشرط مضارعا فذهب إلى أنه « لا يجوز تقديم الجواب على المجاب . ألا تراك لا تقول أقم إن تقم وعلل

---

(١) إعراب القرآن ج ٣ ص ٧٨١ .

(٢) الخصائص ج ٢ ص ٣٨٧ .

ذلك : بأن جواب الشرط مجزوم بنفس الشرط ، ومُحال تقدم المجزوم على جازمه »[1] . فالعلة عند ابن جني علة نحوية . أما ابن السراج فقد علل تقديم جملة جواب الشرط على جهتين : « أما أن يضطر شاعر فيقدم الجزاء للضرورة ، وأما أن تذكر الجزاء (جملة جواب الشرط) بغير شرط (أي بغير جملة الشرط) ولا نية فيه فتقول : أجيئك ، فيعدك بذلك على كل حال ، ثم يبدو له ألا يجيئك ، بسبب ، فيقول إن جئتني ، ويستغني عن الجواب بما قدم »[2] . وهذا يعنى أن تركيب جملة جواب الشرط ، على رأى ابن السراج ، ليس له علاقة بالشرط أساسًا ، وأنه إنما نشأ لظروف خاصة ، بين المتخاطبين ، مع وجود فاصلة زمنية بينهما . وعلل « ابن الخشاب » في « المرتجل » عدم جواز تقديم جملة جواب الشرط على وجه آخر . قال : « الجزاء أقعد في الاستقبال من شرطه لأنه يتحدد بعده ، وهو علة وسبب ، والجزاء فعل ومسبب ، ولا مرية في تقديم السبب على المسبب زمانا ورتبة »[3] وردد الرأي ، ذاته ابن الانباري في إنصافه[4] وتوالت آراء النحاة متابعة ابن جنى في أن ما تقدم دليل على الجواب وليس الجواب ذاته . قال المالقي : « إن قولك أقوم إن قام زيد ، فالجواب محذوف ، لدلالة ما تقدم عليه ، والتقدير أقم »[5] ونفس الرأي ردده ابن هشام فقال : « وذلك واجب (أي حذف جملة جواب الشرط) إن تقدم عليه أو اكتنفه ما يدل عليه فالأول : « هو ظالم إن فعل »[6] وأعاد الرضي نفس الرأي : إذ جواب الشرط أما بعده أو

(١) الخصائص ج ٢ ص ٣٨٧ .

(٢) الأصول ج ٢ ص ١٩٦ .

(٣) المرتجل ص ٢١٩ .

(٤) الإنصاف ج ٢ ص ٦٢٧ .

(٥) رصف المباني ص ١٠٦ .

(٦) المغنى ج ٢ ص ٦٤٧ .

مدلول عليه »[1] .

وتابع هذه الآراء التي ترفض كون الجملة المتقدمة جملة جواب الشرط الخضري في حاشيته . وأطلق على جملة جواب الشرط المتقدمة : « شبه الجواب ، وهو دليل الجواب ، والجواب محذوف لا هو الجواب نفسه »[2] .

وعلى الرغم من أن « البصريين » ذهبوا إلى أنه إذا تقدم على أداة الشرط صدر جواب من حيث المعنى ، فليس عندهم بجواب له لفظا ، لأن للشرط صدر الكلام ، بل هو دال عليه كالعوض منه »[3] . وعلى الرغم من أنهم قالوا بهذا ، إلا أنهم رفضوا مقولة أن يكون الجواب محذوفا ، كما ذهب المالقي وابن هشام والخضرى ، « فعند البصريين لا يقدر مع هذا المقدم جواب آخر للشرط ، وإن لم يكن جوابا ، لأنه عندهم يغنى عنه »[4] .

الرأي الثاني : رأي الكوفيين وهو « أن الأصل في الجزاء أن يكون مقدما على إن كقولك : أضرب إن تضرب ، وكان ينبغي أن يكون (الفعل المضارع في جملة جواب الشرط) مرفوعا إلا أنه لما أخر انجزم بالجوار »[5] وهو رأي يتابع رأي « يونس »[6] الذي احتج سيبويه عليه[7] .

وقد استدل الكوفيون برأيهم هذا ، بعدد من الشواهد : كقول الشاعر :

يا أقرع بن حابس يا أقرع   إنك إن يصرع أخوك تصرع

---

(١) الكافية ج ٢ ص ٢٥٧ .

(٢) حاشية الخضري ج ٢ ص ١٢٢ .

(٣) الكافية ج ٢ ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

(٤) الكافية ج ٢ ص ٢٥٧ .

(٥) الإنصاف ج ٢ ص ٦٢٣ .

(٦) حاشية الصبان ج ٤ ص ١٣ .

(٧) الكتاب ج ٤ ص ٢٣٤ .

قالوا « التقدير فيه (أنك تصرع إن يصرع) ولولا أنه في نية تقدير التقديم لما جاز أن يكون مرفوعا »[1] .

وهو رأي فيه بعض التعسف لسببين : أولهما : أنهم أقاموا نية تقديم جمل جواب الشرط على ثلاثة أو أربعة شواهد ، من خلال ملاحظة قرينة واحدة ، في التراكيب التي عرضوا لها وهي قرينة الإعراب ، فجعلوها أساسًا لقياس حكم عام على جمل جواب الشرط ، ثم حكم أعم على اللغة كلها . وثانيهما : أن النية في اعتقاد المتكلم أو الكاتب لا يمكن أن تكون قاعدة لغوية ... لأننا نبحث فيه تكلم به المتكلم وليس في نواياه .

وإذا أعدنا تحليل جملة (إنك إن يصرع أخوك تصرع) لا نجدها تمت إلى هذا النمط بصلة ، بل هي من أنماط الاكتفاء وهو كالقول :

هو ، إن فعل ، ظالم . إنك ، إن يصرع أخوك ، تصرع .

وتكون قرينة الإعراب في الفعل المضارع تصرع وهي الضمة ، دليل على أنها خبرا إلى المبتدأ (أنك) لا لكي تدفع هذا الفعل إلى التقديم ولكن كي تكون علامة على ربط أجزاء تركيب تباعدت وهي أنك ... تصرع . مع الاحتفاظ بهذا التباعد لأنه يحقق غرضا من أغراض المعنى .

أما الرأي الثالث : أن الجملة المتقدمة هي جملة جواب الشرط ذاتها ، وهو رأي القيسي ، قال به حين عرض لقوله تعالى ﴿ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ ﴾[2] .

---

(1) الإنصاف ج ٢ ص ٦٢٩ .

(2) الممتحنة : ١ وتمامها ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ﴾ اي لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ... إن كتم خرجتم ... الآية .

قال : « إن للشرط وجواب الشرط فيما تقدم من الكلام »[1] أما الدراسات المعاصرة فلم تخرج ملاحظاتها في هذا الجانب عن إطار ما لاحظه النحاة ، يقول تمام حسان في تأكيده على قاعدة الصدارة في الشرط : والأداة قرينة لفظية مستخدمة في التعليق ، وهي في مجموعها من المبنيات ، فلا تظهر عليها العلامة الإعرابية ومن ثم أصبحت كلها ذات رتبة، شأنها في ذلك شأن المبنيات الأخرى التي تعينها الرتبة على الاستغناء عن الإعراب وهذه الأدوات على نوعين : أحدهما : الأدوات الداخلة على الجمل ، ورتبتها ، على وجه العموم الصدارة مثل ذلك أدوات جمل الشرط[2] هناك بعض التحفظ على رأي تمام حسان إذ إن القرينة الإعرابية ليست هي القياس الوحيد الذي يكشف عن معاني ووظائف أجزاء التركيب في العربية حتى تحل محله الرتبة في المبنيات . ووجب على قول أن تكون « أن » في قوله تعالى : ﴿إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ﴾[3] أداة شرط وليس أداة نفي ، لأنها أداة مبنية . . . ذات رتبة . كما إن تمام حسان هو نفسه القائل : « لا أكاد أمل من ترديد القول : إن العلاقة الإعرابية بمفردها لا تعين على تحديد المعنى فلا قيمة لها ، بدون ما أسلفت القول فيه ، تحت اسم تضافر القرائن »[4] وأيضًا تعليقا على رأي تمام حسان أن هناك من المبنيات ما تتعدد معانيها ووظائفها فما تعينها الرتبة في تحديد هذا المعنى أو تلك الوظيفة كالأداة « ما » ، تأتي أداة تعجب ونفي واستفهام وشرط بنفس الرتبة فالذي يحدد مدلولها تضافر القرائن الأخرى كما أشار إلى ذلك . كما أن الدكتور تمام حسان وهو واحد ممن حاولوا وضع منهج لغوي جديد للعربية لم يعرض للعديد من النماذج التي لم تحتل فيها أداة الشرط ، موقع الصدارة .

---

(١) مشكل إعراب القرآن ج ٢ ص ٧٢٨ .

(٢) اللغة العربية ، معناها ومبناها ص ٢٢٤ .

(٣) الملك ٢٠ .

(٤) اللغة العربية ، معناها ومبناها ص ٢٠٧ .

وقد ناقش دارسون معاصرون آخرون قضية تقديم جمل جواب الشرط ، ولم تخرج ملاحظاتهم عما رآه القيسي ، قال المخزومي : « وقد يتغير نظام جملة الشرط (الجملة الشرطية) بتقديم عبارة الجواب على أداة الشرط فتبقى الدلالة ، ويبقى الأسلوب ، ولم نشعر بعد هذا أن بنا حاجة إلى تقدير جواب يفترض أنه محذوف لدلالة ما قبل الأداة من كلام عليه كما كان النحاة يفعلون »[1] وعرض إبراهيم بركات في رسالته الجملة الشرطية عند الهذليين إلى هذا النمط ، وحلل نصوصًا منه ، ثم انتهى إلى أن « التحليل يؤكد أن ما سبق هو جملة جواب الشرط وليس دليلاً عليه ، وقد ابتدأ بها لأنها المعنى الأهم »[2] وهذا التحليل يطابق في بعض أسسه ما اعتمده النحاة حين عرضوا لهذا النمط[3] .

أنواع جمل جواب الشرط في هذا النمط :

يبين الجدول الآتي أنواع الجمل البسيطة التي وردت جمل جواب شرط ، في موضوع البحث ، مع حجم استخدامها :

(١) في النحو العربي ، نقد وتوجيه : ٢٨٩ ، ٢٩٠ .

(٢) الجملة الشرطية عند الهذليين ص .

(٣) إعراب القرآن ج ٣ ص ٧٨١ .

نوع النمط	نوع الجملة	حجم استخدامها	المجموع
نمط تقديم جملة جواب الشرط على الأداة وجملة الشرط	فعلية فعلها مضارع	٧٠	
	اسمية	٣٤	
	غير إسنادية	٢٣	
	فعلية فعلها طلبي	١٠	
	فعلية فعلها ماض	٧	
			١٤٤

فإذا عرضنا للجمل في أنماط الصدارة والنمط الشرطي بالرابط الفاء، وجدنا مجموع استخدام الجمل وأنواعها كما يلي :

النمط	نوع جملة جواب الشرط	حجم الاستخدام	المجموع
أنماط الصدارة	جملة فعلية فعلها ماض	٢٠٠	٢٣٢
	جملة فعلية فعلها مضارع	١٨	
	جملة اسمية	١٤	

النمط	نوع جملة جواب الشرط	حجم الاستخدام	المجموع
نمط الرابط الشرطى بالفاء	اسمية	٣٥	٧٢
	فعلية فعلها طلبى	٢٣	
	فعلية مقترنة بحرف / ك لن ، ما السين ، سوف قد	١٤	

هذه النتائج في أنواع جمل جواب الشرط ، تتناسب تناسبا ، يكاد يكون تاما ، ونظام النمط الداخلة فيه . . ففي أنماط الصدارة كانت جملة جواب الشرط فعلية فعلها ماض (٢٠٠) موضع . وينخفض هذا الرقم انخفاضًا كبيرًا جدًا في النمط الذي تتقدم فيه جمل جواب الشرط حتى يبلغ (٧) . . . والجملة المضارعية تشكل الأساس البنيوي لهذا النمط : (٧٠) وتنخفض هذه النسبة انخفاضا كبيرًا أيضًا في أنماط الصدارة : (١٨) موضع . . . وتنحو الجمل في النمط الشرطي بالرابط منحى هذا النمط : نمط التقديم ، كذلك يتيح النمط بالرابط ونمط التقديم استيعاب أنواع من الجمل ، نادرة المجىء في أنماط الصدارة . . . وكما يأتي :

نوع الجملة	نمطا التقديم والربط بالفاء	أنماط الصدارة
الاسمية	٤٨	١٤
الفعلية الطلبية	٣٢	لا يوجد
غير الإسنادية	٢٣	لا يوجد

وتكون الأرقام النهائية كما يلي :

الجملة	نمطا التقديم والربط بالفاء	أنماط الصدارة
الجمل المنوعة عدا الماضوية	١٨٠	٢٤
الجمل الماضوية	٧	٢٠٠

صور النمط

وردت لهذا النمط إحدى عشرة صورة هي :

الصورة الأولى :

جملة جواب الشرط + إذا + جملة الشرط

وردت صورة النمط هذه في {٥٦} موضعا .

وقد مثلنا لها في شواهد سابقة ، ومن شواهدها أيضًا قول العتيبي :

١٤٦ - سيحشد الليل أقمارًا ملونة

إذا التقينا ونـــور الفجـر ينتظر

مزار ٤٠

وقول الوقيان :

١٤٧ - أريدك نورا يـدوم ويبقــى

إذا كل حي على الأرض حالا

المبحرون ١٢٤

وقول العدواني :

١٤٨ - ولا يكفون عن جهل ومنقصة

إلا إذا لم يكـن للجهل من سبب

أجنحة ٢٢٨

وقوله أيضًا :

١٤٩ - ولن يغنيكم صوت وصول

إذا زحف الخراب إلى الرحاب

أجنحة ٢١٣

الصورة الثانية :

جملة جواب الشرط + إن + جملة الشرط

وردت الصورة هذه في [٣٥] موضعا . ومن شواهد هذه الصورة :

قول الوقيان :

١٥٠ - ويشقيك احتباس النو

ر إن أغفى ، وإن وئدا

الأزمنة ٢٧

وقول العتيبي :

١٥١ - أقضي الحياة ضائعا

إن لم تكوني لي سكن

طائر ١٥٣

وقول العدواني :

١٥٢ - لا تهابي إن طواني البحر يوما في العباب

أجنحة ٢٠٧

الصورة والقضايا الإعرابية :

إذا تقدمت جملة جواب الشرط على أداة شرط جازمة ، فإن سيبويه يشترط أن تكون جملة الشرط فعلية فعلها ماض لفظا ومعنى أو معنى فقط (لم يفعل) . وتابعه في هذا أغلب النحاة [(١)] وقد منع « ابن جنى » أن تكون الجملة المتقدمة في هذه الحالة ، جملة جواب الشرط ، بل هي دليل »[(٢)] .

وقد جاءت جملة الشرط في هذه الصورة - أي مع أداة شرط جازمة - على النحو التالي :

---

(١) المقتضب ج ٢ ص ٦٨ . وانظر الكافية ج ٢ ص ٢٥٨/٢٥٩ .

(٢) الخصائص ج ٢ ص ٣٨٨ .

	عدد التكرار
١ - جملة فعلية فعلها ماض لفظا	٣٠
٢ - جملة فعلية فعلها ماض معنى (لم يفعل) (لم أفعل)	٩
٣ - جملة اسمية خبرها فعل ماض	٥
٤ - جملة فعلية فعلها مضارع	٣
	المجموع ٤٧

فإذا أضفنا حجم تردد الجملة الاسمية [٥] لأن أخبارها فعلية ماضوية - وهي فعلية عند النحاة على شريطة التفسير ، إلى الجملة الفعلية التي فعلها ماض ، فإنها تكون قد جاءت في [٣٥] موضعا من مجموع المواضع البالغ عددها [٤٧] أما الجملة الفعلية التي كان فعلها مضارعا فقد وردت في [٣] مواضع فقط ، منها [٢] جاءت بصيغة القرينة الزمانية « يكن » وواحدة بصيغة المضارع المحض . ويعنى هذا تطابقا تاما مع رأي سيبويه : « قبيح أن تؤخر حرف الجزاء إذا جزم ما بعده »[١] .

الصورة الثالثة :

جملة جواب الشرط + حين + جملة الشرط

وردت صورة النمط هذه في ثلاثة وثلاثين موضعا . مثالها قول الوقيان :

١٥٣ - يمضغ الجوع والشقاء ويسمو
حين تعوي به الرياح السود

المبحرون ٦٠

---

(١) الكتاب ج ٣ ص ٧٠ .

وقول العدواني :

١٥٤ - جنى ذنبا على نزق فحل اللغز حين جنى

أجنحة ٢٠٦

وقول العتيبي :

١٥٥ - يختبىء العاشقون خلف الحنايا

حين ينسى دفء القلوب الحنان

مزار ١٤

الصورة الرابعة :

جملة جواب الشرط + لو + جملة الشرط

وردت الصورة هذه من نمط تقديم الجملة الشرطية في {٩} مواضع وقد مثل لها العتيبي بقوله :

١٥٦ - كاد الزمان على أبوابنا يقف

لو أن صحبك إذ ناديتهم وقفوا

مزار ١٠٨

وقول الوقيان :

١٥٧ - لعلي مشتاق ولكن ، لساعة

فما ضر لو طاب اللقاء وبكرا

الأزمنة ١٤١

الصورة الخامسة :

جملة جواب الشرط + عندما + جملة الشرط

وردت صورة النمط هذه في « ثمانية » مواضع ومن شواهدها قول العتيبي :

١٥٨ - أطعم القلب من رؤاك الجميلة
عندما تصبح الليالي بخيلة
مزار ٧٣

وقول العتيبي أيضًا :

١٥٩ - عيناك يا طفلتي بحري وشطآني
وموطني بعدما ضيعت أوطاني
مزار ١٧٩

ولم ترد هذه الصورة عند الوقيان ، وكذلك لم ترد عند العدواني .

الصورة السادسة :

جملة جواب الشرط + إذا + جملة الشرط

وردت صورة النمط هذه في ثمانية موضعا ومثالها قول الوقيان :

١٦٠ - خدع العشاق إذ ظنوك ظلا
من جنى الفردوس وهمى الغصون
المبحرون ١٥٥

وقول العدواني :

١٦١ - أترى يعاب علي إذ آثرتهم
في الروع إن هم انكروا إيثاري
أجنحة ٩٩

ولم ترد هذه الصورة عند العتيبي .

الصورة السابعة :

جملة جواب الشرط + من + جملة الشرط

وردت صورة النمط هذه في ثمانية مواضع ، ومثالها في قول العدواني :

١٦٢ - وأرى الشــاعــر مـــن صـــور للنـفـــس رؤاهـــا

أجنحة ٢١٢

وقول العتيبي :

١٦٣ - مـذ نسينا أن الزمـــان حسـام

سيد العـصر مـــن يجيـــد امتشاقه

مزار ٨٩

وقول الوقيان :

١٦٤ - شجـر الجنة لا يستر

من يخلف للرحمن أمرا

الخروج ٧٦

الصورة الثامنة :

جملة جواب الشرط + لما + جملة الشرط

وردت صورة النمط هذه في سبعة صور ، مثالها قول الوقيان :

١٦٥ - وتقطـــع العقد المدلل غاضـــبا

لما نسجـــت علـــى الجبين كـــواكبا

المبحرون ٩٩

وقول العتيبي :

١٦٦ - وسيشكو العشاق للفجر لما

كل نجم من السخام توارى

طائر ١٤٥

وقول العدواني :

١٦٧ - مد إليها سببا

أو ناولته شهبا . . . ؟؟

كأنما السماء أجرمت

لما تعالت منصبا

ونسبا

أجنحة ٢٠٩

وجميع أمثلة هذه الصورة اختصت بدلالتها على الزمن الماضي .

الصورة التاسعة :

جملة جواب الشرط + كلما + جملة الشرط

وردت صورة النمط هذه في موضعين فقط عند العتيبي ومن أمثلتها قوله :

١٦٨ - تركوه كغابة الملح تعرى

كلما جدد الربيع ائتلافه

مزار ٨٦

الصورة العاشرة :

جملة جواب الشرط + لولا + جملة الشرط

وردت صورة النمـط هذه في موضع واحد عنـد العدواني فقط وفـي مثاله يقول :

١٦٩ - ما هــدم الجبــال بانيهـا

لولا عيوب عششت فيهـا

أجنحة ٢٩

الصورة الحادية عشر :

جملة جواب الشرط + الأداة + جملة الشرط

جملة جواب الشرط + متــى + جملة الشرط

وردت صورة هذا النمط في موضع واحد فقط ، عند العتيبي :

١٧٠ - وأنت تســافر منــا لنـا

متى جدل القلب شوق السنين

وســد مراياك غيـم الحنـين

مزار ٢٥

* * *

النتائج :

قام هذا البحث على تحليل شامل لأنماط الجملة الشرطية في الشعر الكويتي المعاصر ، مستقيا مادته من المجموعات الشعرية للشعراء : أحمد العدواني ، عبد الله العتيبي ، خليفة الوقيان . وقد تناول أنماط الشرط ودلالاتها كما عرض لتحليل الأنماط الشرطية في اللغة العربية من خلال مباحث النحاة القدامى وبحوث المعاصرين بغية الوقوف على الظواهر اللغوية التي استجدت في اللغة العربية المعاصرة . وانتهى البحث إلى النتائج التالية :

١ - وضع هذا البحث ، إطارًا نظريًا في تحليل أنماط الجملة الشرطية وقد ارتكزت عناصر هذا الإطار على النظام اللغوي في القرآن الكريم وآراء النحاة القدامى والدارسين المعاصرين . وانتهى البحث في هذه النقطة إلى أن الشرط تركيب مبنى على تآلف جمل بسيطة مع بعضها أو مع جمل غير إسنادية بعلاقة مركبة .

٢ - وردت الجملة الشرطية وفق نظام الصدارة في أربعة عشر وثلاثمائة (٣١٤) موضع من مجموع المواضع البالغ عددها في موضوع البحث سبعمائة (٧٠٠) موضع ، وفي هذا النظام تتصدر : أداة فجملة الشرط فجملة جواب الشرط وقد ورد مع جميع أدوات الشرط كما عرضنا في الأنماط الشرطية المتقدمة في البحث ، أن مفهوم الصدارة لأداة الشرط في مباحث النحاة مرتبط بمنهج العمل النحوي فلا يتقدم على الأدوات عامل أو كلام يؤثر فيه . والحقيقة اللغوية التي يمكن أن نوضحها هنا أن نظام الصدارة أحد أنظمة الجملة الشرطية في العربية ، وقاعدة النحاة ، في أن الشرط نظام ذو رتبة هي رتبة التصدر ، لم تخضع إلى استقصاء ، ولم تبن على أي إحصاء في كلام العرب ، فمفهوم الصدارة يتجاوز الشكل ويتحكم في

التراكيب اللغوية ، كما في أنماط الشرط التي تتقدم فيها جمل جواب الشرط على جمل الشرط أو تكتنفها . وفي موضوع البحث لم تقم الجمل الشرطية على أسس نظام الصدارة إلا في نصف النماذج الواردة فيه . . . فهل نقول هنا إن الشعر الكويتي المعاصر ، قد كسر تلك القاعدة؟ لا يمكن أن نطلق مثل هذا الحكم ولا يمكن أن ننفيه .

٣ - ارتباط تنوع الصيغ بتنوع الأنماط ففي أنماط تقدم جمل جواب الشرط والرابط بالفاء يحصل شيوع للجمل الاسمية وغير الإسنادية ، والفعلية والمضارعة ، وتقل الجمل الفعلية التي فعلها ماض . وفي الأنماط الأخرى تكون الجمل الفعلية التي فعلها فعل ماض هي الأكثر استخداما ، وتقل أو تكاد تنعدم الجمل الفعلية التي فعلها مضارع وغير الإسنادية والاسمية .

٤ - شكلت الجملة الفعلية التي فعلها ماضي النسبة الأغلب في أنماط الجملة الشرطية ، وقد أظهرت الإحصاءات أن الجملة الشرطية تبنى في أغلبها على تآلف جمل فعلية فعلها ماض . فقد انبنى الشرط في موضوع البحث في نسبته المطلقة على الجمل الفعلية وهذا يتطابق مع آراء النحاة .

٥ - كانت الجملة الاسمية إحدى مكونات جملة الشرط ، ولكنها لم تشكل إلا نسبة ضئيلة في مجموع المواضع التي وردت في موضوع البحث ، وهذا يتطابق مع آراء بعض النحاة ، ولكنه يختلف عن آراء أغلب النحاة الذين رأوا أن جملة الشرط لا تكون إلا جملة فعلية ، ظاهرة أو مقدرة .

٦ - حافظ النظام اللغوي الشرطي في موضوع البحث على وجود الرابط الشرطي الفاء في النسبة المطلقة فقد جاءت الفاء في عشرين ومائة (١٢٠) موضع وسقطت في النسبة القليلة في ثلاثة وعشرين موضع . وهذا

يتطابق مع آراء النحاة ، الذين أولوا تلك الوحدة الصرفية ، عناية خاصة، وقد انقسمت آراء النحاة بشأن وظيفتها أو دلالتها في الجملة الشرطية . ومن الواضح أن هذه الفاء المقترنة بجمل جواب الشرط ليس لها أي أثر في المعنى كما ليس لها دور في ربط جمل متعارضة الدلالة . ويعنى تركز الفاء في الجمل الاسمية والفعلية أن الشاعر الكويتي المعاصر يعمد إلى هذا النمط لاستغلال خصائص الجملتين الاسمية والفعلية الإنشائية . حيث يندر مجيء هذا النوع من الجمل في أنماط أخرى ، ومن الممكن القول إن الشاعر الكويتي قد حافظ على مجيء الرابط الشرطي الفاء في النظام الشرطي ، دون أن يحمله اضطرار على تركه .

٧ - تنوع دلالة الارتباط الشرطي ، حيث قام على كون جملة جواب الشرط مسببة عن جملة الشرط أو مجيئهما متلازمتين أو متقابلتين ، وهذا يخالف آراء أغلب النحاة التي ذهبت إلى أن الشرط يقوم على السببية والتعليق ، في حين وجد نحاة آخرون وفي مقدمتهم الرضي أن السببية ليست دلالة وحيدة على الارتباط الشرطي ، بل إنه قد يقوم على التلازم والتقابل أيضًا .

٨ - في أنماط الصدارة كانت جملة جواب الشرط جملة فعلية فعلها ماض وتقدر بثلاثمائة (٣٠٠) موضع وينخفض هذا العدد انخفاضا كبيرًا جدًا في النمط الذي تتقدم فيه جمل جواب الشرط حتى يبلغ ثلاثة عشر (١٣) موضعا فقط . والجملة المضارعية تشكل الأساس البنوي لهذا النمط ، وتنخفض هذه النسبة في أنماط الصدارة ، وتنحو الجمل في النمط الشرطي بالرابط منحى هذا النمط : نمط التقديم كذلك يتيح النمط بالرابط ونمط التقديم استيعاب أنواع من الجمل ، نادرة المجيء في أنماط الصدارة مثل الجملة الفعلية الطلبية ، والجملة غير الإسنادية .

٩ - لم تعبر الصيغ الفعلية في موضوع البحث عن دلالة زمنية مستقرة ، فقد وردت صيغة الماضي ، دالة على الماضي والمستقبل أو خالية التعبير عن زمان معين ، كذلك وردت صيغة المضارع دالة على الماضي والحاضر والمستقبل وهذا قد خالف آراء أغلب النحاة الذين ربطوا بين الصيغة الفعلية والزمن .

١٠ - كشف موضوع البحث عن خلو أداة الشرط في التعبير عن دلالة معينة وهذا يخالف آراء معظم النحاة التي ربطت الأداة بدلالات خاصة كالشك والإبهام والاحتمال والقطع وغيرها .

١١ - ميل الشاعر الكويتي المعاصر إلى تفادي الحالة الإعرابية باختياره أدوات ليس لها خاصية إعرابية واختياره أيضًا صيغا معينة .

١٢ - تمكن الشاعر الكويتي المعاصر بواسطة استخدام ظاهرة ترادف الأدوات الشرطية في أنماط تركيبية معينة إلى تجاوز وتفادي المستلزمات الإيقاعية والإعرابية ، وهذه ظاهرة ملحوظة في موضوع البحث .

١٣ - ظاهرة تكرار جمل جواب الشرط المتقدمة في موضوع البحث ، يتوخى الشاعر الكويتي بواسطتها زيادة التأكيد على تلك الجمل أو الإفادة منها في بناء صور الأنماط الشرطية للتوسع الحاصل فيها . . . كي لا يتخلخل نظام العلاقات نتيجة لهذا التوسع .

١٤ - ظاهرة الصور الشرطية وأنماط هذه الصور ، وقد ألف موضوع البحث قصائد كاملة دارت في إطار تلك الصور ، التي يفيد فيها الشاعر من التوسع والاستطراد وهو ما يسمح به نظام الصور الشرطية وأنماطها التي تقوم على التوسع في جملة الشرط أو جملة جواب الشرط أو في كليهما معا .

١٥ - احتلت أدوات الشرط « إن ، إذا ، لو » الحجم الأكبر في موضوع البحث إذ ترددت في أنماط الشرط في ثلاثمائة موضع من مجموع المواضع البالغ عددها سبعمائة موضع وهذا يتطابق مع الآراء التي عدت تلك الأدوات الثلاث ، الأدوات الأساسية في الشرط .

١٦ - تحول الشاعر الكويتي المعاصر في موضوع البحث إلى أدوات شرطية ، لم يدرجها أغلب النحاة في الدائرة الشرطية مثل : حين ، عندما ، كلما ، إذ ، حيث .

المصادر والمراجع

١ - إبراهيم أنيس ، أسرار اللغة ، ط ٦ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٨ م .

٢ - إبراهيم بركات ، الجملة الشرطية عند الهذليين ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، كلية الآداب ١٩٧٧ م .

٣ - إبراهيم السامرائى ، الفعل زمانه وأبنيته ، مطبعة العانى ، بغداد .

٤ - ابن جني (أبو الفتح عثمان) ، الخصائص ، تحقيق محمد النجار ، طبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٥٢ م .

٥ - ابن السراج (أبو بكر محمد بن سهل) ، الأصول في النحو تحقيق عبد الحسين الفتلي ، مطبعة النعمان ، النجف الأشراف ، ١٩٧٣ م .

٦ - ابن عصفور (أبو الحسن على بن مؤمن) ، المقرب تحقيق أحمد عبد الستار الجوارى وعبد الله الجبورى ، مطبعة العانى ، بغداد ، ١٩٧١ م .

٧ - ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله) ، شرح ألفية ابن مالك تحقيق محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٦٧ م .

٨ - ابن هشام (جمال الدين أبو محمد عبد الله) ، مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، منشورات دار الكتاب العربى ، بيروت ، ١٩٦٩ م .

٩ - ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن علي) ، شرح المفصل ، عالم الكتب، بيروت ، مكتبة المتنبى ، القاهرة .

١٠ - الأستراباذى (رضي الدين محمد بن الحسن) ، شرح كافية ابن الحاجب

١١ - الأشموني (أبو الحسن علي نور الدين بن محمد) ، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط ٣ ، مطبعة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .

١٢ - ابن الأنباري (أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد) ، الإنصاف في مسائل الخلاف تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، ط ٤، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٦١ م .
١٣ - برجشتراسر ، التطور النحوي للغة العربية ، عنى بطبعه محمد حمدى البكري ، مطبعة السماح ، القاهرة ، مصر ، ١٩٢٩ م .
١٤ - تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها .
١٥ - ثعلب (أبو العباس أحمد بن يحيى) ، مجالس ثعلب ، شرح وتحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف ، مصر ، القاهرة ، ١٩٦٩ م .
١٦ - الجرجاني (أبو بكر عبد القادر بن عبد الرحمن) ، دلائل الإعجاز - تحقيق محمد عبده ومحمد محمود الشنقيطى ، مطبعة محمد على صبيح ، القاهرة ، د.ت . الجمل - تحقيق علي حيدر ، منشورات دار الحكمة ، دمشق ، ١٩٧٢ م .
١٧ - الخضري شمس الدين محمد بن مصطفى محمد ، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ، ١٢٨٢ هـ .
١٨ - الزمخشري (جار الله أبو القاسم محمود بن عمر) ، المفصل فى صنعة الإعراب ، ط ٢ ، دار الجيل ، بيروت ١٣٢٣ هـ .
١٩ - سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر) ، الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون .
٢٠ - السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين) ، الأشباه والنظائر تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الكليات الأزهرية ، شركة الطباعة الفنية ، ١٩٧٥ م . وله أيضًا : همع الهوامع - تحقيق محمد بدر الدين الغسانى ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .

٢١ - الشلوبين (أبو علي بن محمد بن عمر بن عبد الله) ، التوطئة تحقيق يوسف أحمد المطوع ، ط ١ ، دار التراث العربي ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .
٢٢ - الصبان (محمد بن علي) ، حاشية الصبان على شرح الأشمونى ، عيسى الحلبى ، القاهرة ، د.ت .
٢٣ - عباس حسن ، النحو الوافي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ م .
٢٤ - عبد العزيز محمد الصالح المعيد ، الشرط في القرآن الكريم ، رسالة ماجستير ، دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٦ م .
٢٥ - عبد الله الجبوري ، ابن درستويه ، مطبعة العانى ، بغداد ، ١٩٧٤ م .
٢٦ - الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد) ، معاني القرآن تحقيق محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتى ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .
٢٧ - القيسي (أبو محمد مكي بن أبي طالب) ، مشكل إعراب القرآن - تحقيق ياسين محمد السواسى ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٧٤ م.
٢٨ - المالقي (أحمد بن عبد النور) ، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق أحمد محمد الخراط ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٧٥ م .
٢٩ - المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد) ، المقتضب تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .
٣٠ - محمد كامل حسين ، اللغة العربية المعاصرة ، دار المعارف ، مصر ، القاهرة ، ١٩٧٦ م .
٣١ - المرادي (بد الدين الحسن بن قاسم بن عبد الله بن علي) ، الجني الداني في حروف المعاني / تحقيق فخر الدين قباوة ، ومحمد النديم فاضل، المكتبة العربية ، حلب ، ١٩٧٣ م .
٣٢ - مصطفى إبراهيم علي ، البنية اللغوية في شعر عروة بن الورد ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ١٩٧٨ م .
٣٣ - مهدي المخزومي ، في النحو العربي ، نقد وتوجيه ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٤ م .